المقدسية

مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعة القدس

السنة السابعة – العدد الخامس والعشرون - شتاء 2025

كلمة العدد

المشهد المقدسي في العام 2024 بين السياسات والممارسات الإسرائيلية والمواقف العربية والإسلامية

أ. د. سعيد أبو علي

دور دائرة الآثار في فترة الانتداب البريطاني نحو تحرير الرواية الاثرية الاستعمارية

د. حمدان طه

القدس في البرامج التعليمية التونسية التعليم الثانوي مثالًا

أ.د. محمد نجيب بوطالب

المشهد الفلسطيني سارتر وفلسطين في الفكر العربي المعاصر

أ.د. أحمد عبدالحليم عطية

كُتاب العدد: أ. د.عماد أبو كشك - د. وليد سالم – أ. حسن الديك – أ. منال قادري – أ. إيمان كامل فؤاد أ. عزيز العصا – أ. ياسمين الخطيب

حي وادي الربابة في بلدة سلوان في القدس المحتلة

افتتاحية العدد

مجلة «المقدسية» مرحلة جديدة

أ.د.عماد أبو كشك 5

كلمة العدد

المشهد المقدسي في العام 2024
بين السياسات والممارسات الإسرائيلية والمواقف العربية والإسلامية

أ. د. سعيد أبو علي 7

مقالات ودراسات

الأوجه المتعددة للقدس
من التناقض إلى الاحتفاء بالتنوع

د. وليد سالم 35

الموقف الأمريكي من القدس
في ظل إدارة الرئيس بايدن

أ. حسين الديك 65

دور دائرة الآثار في فترة الانتداب البريطاني
نحو تحرير الرواية الأثرية الاستعمارية

د. حمدان طه 95

ملف العدد

القدس في التعليم التونسي
القدس في البرامج التعليمية التونسية التعليم الثانوي مثالًا

أ.د. محمد نجيب بوطالب 115

القدس في برامج ومناهج التعليم ما قبل الجامعي
جدلية الحضور والغياب «تونس مثالًا»

أ. منال قادري 131

المشهد الفلسطيني

سارتر وفلسطين
في الفكر العربي المعاصر

أ.د. أحمد عبدالحليم عطية 153

إسرائيليات

إستراتيجية القدس
مخطط 5800 لسنة 2050

أ. إيمان كامل مهنا 179

أعلام ومعالم مقدسية

(8) باحثٌ ومؤرخ ومؤلّف وأثريّ ومرمِّم مقدسيّ...
د. نظمي الجعبة

أ. عزيز العصا 203

أخبار جامعة القدس

(أيلول، وتشرين الأول، وتشرين الثاني 2024)

أ. ياسمين الخطيب 247

التوزيع في مصر:

مكتبة مدبولي
مصر – القاهرة - 6 ميدان طلعت حرب
هاتف::00201006647271
www.madboulybooks.com
amrmadbouly@hotmail.com

مكتبة شمس للنشر والإعلام
القاهرة . المقطم رقم 8035
هاتف :01288890065

التوزيع في لبنان:
دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيرو ت - منطقة الحمرا
شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4
00961 - 71 - 841086
abaaddar@gmail.com

المشرف العام ورئيس التحرير

أ. د. سعيد أبو علي

أستاذ القانون العام والعلوم السياسية بجامعة القدس

الهيئة الاستشارية

د. أحمد الشهري
رئيس منتدى الخبرة السعودي

.د حسين الهنداوي
الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية

أ.د. رالف وايلد
أستاذ القانون العام بجامعة لندن

د. رمزي خوري
رئيس اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس

الشيخ عبد العظيم سلهب
رئيس مجلس الأوقاف والمقدسات الإسلامية بالقدس

د. علا عوض
رئيس مركز الإحصاء الفلسطيني

أ.د عماد أبو كشك
رئيس جامعة القدس

أ.د. عمرو عزت سلامة
رئيس اتحاد الجامعات العربية

أ.د. عُمر ميلاد
رئيس جامعة الأزهر في غزة

السيدة فدوى فيصل الحسيني
المدير التنفيذي لمؤسسة فيصل الحسيني

د. محمد جاسم المشهداني
أمين عام اتحاد المؤرخين العرب

الشيخ محمد حسين
مفتي القدس والديار الفلسطينية

أ.د محمد ولد أعمر
مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المهندس منيب المصري
رئيس مجلس أمناء جامعة القدس

البطريرك ميشيل صباح
بطريرك اللاتين السابق في القدس

د. وصفي الكيلاني
المدير التنفيذي للصندوق الهاشمي
لإعمار المسجد الأقصى وقبة الصغرة المشرفة

إدارة وسكرتارية التحرير:

د. وليد سالم

أ. عزيز العصا

أ. مصطفى عبيد

مركز دراسات القدس - جامعة القدس

العنوان: مدينة القدس – سوق القطانين – خان تنكز
الموقع الالكتروني: www.jerusalem-studies.alquds.edu
هاتف رقم: 00972-02-6287517
فاكس رقم: 00972-02-6284920
رقم جوال المجلة: 00972593659429

جامعة القدس أبو ديس

صندوق البريد: جامعة القدس، الحرم الرئيس – أبو ديس، صندوق بريد 89
الموقع الالكتروني: www.alquds.edu
للاتصال بالحرم الرئيس – أبو ديس
هاتف رقم: 2756200 - 02 - 00972
فاكس رقم: 2793817 - 02 - 00972

مجلة المقدسية

تنفيذ دار أبعاد

لبنان – بيروت – شارع الحمرا – شارع عبد المنعم
بناية بلعة وقمند ط 4
هاتف: 841086 -71- 00961
صندوق بريد: 7179 - 113 بيروت – لبنان
بريد إلكتروني: abaaddar@gmail.com

للإطلاع على أعداد مجلة المقدسية يرجى زيارة المواقع التالية:

موقع مجلة المقدسية على موقع جامعة القدس:
https://maqdisyya.alquds.edu
https://research.alquds.edu/en/publications/maqdisyya.html

موقع المستودع الرقمي لجامعة القدس يمكن الاطلاع من خلاله على المجلة:
https://dspace.alquds.edu/communities/465c1135 b4fe-4a29-8142-061cf663e49c

دار المنظومة:
http://www.mandumah.com

موقع نيل وفرات:
https://www.neelwafurat.com

موقع أبجد:
https://www.abjjad.com

موقع منصتي:
https://menassati.com

الاشتراك السنوي في المجلة	داخل لبنان:	خارج لبنان:
	للأفراد: $50	للأفراد: $100
	للمؤسسات: $100	للمؤسسات: $200

يضاف إليها أجور البريد

المواد المنشورة تُعبر عن رأي كاتبها

الرقم الدولي / ردمك / ISSN27079767

مجلة «المقدسية» مرحلة جديدة

بقلم: د.عباد أبو كشك
رئيس جامعة القدس

تواصل مجلة «المقدسية» رسالتها العلمية والمعرفية للتصدي لمحاولات الأسرلة وطمس الهوية، وتزوير المعالم، واستلاب المدينة وتاريخها وروحها في إطار ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي لفرض هيمنتها على المدينة.

بعد ست سنوات، من النشر القيّم، والصدور الـمُنتظم بصورة فصلية، بدأت المجلة مسارًا جديدًا، حيث صدرت لأول مرة باللغة الإنكليزية لتضم بحوثاً ودراسات ومقالات فكرية متنوعة عن القدس، المدينة، والتاريخ، والبشر بما يُقدم بحوثًا وحقائق وأفكارًا تُضيء شتى مناحي المعرفة، وتُمثل ردًّا قويًّا وضروريًّا لمخططات الأسرلة والتهويد. صدرت «المقدسية» بالإنكليزية كخطوة أولى لرحلة تطور مستمر، سعيًا للصدور فيما بعد باللغة الفرنسية، ثُم بغيرها من اللغات، بما يساهم في انتشار الخطاب المقدسي الأصيل وييسّر وصوله إلى كل أنحاء العالم.

صدر العدد الأول بالإنكليزية جامعًا لمقالات ودراسات مميزة تم نشرها على

امتداد عام 2024 بأعـــداد المجلة الأربعة مترجمة إلى اللغة الإنكليزية، لتبدأ المجلة انفتاحًـــا ضروريًّا طالما حلمنـــا به ليتم تقديم كل قضايا وشـــؤون القدس بأقلام أهل القدس وفلســـطين والعرب، بل وغير العـــرب أيضًا من المدافعين عن الحق والحرية والرافضين لكل اعتداء عـــلى معالم القدس الروحية والحضارية التاريخية والديمغرافية والجغرافية لتواصل المقدسية.

إنها خطوة تاريخية عظيمة، يواجه فيها العلماء والأساتذة بأوراقهم وأفكارهم وكلماتهم مخططات ومشـــاريع الاحتلال والاســـتيطان والتهويـــد التي يواصلها الاحتلال الإسرائيلي بكل أســـاليب وأدوات القوة وممارســـات التميز والفصل العنـــصري والتطهير العرقـــي والقتل والتهجير. وهي خطوة تســـتحق الامتنان والتحية لكل مَن شـــارك في تحمل قدرٍ من مســـؤوليتها، بدءًا من الدكتور سعيد أبو عـــلي رئيس التحرير والمشرف العـــام، وكل أعضاء هيئـــة التحرير، واللجنة الاستشـــارية، وصولًا إلى كل الكُتاب والباحثين من القدس، وفلســـطين، وكل الأقطار العربية وغير العربية، الذين أسهموا ويسهمون في المجلة العلمية.

لقد كانت القدس، وســـتبقى في قلب كل عربي، منارةً للحق ورمزًا للأصالة، ونبعًا للعزة والحرية والكرامة، لذا فإن جامعة القدس ستواصل تحمل مسؤوليتها بنشر كل ما يرد على حملات التزوير والهيمنة وطمس الوجود الفلسطيني العربي، وبما يحقق مســـؤولية توثيق قضايا القدس وعرضها علميًّا وفق الضوابط المنهجية الأكاديمية، والتزامًا بالثوابت الوطنية الفلسطينية.

وستبقى المقدســـية، نافذة علم مفتوحة لكل الأقلام الموضوعية والمحبة لمدينة القدس والمعنية بشـــؤونها ومختلف موضوعاتها الفكرية، السياســـية، الاجتماعية، التاريخيـــة، الحضارية، الثقافيـــة، والقانونية، ماضيًا وحاضرًا ومســـتقبلًا في إطار سعيها لأن تكون مرجعًا علميًّا معرفيًّا متخصصًا بالشأن المقدسي.

والله هو الموفق والمعين..

المشهد المقدسي في العام 2024

بين السياسات والممارسات الإسرائيلية والمواقف العربية والإسلامية

بقلم: د. سعيد أبو علي
المشرف العام ورئيس تحرير مجلة المقدسية

في ظل استمرار حرب الإبادة التدميرية الإسرائيلية وقطاعاتها الإجرامية على قطاع غزة، والتي ذهب ضحيتها بنهاية هذا العام الأسود أكثر من 150 ألف شهيد وجريح، وتسببت بدمار هائل واسع النطاق في البنيان والعمران، طال أكثر من 80 % من قطاع غزة جراء إلقاء ما يزيد على ألف طن من المتفجرات تفوق قدرات قنابل نووية، كتلك التي ألقيت على ناغازاكي وهيروشيما، نتج عنها ألف طن من الركام الذي يحتاج أكثر من سنة لإزالته، حسب دراسات الأمم المتحدة.

وأمام فظائع اجتثـاث كل مقومات الحياة التي يقف العالم عاجزًا حيال وقف أيٍّ من أدواتها، بما في ذلك حرب التجويع المميتة التي مثلت اختبارًا مهينًا لجدارة المجتمع الدولي بالإنسـانية، ليس فقط في غزة وإنما أيضًـا في الضفة الغربية التي تعيـش فصلًا محتدمًـا متواصلًا من العدوان بكل أشـكاله وأدواته، بمشـاركة واسعة النطاق من المسـتوطنين قتلًا وتدميرًا واعتقالًا وتهجيرًا، استيطانًا وتهويدًا باسـتهداف إسرائيلي ممنهج ومعلن بصورة رسـمية. تتعرض القدس على امتداد

هذا العام لتكثيف وتوسيع في تنفيذ مخططات التهويد واستكمال المشاريع المنبثقة عنها، بصمت إعلامي وسياسي لا يكاد يترك أثرًا أو متابعة لمواجهته حتى بالحدود الدنيا، وكأن أمر الانفراد بالقدس وعزلها والاستمرار بتهويدها شأن إسرائيلي اعتيادي أو تحصيل حاصل لا فائدة من تناوله، فكيف بمواجهته، إلا بما يسجل موقفًا يؤكد حالة العجز، وهو الموضوع الذي تتناوله «المقدسية»، سواء من جهة استمرار، بل تصاعد الإجراءات الإسرائيلية من جهة وتفاعلات المواقف العربية والإسلامية من جهة ثانية.

أولًا: القدس في السياسات والإجراءات الإسرائيلية

واصلت سلطة الاحتلال الاستعماري، وممارساتها غير القانونية والمخالفة لكل القرارات والقوانين الدولية في مدينة القدس الشريف، بما فيها الترحيل القسري للسكان الفلسطينيين من المدينة وهدم المنازل وبناء المستوطنات والجدار لعزلها عن محيطها الفلسطيني ومنع وصول المصلين المسيحيين والمسلمين إلى أماكن عبادتهم، وكذلك الهادفة لتهويد المدينة المقدسة وتغيير طابعها القانوني ومعالمها التاريخية وهويتها العربية والإسلامية وتغيير تركيبتها الديموغرافية، فتواصلت وتصاعدت الاعتداءات الإسرائيلية على الأماكن المقدسة في مدينة القدس الشريف والمدن الفلسطينية الأخرى، وتواصل تدنيس الأماكن المقدسة وسنّ تشريعات لتحقيق ذلك؛ واستهداف أهلها ومقدساتها وتحديدًا المسجد الأقصى المبارك.

فيما يستمر العدوان الإسرائيلي المتواصل والمتصاعد على الشعب الفلسطيني في مدينة القدس وممارسته لشتى وسائل القمع والاضطهاد الممنهج وواسع النطاق واستخدام القوة المفرطة والعنف غير المبرر، بما فيها القتل العمد ومصادرة الممتلكات، بهدف إفراغ أحيائها التاريخية من مواطنيها وتهجير سكانها قسرًا واستكمال عملية تهويدها وتزوير تاريخها، في انتهاك فاضح للقانون الدولي

وقــرارات الأمم المتحــدة، المؤكدة لعــدم شرعية احتلال إسرائيــل للمدينة أو امتلاكها أي حقوق ســيادية فيها، بما في ذلــك تطبيق قوانينها العنصرية أو فرض واقع جديد في أي من أجزائها، بما في ذلك في البلدة القديمة والمســجد الأقصى، واعتبار أن أي خطوة ترمي إلى تغيير الوضع القانوني لمدينة القدس الشريف لاغية وباطلة وغير قانونية ولا تتسم بأي شرعية، بوصفها انتهاكًا خطيرًا للقانون الدولي ولقــرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، وتحديدًا قرارات مجلس الأمن أرقام: 252 (1968) و267 (1969) و465 و476 و478 (1980) و2334 (2016) وتحديًــا للإرادة والإجماع الدولي ويجب العمل على إلغائها فورًا.

وتصعد ســلطة الاحتلال الاستعماري، الاعتداءات التي تمس وتنتهك حرمة ومكانة المســجد الأقصى/ الحرم القدسي الشريف والاقتحامات اليومية لقوات الاحتــلال وشرطته والمســتعمرين المتطرفــين لباحاته والاعتــداء على المصلين والمرابطين داخله وتدنيســه بممارسة شعائر دينية يهودية فيه، والقيام بأعمال الحفر غير القانونية حوله وأســفله، الأمر الذي يهدد أساســاته، في إطــار متابعة تنفيذ مشروعها المتواصل إلى تقســيمه زمانيًّا ومكانيًّا تمهيدًا للســماح لليهود بالصلاة داخل أســواره، في ظل دعوات تدمير المسجد الأقصى/ الحرم القدسي الشريف، وإقامة الهيكل المزعوم مكانه أو إقامة شعائر العبادة التوراتية فيه.

كــما يواصل الاحتلال الاســتعماري الإسرائيــلي والجمعيات الاســتيطانية الصهيونية والاعتداءات على الأماكن المقدســة والأوقاف الإسلامية والمسيحية، ومحاولات الســيطرة عليها ومنع وصول المصلين إليهــا وتغيير طابعها وهويتها الدينية في ســياق سياسات تهويد مدينة القدس وتغيير الوضع القانوني والتاريخي القائم في المقدســات الإســلامية والمســيحية فيها، اســتهتارًا ومساسًا بمشاعر المســلمين والمســيحيين حول العالم، بما يؤدي إلى إثارة النعرات الدينية وإشعال صراع ديني، بما في ذلك محاولات السيطرة على العقارات المسيحية في باب الخليل وفي حارة الأرمن، هذا إلى جانب مواصلة الاعتداء على حرمة المقابر الإســلامية،

بما فيها مقبرة «مأمن الله» و«اليوسفية» في مدينة القدس المحتلة، وإقامة سلطات الاحتلال الاستعماري الإسرائيلي، ما يسمى «متحف التسامح» المقام على جزء من مقبرة «مأمن الله» الإسلامية في القدس المحتلة ونبش قبور المسلمين التي يزيد عمرها على ألف عام، والذي يأتي في سياق سياسات الاحتلال الاستعماري الإسرائيلي ضد مدينة القدس المحتلة وأهلها ومقدساتها وهويتها الإسلامية ومعالمها الحضارية.

يضاف إلى ذلك تسارع المحاولات المتكررة للاحتلال الاستعماري الإسرائيلي لتزييف الحقائق التاريخية المتعلقة بالقدس الشريف وافتتاحها لما يسمى بـ«طريق الحجاج اليهود»، الذي يمتد من بركة سلوان وحتى حائط البراق أسفل منازل الفلسطينيين في بلدة سلوان جنوب المسجد الأقصى، وإعاقة مشاريع الترميم التي ينفذها «الصندوق الهاشمي» و«دائرة الأوقاف بالقدس» في حرم المسجد الأقصى وحوله، ومنع فريق اليونسكو الاستكشافي من الوصول للبلدة القديمة ومحيطها وتغيير أجزاء أصيلة من المسجد الأقصى غير قابلة للفصل وفرض المناهج التعليمية الإسرائيلية على المدارس الفلسطينية في القدس الشريف من بين إجراءات أخرى.

إن مواصلة سلطة الاحتلال الاستعماري تطبيق السياسات والإجراءات غير القانونية التي تتخذها بحق مدينة القدس سعيًا لتغيير مركزها القانوني وطابعها وتركيبتها الديمغرافية، ليست إلا جزءًا من المخطط الاستعماري الإسرائيلي لضم المدينة المقدسة، بما فيها الاستيلاء على أملاك المواطنين الفلسطينيين في أحياء سلوان والشيخ جراح وهدم بيوتهم وترحيلهم القسري عنها ومنعهم من الإقامة فيها، ترسيخًا لجريمة التطهير العرقي والعقاب الجماعي.

وهكذا ظلت القدس محور تركيز سياسة حكومة الاحتلال، حيث تمضي مشاريع تهويد المدينة على نحو سافر، كما وثقتها خلال هذا العام تقارير الهيئة الفلسطينية لمقاومة الجدار والاستيطان بالمحاور الآتية، وتعاني القدس من

سياسات تهجير المقدسيين وطردهم وحرمانهم من التراخيص اللازمة لبناء منازل لهم أو لتوسيع القائمة منها، رغم الحاجة الماسة لذلك، مما أوجد أزمة سكنية صعبة في المدينة.

وتتعمد بلدية الاحتلال في القدس الغربية عدم منح تراخيص بناء لأهل القدس -خاصة الأزواج الشابة- بهدف دفعهم للبحث عن أماكن سكن وعيش خارج القدس، تماشيًا مع سياسة تفريغ المدينة من أهلها وسكانها، مما يقلل عدد الفلسطينيين فيها ويغير التركيبة الديمغرافية لصالح المستوطنين.

ويصعب استصدار تراخيص بناء في القدس الشرقية، بل يستحيل ذلك في بعض الأحياء والمواقع فيها، وأمام حاجة المقدسيين الناجمة عن الزيادة السكانية، فإنهم يبنون منازل أو يوسعون القائمة منها، وهنا تقوم البلدية بهدم هذه المنازل متذرعة بعدم حصول أصحابها على التراخيص اللازمة.

وهكذا، وحيث إن سلطات الاحتلال الإسرائيلي وأذرعها التهويدية والتفريغية منتشرة في كل الأحياء المقدسية، فقد اعتمدت سياسات ومخططات صانعي القرار في الدوائر المختصة على:

i. سياسة هدم المنازل وعدم منح تراخيص ومحاولات الترحيل والطرد القسري:

وقد وضعت هذه السياسات الخاصة بالتخطيط والبناء في القدس من جانب بلدية القدس الغربية وما يسمى بـ«دائرة أراضي إسرائيل واللجنة اللوائية للبناء والتنظيم»، وكان أبرز ما تم تخطيطه والاتفاق عليه من قبل هذه الجهات يتضمن ويركز على ما يلي:

- تكثيف بناء وحدات استيطانية وزيادتها وتوسيعها، وإعداد مخططات هيكلية وتنظيم المسطحات (أي الأراضي في القدس)، والمقصود بالتكثيف والزيادة الإسرائيليين وحدهم، مقابل إقصاء الأحياء العربية وإهمالها وتغييبها على نحو متعمد.

- تهدف هذه المخططات لزيادة نسبة المستوطنين وإلى حجز أكبر مساحة ممكنة من الأراضي لاستثمارها في المستقبل لصالحهم على حساب المقدسيين.
- وضعت المخططات ورسمت سياسات التخطيط المستقبلي للبناء بهدف خنق التجمعات المقدسية وإبقائها في أزمة سكنية وحرمانها من التمدد والتطور لدفعها نحو الهجرة والعيش خارج القدس.
- اعتمدت سياسات التخطيط على التمييز والعنصرية لتحقيق الهدف الأكبر، إذ وضعت نصب أعينها إحداث خلل في التوازن الديمغرافي لصالح المستوطنين.

ورغم أن عدد سكان الجزء الشرقي من القدس وصل إلى (395000) يشكلون نسبة (40 %) من سكان المدينة بجزأيها الغربي والشرقي، فإن (13 %) من مساحة المدينة فقط مخصص لهم بفعل سياسات التضييق والخنق.

- تتعمد الخطط إلى تكثيف البناء لصالح المستوطنين وتعزيزه في مناطق عدة من القدس لمحاصرة التجمعات الفلسطينية وقطع تواصلها، مما يسهل على سلطات الاحتلال تعزيز السيطرة الأمنية عليها وفصلها عن محيطها.
- تجدر الإشارة إلى أن القدس عامة تضم 237729 وحدة سكنية، منها 57335 للمقدسيين.

وحسب المخططات المستقبلية، ستتم زيادة البناء وإضافة (89) ألف وحدة استيطانية خلال السنوات القادمة، ولا يتضمن التخطيط المستقبلي أي وحدات للمقدسيين أو الأحياء العربية.

ii. وكان لسلوان النصيب الأكبر من هذه السياسات التهجيرية والهدم وتغيير الهوية العربية فيها، ذلك لأن سلوان ملاصقة للسور الجنوبي والجنوبي الشرقي للبلدة القديمة والمسجد الأقصى، فهي تعد الحاضنة الجنوبية للبلدة القديمة، وخط الدفاع الأول عن المسجد الأقصى.

وتمتد سلوان على مساحة 5640 دونمًا، ويسكنها 61500 نسمة من المقدسيين، وتقسم إلى 12 حيًّا، وتستهدفها المؤسسة الإسرائيلية وأذرعها التهويدية والجمعيات الاستيطانية بالاستيطان والتهجير والتفريغ، وذلك لأهداف سياسية وأيديولوجية دينية، ونظرًا لكونها الحاضنة والخاصرة الجنوبية للمسجد الأقصى المبارك، وموطن الكثافة السكانية الأعلى، وكون سلوان بمثابة كنز من الآثار والمعالم والشواهد على عروبة وإسلامية المدينة المقدسة، فقد عمدت سلطات الاحتلال والجمعيات الاستيطانية لموقعها وغزارة الإرث التاريخي والحضاري الموجود فيها، تحت الأرض وفوقها، فبات الهدف تغيير معالمها، بعضها ليحاكي روايات وأساطير تتماشى مع أطماع الاحتلال والمستوطنين، وتدمير الآثار والشواهد التي تدلل على تاريخ القدس العربي والإسلامي.

iii. ولغايات تهويد سلوان والاستيلاء على ممتلكات أهلها وطردهم منها، سبق أن أسست دولة الاحتلال منظمة تستهدف الأراضي والمنازل والمواقع التاريخية فيها سميت «ألعاد»، وهي اختصار لـ«مدينة داود» (التسمية العبرية لمنطقة سلوان)، وتشرف هذه المنظمة الاستيطانية على أغلب المشاريع التهويدية والاستيطانية من السور الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك، مرورًا بساحة البراق وباب المغاربة حتى سفوح «جبل المكبر» المطل على سلوان والبلدة القديمة جنوبًا، وتساعد المنظمة المذكورة جهات إسرائيلية حكومية رسمية، منها «سلطة الطبيعة والحدائق» و«سلطة الآثار»، وكذلك بلدية الاحتلال في القدس، إضافة إلى منظمات استيطانية مساعدة، وخاصة منظمة «عطيرت كوهنيم» التي تقوم بالاستيلاء على المنازل في منطقة الحارة الوسطى ومنها «بطن الهوا».

وهكذا تم توكيل منظمة «ألعاد» الاستيطانية بإدارة المشاريع الاستيطانية والسيطرة على الأراضي والممتلكات وإدارة المواقع التاريخية والسياحية في سلوان، وأما بلدية القدس الغربية «بلدية الاحتلال» فمسؤولة كما ذكرت عن عدم إعطاء تراخيص بناء للمقدسيين في الحي، وتتولى هدم منازلهم لدفعهم للهجرة والبناء

خارجها لتغيير التركيبة السكانية لصالح المستوطنين.

iv. سلمت بلدية الاحتلال 6834 أمر هدم قضائي وإداري لمنشآت في سلوان (منازل ومحال تجارية وممتلكات)، وفيها ستة أحياء مهددة بالهدم الكامل أو بالطرد والاستيلاء على المنازل، والأحياء هي:

1. حي وادي حلوة

يَقع في الناحية الغربية والغربية الشمالية لسلوان، وهو ملاصق للسور الجنوبي للبلدة القديمة من القدس والمسجد الأقصى المبارك، يمتد على مساحة 750 دونمًا، وعدد سكانه من المقدسيين 5000 نسمة، تعمل الجمعيات الاستيطانية على تهويده بالكامل، وقد غيرت اسمه وهودته وتطلق عليه «مدينة داود»، وتحفر الجمعيات الاستيطانية، وخاصة جمعية «ألعاد» الاستيطانية أنفاقًا أسفل منازل حي وادي حلوة، بحيث وصل عدد الحفريات والأنفاق فيه إلى 15 حفرية ونفقًا، وبات 128 منزلًا من منازله مهدّدًا بالانهيار والسقوط نتيجة التشققات والتصدعات، وهناك خمسة منازل مهددة بالاستيلاء عليها تحت يافطة قانون أملاك الغائبين، فيما تسلم 53 منزلًا أوامر هدم بذريعة عدم حصول أصحابها على تراخيص بناء، ويوجد في هذا الحي 46 بؤرة استيطانية.

2. حي البستان

وهو قلب بلدة سلوان، يمتد على مساحة 70 دونمًا، يعيش فيه 1550 نسمة، ويضم 116 منزلًا مهدّدًا بالهدم، منها 26 منزلًا تحاكم وفق «قانون كيمنتس»، وهو قانون أقره الكنيست الإسرائيلي، وينص على أن كل منزل بني أو اكتشفته طواقم بلدية الاحتلال أو تم تقديم لائحة اتهام بحقه كبناء غير قانوني -حسب وصف سلطات الاحتلال- بعد عام 2016 يخضع لقانون «كيمينتس»، أي لا يحق لصاحب المنزل أو المقيم فيه الاعتراض أو الحصول على تمديد لدى المحاكم ولا يستطيع تقديم طلب للحصول على ترخيص للمبنى.

في هذا السياق، رفضت المحكمة الإسرائيلية تمديد قرار تأجيل هدم المنازل التي انتهت فترة تأجيل الهدم المتعلقة بها، مما يعني إمكانية هدم أي منها في أي وقت كونها أصبحت دون غطاء قانوني، وأعدت بلدية الاحتلال في القدس مؤخرًا مخططًا خاصًّا يهدف إلى هدم كل منازل حي البستان، وهذه الأوامر لا رجعة فيها ولا يمكن الاعتراض أو الاستئناف عليها لدى المحاكم الإسرائيلية بموجب «قانون كيمينتس» المذكور.

والهدف من هدم حي البستان رغبة سلطات الاحتلال في إقامة ما يدعى «حديقة وطنية» على أنقاضه، وقد غيرت البلدية اسم الحي في الدوائر الرسمية الإسرائيلية إلى «حديقة الملك»، وهدمت هذا العام ستة منازل فيه، وأعلنت نيتها هدم منازل أخرى، فهناك تخوف وخشية لدى سكان الحي من إقدام البلدية على هدم كل المنازل في قادم الأيام مستغلة انشغال العالم بمتابعة الحرب على غزة ولبنان.

3. بطن الهوا

هو جزء من الحارة الوسطى لسلوان، وتدّعي جمعيات استيطانية ملكية 5200 متر مربع في بطن الهوا، عدد عائلات الحي 86 عائلة، تتكون من 726 فردًا مهددين بالإخلاء والترحيل، ورغم امتلاك السكان الفلسطينيين وثائق تثبت ملكيتهم المنازل، لكن المحاكم الإسرائيلية انحازت للمستوطنين وأقرت ملكيتهم، وهكذا استولت الجمعية الاستيطانية على منازل عدة في بطن الهوا، وأقامت مركزًا للزوار بغرض الترويج الاستيطاني، وأصبح المركز متحفًا للتراث اليهودي اليمني بزعم أن عائلات من يهود اليمن عاشت في هذه المنطقة وهذه آثارها ومقتنياتها القديمة وأن السكان العرب طردوها واستولوا على ممتلكاتها، حسب زعم سلطات الاحتلال.

4. وادي الربابة

يَقع في الناحية الغربية لسلوان، يمتد على مساحة 215 دونمًا، عدد سكانه 987 نسمة، منهم 405 أشخاص مهددون بهدم منازلهم بادّعاء أنها غير مرخصة،

وأراضي الحي مهددة بالاستيلاء عليها بغرض تهيئة المنطقة للبنية التحتية للقطار الهوائي، ويعمل الاحتلال -عن طريق ما يسمى سلطة الطبيعة وجمعية «ألعاد» الاستيطانية- على تنفيذ مشاريع استيطانية عدة في وادي الربابة، منها:

- الحديقة التوراتية رقم 4 بغرض السيطرة على أراضي المواطنين ومنعهم من الانتفاع بها أو استخدامها أو البناء عليها، خاصة أن المنطقة ملاصقة للقدس الغربية، وهذه الحديقة التوراتية جزء من الحدائق التوراتية التي تحيط بالمسجد الأقصى المبارك للدلالة على وجود تجمعات يهودية عاشت في المنطقة في فترة الهيكل الأول والهيكل الثاني حسب زعمهم.
- مشروع «مزرعة في الوادي»، وهو مشروع أطلقته جمعية «ألعاد» الاستيطانية لجلب مزيد من المستوطنين ويهود العالم، والمشاركة في أعمال ونشاطات زراعية -على أراضي الفلسطينيين المسلوبة- وذلك بطرق بدائية وتقليدية قديمة تحاكي فترات، يدّعون أنها كانت في زمن أجدادهم الذين عاشوا في القدس، وأنهم كانوا يعتمدون عليها بالمعيشة والعمل وتربية المواشي والقرابين التي كانت تنقل إلى «جبل المعبد» (التسمية العبرية للمسجد الأقصى)، ووضعوا في «المزرعة» معاصر قديمة للعنب والزيتون محاكاة لعصور قديمة، كل هذا بغرض غسل الأدمغة وترويج رواياتهم المضللة وتزييف الحقائق، واختلاق رابطة مع الأرض وإثبات أنهم كانوا يعيشون في هذه المنطقة في محيط «جبل الهيكل».
- جسر هوائي للمشاة فوق أراضي وادي الربابة، بطول 200 متر وارتفاع 35 مترًا عن سطح الأرض لتسهيل وزيادة وصول المستوطنين من منطقة «الثوري»، والمستوطنين القادمين من غرب المدينة إلى منطقة باب المغاربة.
- قبور وهمية في الجهة الشمالية لوادي الربابة، حيث صادرت سلطات الاحتلال الأراضي وخصصت 43 دونمًا منها لزراعة قبور وهمية لسلب وسرقة أراضي

المواطنين الفلسطينيين ومنعهم من التمدد العمراني والاستفادة من الأراضي الفارغة، وخاصة أن القبور الوهمية زرعت بين المنازل في تلك الأراضي لحرمان الفلسطينيين منها ولتخصيصها مستقبلًا لمشاريع استيطانية وتهويدية، ولاستخدام هذه القبور الوهمية زورًا كدليل وشاهد على وجود تجمعات يهودية عاشت في المنطقة وأن تلك القبور دليل على وجودهم في الماضي، حيث إنهم عجزوا عن إثبات وجودهم أو وجود حضارة لهم أو آثار تدلّ على ادعاءاتهم بالحفريات التي استمرت سنوات، فاخترعوا هذه الحيل والوسائل لترويج الأكاذيب وتضليل العالم وتزوير التاريخ والحقائق.

5. وادي ياصول

يقع في الناحية الجنوبية الغربية لسلوان، يمتد على مساحة 310 دونمات، عدد سكانه 1050 نسمة، ويضم 84 منزلًا مهدّدًا بالهدم بعد استلام أصحابها أوامر هدم بحجة عدم الحصول على تراخيص بناء، و600 شخص مهددين نتيجة أوامر الهدم، وتوسعة ما يسمى «غابة السلام» الملاصقة للحي من الناحية الغربية، وحيث إن هناك مخططًا مستقبليًّا لتلك المنطقة يقضي بتكملة مسار القطار السريع الذي يبدأ من مدن الساحل وصولًا إلى الجزء الغربي من القدس ليكمل مساره باتجاه مستوطنات شرق القدس وتجمّع مستوطنة «معاليه أدوميم» التي تقع على المسار نفسه باتجاه الشرق.

6. حي عين اللوزة

يقع في الناحية الجنوبية لسلوان، ويمتد على مساحة 870 دونمًا، يسكن الحي 3400 نسمة، ويضم 283 منزلًا تَسلّم أصحابها أوامر هدم بحجة عدم الترخيص.

مشاريع وإجراءات تهويدية واستيطانية أخرى تقوم بها منظمة «إلعاد» الاستيطانية:

- حفريات ونفق من مجمع عين سلوان ومسجد عين سلوان التاريخي باتجاه

المسجد الأقصى المبارك، حيث يتم حفر نفق منذ عام 2019 وما زال الحفر مستمرًا حتى الآن أسفل منازل المواطنين في شارع وادي حلوة، وقد تسبب ذلك بتشققات وتصدعات في أكثر من 52 منزلًا فوق مساره من عين سلوان (بركة سلوان ومسجد العين) باتجاه السور الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك، وهو ليس النفق نفسه الذي يسمى «درب الحجاج» -حسب تسمية الاحتلال- الذي افتتحه سفير الولايات المتحدة الأميركية في فترة ترامب الأولى، لكنه قريب منه.

- متحف توراتي فوق عين العذراء (نسبة إلى مريم عليها وعلى ابنها السلام) وهو منبع عين سلوان شمالًا، ومنها يبدأ مجرى مياه عين سلوان تحت الأرض بطول 533 مترًا، وقد سيطرت عليه جمعية «إلعاد» الاستيطانية.
- القصور الأموية الملاصقة للمسجد الأقصى المبارك من الناحية الجنوبية ضمن أراضي سلوان، حيث تعمل سلطات الاحتلال على تدميرها لتغيير المشهد وطمس معالمها ولتهيئتها لتكون مرافق الهيكل المزعوم حسب مخطط بناء الهيكل، وربطها بنفق «درب الحجاج» وصولًا إلى عين سلوان حسب المخطط نفسه.
- مؤخرًا وافقت المحكمة العليا الإسرائيلية على منح منظمة «ألعاد» الاستيطانية إدارة أراضي سلوان، ابتداء من القصور الأموية وصولًا إلى وادي الربابة وسفح «جبل المكبر» بما فيها من مواقع تاريخية وآثار ومسطحات وأراض، وهي جزء من مخطط «الحوض التاريخي» بادعاء أن هذه المنطقة تمثل إرثًا حضاريًّا وتاريخيًّا وذات بعد قومي وديني للشعب اليهودي.
- مشروع «كيدم أورشليم»، (أي القدس القديمة) من أضخم المشاريع الاستيطانية التهويدية الذي تقوم به منظمة «إلعاد» الاستيطانية بالقرب من السور الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك بمدخل سلوان الشمالي، حيث

ستكون مساحة المشروع التهويدي 15600 متر مربع، ولا يبعد سوى 100 متر عن المسجد الأقصى المبارك، وسيكون من طبقات عدة، منها متحف توراتي ومعرض للآثار التي سرقت وعثر عليها بالحفريات وبعد معالجتها لتحاكي روايات وأساطير تلمودية، وموقف للسيارات ومركز للخدمات السياحية ولترويج تاريخ المنطقة حسب الرواية الإسرائيلية، وقاعات للاجتماعات ومراكز تجارية خاصة بالمستوطنين، وسيحجب البناء الرؤية عن المسجد الأقصى المبارك، كما يعزز زيادة عدد المستوطنين في المنطقة. وتزعم جمعية «ألعاد» الاستيطانية أن 10 ملايين زائر سنويًّا سيصلون إلى هذا المجمع الضخم الذي سيتم ربطه مع القطار الهوائي ومع الأنفاق التي ستصل إلى أسفل المسجد الأقصى.

- كذلك فقد قام سيموتريتش مؤخرًا بتعيين ناشط من اليمين المتطرف، حنانئيل غورفينكل مديرًا لوحدة الوصاية على أملاك الغائبين في وزارة المالية، وهي وحدة جديدة وذات تأثير كبير على الأملاك الفلسطينية في القدس. والمعروف عن غورفينكل أنه أقام جمعية لتهويد القدس، ودعا إلى طرد الطلاب العرب من التخنيون، كما ساعد من قبل على مساعدة جمعيات استيطانية في السطو على أملاك الفلسطينيين، ودعا بشكل علني لتصفية ما سمّاه بـ«الاحتلال العربي للقدس الشرقية»، كما سعى أيضًا إلى إخلاء الفلسطينيين من منازلهم في الشيخ جراح تحت ادّعاء أنها أقيمت في أرض يهودية.
- وفي القدس –ووفقًا لتقرير المكتب الوطني للدفاع عن الأرض الصادر في كانون الأول/ ديسمبر 2024– فقد أقرت اللجنة الدولية للتخطيط والبناء في بلدية الاحتلال توصية بالموافقة على ثلاثة مخططات لبناء أبراج في مستوطنات: جيلو، القطمون، غونينم، كجزء من المخططات المعتمدة بإجمالي 740 وحدة استيطانية، بالإضافة إلى سلسلة من مبان حكومية،

ومـــن بينها كنيس ومبانٍ عامة، ومناطق تجاريـــة وغيرها. وهنا يتم العمل على إنشـــاء سد شاهق من المباني الاستيطانية ذات الارتفاعات العالية على الحدود المتاخمة للمدن في الضفة الغربية، خاصة في جنوب القدس المحتلة مع بيت جالا. ووفق قرار اللجنة المحلية للتخطيط تمت الموافقة على مخطط يقع في شـــارع الهاجانا رقم238- الشـــارع الرئيسي في مســـتوطنة جيلو، حيث سيتم بناء ثلاثة أبراج استيطانية مكونة من 26 طابقًا، منها 22 طابقًا سكنيًّا أســـفلهم أربعة طوابق لمختلف الاستخدامات التجارية والإدارية، مع موقف ســـيارات تحت الأرض. وكجزء من المشروع الذي يغطي نحو 10,6 دونمات، تقترح اللجنة زيادة المعروض من الوحدات الاســـتيطانية في منطقة المخطط من 65 وحدة قائمة إلى 340 وحدة جديدة، منها 20 بالمئة على الأقل قيد الإنشاء. في الوقت ذاته يجري البحث في تخصيص 1500 متر مربع من مساحة المخطط للمباني العامة لصالح مجموعة من مراكز الرعاية النهارية وفصول رياض الأطفال وكنيس يهودي. فضلاً عن واجهة تجارية باتجاه خط الســـكة الحديد الخفيف بمساحة 1800 متر مربع. وهناك أيضاً مخطط لبرج مكـــون من 37 طابقًا بالقرب من الإســـتاد الرياضي «تيدي» المقام على الأراضي المالحة المهجرة.

- ووفقًا للتقريـــر ذاته، فإن هناك مخططًا ثانيًا تمـــت الموافقة عليه مؤخرًا، يقع بين شارعي ســـان مارتن وبار يوهاي لبناء 263 وحدة استيطانية. ويقول موشـــيه ليون رئيس بلدية القدس المحتلة إن المخططات المعتمدة تجمع في مســـتوطنتي جيلو وجونينم بين بناء مجمعات استيطانية في مواقع مركزية، وبناء مبان عامة وتجارية وإدارية متطورة.

- تـــم أيضًا الإعلان مؤخرًا عن مصادرة 24 ألف دونم بعد تصنيفها كأراضي دولة، ومن المقرر أن تستفيد بهذه الأراضي مستوطنة «معاليه أدوميم» مع توسيعها بمساحة 2600 دونم ناحية الجنوب.

ثانيًا: تفاعلات المواقف العربية والإسلامية:

في مواجهة السياســات والإجراءات الاستعمارية والإسرائيلية ومواكبة لعدد من وقائع الاعتداءات والإعلان عن تنفيذ الإجراءات كان تفاعل المواقف عربية وإسلامية يراوح تحت نفس السقف التقليدي الفاقد للفعالية والتأثير، وكأن وقائع الحرب التدميرية تطغى بفظاعاتها واســتقطابها للرأي العام على جرائم الاحتلال بالقدس وتبرر حالة العجز وانعــدام التأثير، وفيما يأتي إيجاز لهذه المواقف العربية والإسلامية.

1- **إســلاميًّا**: كانت قرارات الدورة الخمســين لمجلس وزراء خارجية دول منظمة التعاون الإسلامي المنعقد بجمهورية الكاميرون في آب/ أغسطس 2024 هي الأكثر شــمولًا وإحاطة بتطورات المشهد المقدسي، وكانت تنطلق من مبادئ وأهداف ميثاق منظمة التعاون الإسلامي.

وينص ميثاق المنظمة على دعم كفاح الشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي غير الشرعي وتمكينه من حقوقه غير القابلة للتصرف، بما في ذلك حقه في تقرير المصير وإقامة دولته المســتقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس الشريف، والمحافظة على مكانتها التاريخية وطابعها العربي الإسلامي وعلى الأماكن المقدسة فيها.

كما كانت هذه القرارات تســتند إلى قرارات القمم الإســلامية، خاصة القمة الإسلامية الخامســة عشرة التي عقدت في بانجول بغامبيا يومي 4 و5 أيار/ مايو 2024، والقمة العربية الإسلامية المشتركة غير العادية لبحث العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلســطيني، والتي عقدت في الرياض بالمملكة العربية السعودية في تشرين الثاني/ نوفمبر2023، وكذلك الدورة الاستثنائية لمجلس وزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي لبحث العدوان الإسرائيلي المتواصل على الشعب الفلسطيني، والتي عقدت في جدة بالمملكة العربية السعودية في آذار/

مارس 2023، وخصوصًا مؤتمر القمة الإسلامي الاستثنائي السابع الذي عُقد في إسطنبول بالجمهورية التركية أيار/ مايو 2018، بمعنى أن تلك القرارات كانت تأتي في سياق التراكم المتواصل في مواكبة تطورات الوضع المقدسي والسياسات والإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس.. وفي إشارة تقليدية كانت قرارات منظمة التعاون ترحب بالقرارات المتعلقة بفلسطين والقدس الشريف التي اعتمدتها القمة العربية التي تؤكد أن قضية القدس الشريف تشكل جوهر قضية فلسطين، وأن السلام الشامل والعادل لن يتحقق إلا بإنهاء الاحتلال وعودة مدينة القدس الشريف إلى السيادة الفلسطينية باعتبارها عاصمة لدولة فلسطين، بما يفيد تبني ودعم القرارات العربية. وبنفس الوقت كانت تستذكر جميع قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، بما فيها قرارات مجلس الأمن الدولي وقرارات الدورة الاستثنائية الطارئة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة.

وتؤكد مجددًا على الفتوى القانونية لمحكمة العدل الدولية بتاريخ تموز/ يوليو 2004 ومؤتمرات الدول الأطراف السامية المتعاقدة في اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 بشأن انطباق أحكام الاتفاقية على أرض دولة فلسطين والقدس؛ إشارة إلى ضرورة توافر نظام حماية دولي للشعب الفلسطيني والمقدسات، حيث أعرب المجلس عن إدانته الشديدة لتواصل وتصاعد الاعتداءات الإسرائيلية على الأماكن المقدسة في مدينة القدس الشريف والمدن الفلسطينية الأخرى وتدنيس الأماكن المقدسة وسنّ تشريعات لتحقيق ذلك؛ وحذّر من العواقب المترتبة على تصاعد وتيرة الاعتداءات على المدينة المقدسة واستهداف أهلها ومقدساتها وتحديدًا المسجد الأقصى المبارك.

وذهب إلى إعادة التأكيد على مكانة قضية القدس الشريف والدفاع عنها والتي تقع في صميم أهداف ومبادئ وعمل المنظمة، وعلى الهوية العربية والإسلامية للقدس الشريف، عاصمة دولة فلسطين وسيادتها الكاملة عليها، ودعوة كل الدول الأعضاء إلى التقيد بقرارات القمم الإسلامية وغيرها من المؤتمرات

الأخرى فيما يتعلق باتخاذ إجـــراءات ضد أي دولة تعترف بمدينة القدس المحتلة عاصمة مزعومة لإسرائيل، سلطة الاحتلال الاستعماري، أو تنقل سفارتها إليها، بما في ذلك من خلال تقييد ومراجعة العلاقات معها، إلى أن تمتثل لقرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة.

كـــما دعا جميع الدول والمؤسســـات والهيئـــات الدولية إلى الالتـــزام بالقرارات الدولية بشـــأن مدينة القدس التي تُعدّ جزءًا لا يتجزأ من الأرض الفلسطينية المحتلة عام1967، وكذلك إلى عدم المشاركة في أي اجتماع أو نشاط يخدم أهداف إسرائيل في تكريس احتلالها الاستعماري وضمها للمدينة المقدسة، ويدعوها للامتناع عن اتخاذ أي خطوة من شـــأنها أن تتضمن أي شكل من أشكال الاعتراف العلني أو الضمني بضم إسرائيل، سلطة الاحتلال الاستعماري، لمدينة القدس الشريف، وإلى الامتناع عن أي شكل من أشـــكال التعاون والتنسيق مع ســـلطات الاحتلال الاستعماري الإسرائيلي بما يتعلق في مدينة القدس الشريف، بما في ذلك توقيع الاتفاقيات التي من شأنها أن تؤثر على الوضع السياسي والقانوني للمدينة المقدسة.

وجاءت هذه القرارات في ســـياق اعتزام كل من هنغاريا وأستراليا والتشيك، فتح مكاتب تجارية ودبلوماســـية لها في مدينة القدس الشريف، في مخالفة واضحة للقانـــون الدولي ولقرارات الأمم المتحدة، بما فيها قـــرار مجلس الأمن رقم: 478 (1980)، إذ عـــبّر المجلس عن إدانته لفتح هذه المكاتـــب، داعيًا الدول الأعضاء في المنظمـــة إلى اتخاذ كل الإجراءات التي من شـــأنها حثهم على إغلاقها والالتزام بالقانون الدولي وقـــرارات الشرعية الدولية، وكرر المجلـــس إدانته نقل كل من الولايات المتحدة الأمريكية وغواتيمالا وكوسوفو ومن تبعها سفارات بلادهم إلى مدينة القدس الشريف والاعتراف غير القانوني بمدينة القدس الشريف عاصمة لإسرائيل، ويعتبر هذه الإجراءات تهديدًا للأمن والسلم الدوليين واعتداءً سافرًا على منظومة القانون الدولي وعلى الحقوق التاريخية والقانونية والطبيعية للشـــعب الفلسطيني واســـتهدافًا لتطلعاته المشروعة لنيل حريته واســـتقلاله، وعلى الأمة

الإســـلامية وعلى حقوق المسيحيين والمســـلمين في العالم أجمع، وأعرب عن بالغ قلقه إزاء إعلان بعـــض الدول عن نيتها نقل ســـفاراتها إلى القدس الشريف، بما فيها الأرجنتين والباراغـــواي وبابوا نيو غيني، وطالب الدول الأعضاء بالتحرك العاجل لإثنائها عن هذه الخطوة التي ســـتعرّضها للمســـاءلة القانونية لانتهاكها القرارات الدولية الخاصة بمدينة القدس الشريف.

كما طالـــب المجتمع الـــدولي بإدانة سياســـات وإجراءات إسرائيل، ســـلطة الاحتلال الاستعماري، غير القانونية التي تعمل على ضم القدس الشرقية، مذكرًا بالموقف الإســـلامي الداعي إلى تجنيد كل الإمكانيات لمجابهة هذا القرار وتطبيق المقاطعة السياسية والاقتصادية على الدول أو المسؤولين الدوليين الذين يساهمون في ذلـــك، داعيًا إلى احترام جميع قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، ومطالبًا جميع الدول الأعضاء بقطع العلاقات مع أي جهة رســـمية أو غير رسمية تعترف بضم إسرائيل، سلطة الاحتلال الاستعماري، لمدينة القدس الشريف.

وطالب مجلس الأمن الدولي بتحمل مسؤولياته بموجب ميثاق الأمم المتحدة، واتخـــاذ الإجراءات الكفيلة بالتصـــدي لجرائم الحرب والجرائم ضد الإنســـانية التي ترتكبها إسرائيل، ســـلطة الاحتلال الاستعماري، بشكل متصاعد، وتحديدًا الاستعمار الاســـتيطاني للأرض الفلســـطينية المحتلة، خصوصاً في مدينة القدس الشريف، محـــذّرًا من مواصلة اعتداءات الجمعيات الاســـتيطانية الصهيونية على الأماكن المقدســـة والأوقاف الإسلامية والمســـيحية، وأعرب المجلس عن إدانته الاعتـــداء على حرمة المقابر الإســـلامية، وكل المواقف والإجـــراءات التي تمس بالوضع القانوني للأرض الفلســـطينية المحتلة، كما عبّر عن إدانته بأشد العبارات المحاولات المتكررة للاحتلال الاســـتعماري الإسرائيلي لتزييف الحقائق التاريخية المتعلقة بالقدس الشريف وافتتاحها لما يســـمى بـ«طريق الحجاج اليهود»، وإعاقة مشاريع الترميم التي ينفذها «الصندوق الهاشمي» و«دائرة الأوقاف بالقدس» في

حرم المسجد الأقصى وحوله، وفرض المناهج التعليمية الإسرائيلية على المدارس الفلسطينية في القدس الشريف.

وأكد على ضرورة تنفيذ كل قرارات المؤتمرات الإسلامية السابقة التي تؤكد على دعم مدينة القدس الشريف وتعزيز صمود أبنائها، ويدعو الدول الأعضاء إلى تقديم كل أشكال الدعم الاقتصادي لتطوير القطاعات الحيوية في مدينة القدس الشريف ويعزز صمود أهلها.

2- **عربيًّا**: لم تكن قرارات مجالس جامعة الدول العربية عن مستوى المندوبين، مرورًا بمستوى وزراء الخارجية إلى مستوى القمة، مغايرة من حيث الشكل والمضمون عن قرارات منظمة التعاون الإسلامي، خاصة وأن أصل إعداد مشاريع تلك القرارات هو المبادرة والصياغة الفلسطينية، حيث تقدم دولة فلسطين مشروع القرار المراد اعتماده والمصادقة عليه، سواء لمنظمة التعاون الإسلامي أو لجامعة الدول العربية.

كما أن جميع الدول العربية الأعضاء بجامعة الدول العربية لها نفس العضوية بمنظمة التعاون الإسلامي، ولها بالتالي نفس الموقف حيال مختلف القضايا التي تتبناه في إطار الجامعة هو ذات الموقف الذي تتبناه في إطار منظمة التعاون الإسلامي.

إن استعراض مضمون قرار جامعة الدول العربية المتخذ في العام 2024 بمختلف مستويات اتخاذ القرار، يؤكد مدى التماهي مع قرارات منظمة التعاون الإسلامي، وإن كان بالدائرة الأكثر اتساعًا من حيث عدد الدول الأعضاء البالغ 22 دولة في الجامعة و56 دولة بمنظمة التعاون الإسلامي. مع الإشارة إلى أن هذا القرار بالمنظمتين وإن كان يواكب تطورات الوضع في القدس بالصورة الزمنية، فإنه بذات الوقت امتداد يبنى على ما تم اتخاذه من قرارات بدورات سابقة لمجالس

اتخاذ القرار بالمنظمتين، فيأتي في سـياق مواصلة تطوير ومراكمة وتحديث النص عن قرارات سابقة.

وبالعودة إلى القرار على المسـتوى العربي لهذا العام كجزء من مكونات المشهد المقدسي للعام 2024، نجد أن نفس صيغة القرار شـكلًا ومضمونًا كانت ترتقي من قرار للمجلس على مسـتوى المندوبين إلى مجلـس وزراء الخارجية، وصولًا للقمة المنعقدة بالبحرين في أيار/ مايو 2024.

وبالتأكيد فإن اسـتعراض مضمون قرار هذه القمـة يختصر ويعرض مختلف المستويات كالآتي:

إن مجلـس الجامعة على مسـتوى القمة، وإذ يؤكد على جميـع قراراته وبياناته السابقة بخصوص القضية الفلسطينية والصراع العربي- الإسرائيلي؛ على مستوى القمـة وآخرها قرارات قمـة جدة د.ع (32) لعام 2023، وعلى مسـتوى وزراء الخارجية وآخرها قرارات الدورة (161) في مارس/ آذار 2024.

يقرر:

1- التأكيد مجددًا على أن القدس الشرقية هي عاصمة دولة فلسـطين، ورفض أي محاولة للانتقاص من الحق بالسيادة الفلسطينية عليها.

2- الإدانة الشـديدة والرفض القاطع لجميع السياسات والخطط الإسرائيلية الممنهجـة وغير القانونيـة التي تهدف لإضفاء الشرعيـة على ضم المدينة المقدسـة وتشـويه هويتها العربية، وتغيير تركيبتها السـكانية وتقويض الامتداد السـكاني والعمـراني لأهلها، وعزلها عن محيطها الفلسـطيني، والتأكيـد على أن هذه السياسـات والخطط والممارسـات تشـكل خرقًا للقرارات الدولية ذات الصلة.

3- تقديم التحية والدعم لصمود الشعب الفلسطيني ومؤسساته في مدينة القدس المحتلة.

4- الإدانة الشديدة للحصار الإسرائيلي المستمر على المسجد الأقصى المبارك، والذي يشمل تقويض حرية العبادة، واستباحته واقتحامه وتدنيسه وتخريب محتوياته من قبل أفواج المستوطنين الإسرائيليين وإقامتهم طقوسًا تلمودية فيه، وخاصة المحاولات الرامية إلى تغيير الوضع التاريخي والقانوني القائم في المسجد الأقصى المبارك، وتقسيمه زمانيًّا ومكانيًّا، وكذلك محاولة السيطرة على إدارة أوقاف القدس وشؤون المسجد الأقصى المبارك الأردنية ومحاولة فرض القانون الإسرائيلي على المسجد الأقصى المبارك.

5- الإدانة الشديدة لتصاعد وتيرة العدوان الإسرائيلي الممنهج، على مدينة القدس المحتلة من خلال تكثيف سياسة قتل المدنيين وهدم المنازل والتهجير القسري للمواطنين، وكذلك تصاعد المخططات والمشاريع الاستيطانية الإسرائيلية في المدينة، ودعوة المجتمع الدولي لاتخاذ إجراءات عملية رادعة لهذه المشاريع الاستعمارية التي تنتهك القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة.

6- الإدانة الشديدة للاقتحامات المتكررة والمتصاعدة بأعداد غير مسبوقة من قبل المسؤولين الإسرائيليين وعصابات المستوطنين المتطرفين للمسجد الأقصى المبارك.

7- الإدانة الشديدة لقرارات وإجراءات إسرائيل، ومنظومتها القضائية الظالمة، والحملات الإرهابية المنظمة للمستوطنين الإسرائيليين المدعومة من جيش وشرطة الاحتلال، والتي تستهدف تهجير أهالي مدينة القدس

المحتلة، ضمن حملة إسرائيلية ممنهجة للتطهير العرقي وتثبيت نظام الفصل العنصري. ومطالبة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المتخصصة، بتحمل المسؤوليات القانونية والأخلاقية والإنسانية من أجل الوقف الفوري لهذا العدوان والتهجير القسري، وإيجاد الآليات الفعالة لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني.

8- دعوة الدول الأعضاء إلى دعم جهود دولة فلسطين في اليونسكو للحفاظ على التراث الثقافي والتاريخي لفلسطين، خاصة في القدس الشريف.

9- المطالبة بتنفيذ القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، الصادرة عن الأمم المتحدة، والمجلس التنفيذي لليونسكو، ولجنة التراث العالمي التابعة لليونسكو، والتي أكدت على أن المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف بكامل مساحته والبالغة 144 ألف متر مربع هو مكان عبادة خالص للمسلمين فقط.

10- إعادة التأكيد على إدانة ورفض الإجراءات الإسرائيلية الممنهجة وغير القانونية لتقويض الكنائس وإضعاف الوجود المسيحي في المدينة المقدسة، وهو ما يشكل انتهاكًا فاضحًا للوضع القانوني والتاريخي القائم لمقدسات المدينة.

11- إدانة إسرائيل، لمصادرتها أراضي المواطنين المقدسيين والهدم غير الشرعي لبيوتهم، خدمة لمشاريعها الاستيطانية داخل أسوار البلدة القديمة وخارجها، بما فيها المشروع الاستيطاني المسمى (E1).

12- التأكيد على إدانة السياسة الإسرائيلية الممنهجة لتشويه وتغيير الثقافة والهوية العربية والإسلامية لمدينة القدس، سواء من خلال إغلاق المؤسسات الثقافية الفلسطينية ومحاولات سرقة التراث الفلسطيني، أو

من خلال محاولات تغيير المناهج التعليمية.

13- إعـــادة التأكيد على رفض وإدانة أي قرار أحـــادي يخرق المكانة القانونية لمدينة القدس الشريف بما يشـــمل افتتاح أي مكاتب أو بعثات دبلوماسية في المدينة، بما في ذلك قرار الولايات المتحدة الأمريكية السابق بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقل ســـفارتها إليهـــا، وقرارات هندوراس وكوسوفو والتشيك المخالفة للقانون الدولي بفتحهم بعثات دبلوماسية في مدينة القدس الشريف.

14- إعادة التأكيد على اعتزام الدول الأعضاء اتخاذ جميع الإجراءات العملية اللازمة، على المستويات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، لمواجهة أي قرار من أي دولة تعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل أو تنقل سفارتها إليها.

15- مطالبة جميع الدول بالالتزام بقراري مجلس الأمن رقم 476 ورقم 478 لعام (1980)، وقـــرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقـــم (2017) RES/ A/ 10/ ES19/ ، الذي أكـــد على أن أي قرارات أو إجراءات تهدف إلى تغيير طابع مدينة القدس الشريف أو مركزهـــا أو تركيبتها الديمغرافية، ليس لها أي أثـــر قانوني، وأنها لاغية وباطلة، ودعا جميع الدول للامتناع عن إنشاء بعثات دبلوماسية في مدينة القدس الشريف.

16- تأييـــد ودعم قرارات وإجـــراءات دولة فلســـطين في مواجهة أي دولة تعترف بالقدس عاصمة لدولة الاحتلال.

17- مطالبة المجتمع الدولي بالضغط على سلطات الاحتلال الإسرائيلي لوقف سياسة الحبس المنزلي التي تمارسها بشكل واسع وممنهج ضد أطفال مدينة القدس المحتلة، وإدانة الإجراءات الإسرائيلية التعســـفية باعتقال وفرض الإقامة الجبريـــة على شـــخصيات اعتبارية فلســـطينية في مدينة القدس، واستمرار إغلاق المؤسسات الوطنية العاملة في القدس.

18 – الدعوة لمتابعة وتنفيذ بنود البيـــان الختامي والنتائج الصادرة عن مؤتمر القدس رفيع المســتوى، الذي عقد تحت شــعار «صمود وتنمية»، في مقر جامعة الدول العربية يوم 12/ 2/ 2003.

19– التأكيــد على المســؤولية العربية والإســلامية الجماعية تجــاه القدس، ودعوة جميع الدول والمنظمات والصناديق العربية والإســلامية ومنظمات المجتمع المدني إلى ترجمة الدعم العــربي لمدينة القدس إلى تدخلات عملية تشــمل توفير الدعم والتمويل اللازم في مجالي التنمية والاســتثمار، لتنفيذ المشروعات الواردة في إطار خطة التدخلات التنموية 2023– 2025 التي قدمتها دولة فلسطين لمؤتمر القدس رفيع المستوى.

20– الطلب من الأمانة العامة، بالتنسيق مع دولة فلسطين، إنشاء آلية تنسيقية طوعية في إطار جامعــة الدول العربية من الهيئات والمؤسســات الخيرية الرسمية وصناديق الاستثمار وشركات القطاع الخاص التي تسميها الدول الأعضاء، ومؤسســات القدس، بهدف دعم المشــاريع التنموية الصغيرة والمتوســطة الهادفة إلى تعزيز صمود أهل القدس، وذلك استنادًا إلى قرار قمة جدة الدورة 32 رقم (817 – فقرة 22).

21– دعوة الدول الأعضاء إلى وضــع الآليات اللازمة لتنفيذ الفقرة (7) من قــرار الدورة 110 للمجلس الاقتصادي والاجتماعي رقم 2350، بشــأن تعزيز صمود مدينة القــدس من خلال التبرع بقيمــة أصغر عملة نقدية تضــاف على فاتورة الهاتف الثابت والمحمول لمشــتركي الخدمة في الدول العربية، وتفويض البنك الإسلامي للتنمية بإدارة هذه التبرعات.

22– تثمــين الدور الأردني في رعاية وحماية وصيانة المقدســات الإســلامية والمســيحية في القدس، في إطار الوصاية الهاشمية ودعم دور لجنة القدس

برئاسة جلالة الملك محمد السادس، وكذلك توجيه التقدير للجهود التي تبذلها الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية دعمًا للقضية الفلسطينية، وتوجيه التقدير للمملكة العربية السعودية وما تقدمه من دعم للأوقاف الإسلامية بمدينة القدس، وتوجيه التقدير لجمهورية مصر العربية على دورها التاريخي في دعم القضية الفلسطينية.

23- مطالبة المجتمع الدولي بالضغط على إسرائيل، من أجل عدم عرقلة الانتخابات العامة الفلسطينية في مدينة القدس الشرقية المحتلة.

24- الدعوة إلى دعم وزيارة مدينة القدس، والمقدسات الإسلامية والمسيحية فيها، والتشديد على زيارة المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف لكسر الحصار المفروض عليه.

25- دعوة الدول والمنظمات والهيئات والمرجعيات الدينية، بما فيها الأزهر الشريف، إلى عقد المؤتمرات وتنظيم الفعاليات الهادفة إلى الحفاظ على الوعي والانتماء والذاكرة العربية والإسلامية والإنسانية لمدينة القدس ومقدساتها، وتوجيه الشعوب للقيام بواجباتها نحوها..

26- دعوة العواصم العربية مجددًا للتوأمة مع مدينة القدس، ودعوة المؤسسات الحكومية وغير الحكومية التعليمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، للتوأمة مع المؤسسات المقدسية المماثلة دعمًا لمدينة القدس المحتلة وتعزيزًا لصمود أهلها ومؤسساتها.

27- تثمين جهود البرلمان العربي ودعوة البرلمانات العربية إلى تحركات مماثلة مع البرلمانات حول العالم..

28- التأكيد على أهمية دور الإعلام في دعم وحماية مدينة القدس المحتلة ودعوة الوزارات والمؤسسات المعنية بالإعلام في الدول الأعضاء إلى

تسليط الضوء على الرواية العربية الفلسطينية حول المدينة المقدسة وتنفيذ الخطة الإعلامية الدولية بشأن القدس.

إن اســتعراض بنود القرار الخاص بالقدس الذي تبنته القمة إنما يأتي في إطار توثيق وبيــان المحتوى الكامل لما جرى حتى يســتخلص القــارئ عمومية هذا المحتوى وشمولية متابعته التفصيلية لمختلف المستجدات الخاصة بالقدس. وهنا تجدر الإشــارة إلى أن منهج إعداد القرار العربي اعتمد على البناء التراكمي على ما ســبق، ليواكب تصاعد حدة الإجراءات والسياسات الإسرائيلية التي تستهدف القدس بما يحافظ على نفس إيقاع القرار المتخــذ، والذي يفتقد آلية التنفيذ. ذلك لأن إسرائيل تواصل تنفيذ مشــاريعها ومخططاتها لتغيــير هوية القدس وفرض واقع قسري جديد، وهو الأمر الذي ينطبق على مختلف أبعاد القضية الفلســطينية ويكشف مدى العجز الدولي في إلزام قوة الاحتلال بأبسط قواعد القانون الدولي، ما يعرّض النظام الدولي بذاته للفشل الذريع.

ونســتطيع أن نقول إن القمة العربية والإسلامية المشتركة التي جاءت لدورة غير عادية بشــأن العدوان الإسرائيلي المتواصل على فلسطين ولبنان وانعكاساته على المنطقة والتحرك إزاءه، المنعقدة بالرياض، في المملكة العربية الســعودية 11 نوفمبر/ تشرين الثــاني 2024 هي النموذج الأخير لما يُمكن إصداره من قرارات بصورة مشتركة تعبر عن الموقف الموجز المشترك للمنظمتين بما يُمثل الحد الأدنى من التحرك العربي والإسلامي لمجابهة التحديات والمخاطر الجسيمة التي تجتازها القضية الفلسطينية بما فيها القدس. وكان قرار القمة المشتركة بشأن القدس يوجز كل القرارات الســابقة ويُعبّر عن هذا الموقف العربي الإســلامي، لذا أصدرت القمة المشــتركة القرار الذي لم يكن مغايرًا أو مختلفًا عن نصوص تلك القرارات الإنشائية، حيث عبّرت القمة عن:

- الإدانة الشديدة للإجراءات العدوانية الإسرائيلية التي تستهدف المقدسات الإسلامية والمسيحية في مدينة القدس وتغيير هويتها العربية الإسلامية والمسيحية، ومطالبة المجتمع الدولي الضغط على إسرائيل لوقفها، والتحذير من استمرار الاعتداءات على المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف، بما في ذلك تقويض حرية العبادة في المسجد، ومنع المصلين من الدخول إليه، واستباحته واقتحامه وتدنيسه وتخريب محتوياته من قبل أفواج المستوطنين الإسرائيليين، والمحاولات الرامية إلى تغيير الوضع القانوني والتاريخي القائم في المسجد الأقصى المبارك وتقسيمه زمانيًّا ومكانيًّا، والتأكيد أن المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف بكامل مساحته البالغة 144 ألف متر مربع، هو مكان عبادة خالص للمسلمين فقط، وأن إدارة أوقاف القدس وشؤون المسجد الأقصى المبارك التابعة لوزارة الأوقاف الأردنية هي الجهة الشرعية الحصرية صاحبة الاختصاص بإدارة المسجد الأقصى المبارك وصيانته وتنظيم الدخول إليه، في إطار الوصاية الهاشمية التاريخية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس المحتلة.
- مطالبة مجلس الأمن باتخاذ قرار يلزم إسرائيل بوقف هذه السياسات غير القانونية التي تهدد الأمن والسلم في المنطقة، وبتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بمدينة القدس الشريف، وإدانة قيام أي طرف بالاعتراف بالقدس عاصمة مزعومة لإسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال، باعتباره إجراء غير قانوني وغير مسؤول، ويشكل اعتداءً على الحقوق التاريخية والقانونية والوطنية للشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية، واعتبار أن أي خطوة ترمي إلى تغيير الوضع القانوني لمدينة القدس الشريف هي خطوة غير قانونية وتعد انتهاكًا خطيرًا للقانون الدولي ولقرارات الأمم المتحدة

ذات الصلة، يجب العمـــل على إلغائها والتراجع عنها فـــورًا، ودعوة أي دولة أقدمت على خطوات تمس الوضع القانوني والتاريخي القائم في مدينة القدس إلى التراجع عن هذه الخطوات غير القانونية، والتأكيد على ضرورة العمل على تثبيت المقدسيين على أرضهم، وبما في ذلك من خلال دعم لجنة القدس وذراعها التنفيذي، وكالة بيت مال القدس الشريف.

وعلى ضوء ما تقدم، تنكشـــف مدى الفجوة بين ما تنفذه سلطة الاحتلال من مشـــاريع ومخططات، وما تمارســـه من فرض لوقائع على الأرض، بكل ما تحمله هذه السياسات والممارســـات من مخاطر وتحديات، وبين عمومية المواقف العربية والإســـلامية، والتي لا نقلل من أهميتها وشأنها، غير أنها لم تعد كافية للارتقاء في سبيل التصدي لما تتعرض له القدس من مخططات ووقفها.

وإزاء هـــذه التحديات الخطيرة التي تواجه القضية الفلســـطينية برمتها، يظل الســـؤال الأهم مطروحًا على الأمتين العربية والإسلامية، بل على العالم أجمع: إلى متى؟

الأوجه المتعددة للقدس
من التناقض إلى الاحتفاء بالتنوع

د. وليد سالم

مدير تحرير مجلة المقدسيّة، محاضر في برنامج ماجستير دراسات القدس- جامعة القدس

بمثابة مقدمة: أسئلة القدس

كيف حصل أن تكون القدس محط صراع على مدار تاريخها؟ هل ظلت القدس طيلة تاريخها مدينة تشظٍّ وتشرذم ونكران لوجود الآخر والاعتراف به؟ هل استطاعت أن تكون موئلًا للاحتفاء بالتنوع في أيّ عهد من عهودها، على قاعدة المشاركة في المواطنة بدلًا من الصراع؟ وماذا كانت شروط تحققه إذا تم؛ لاستلهام دروس الماضي في بناء حاضر ومستقبل غير دمويّ للمدينة؟ وكيف حصل أن يكون الدين عاملًا محفزًا للصراع بين الأديان المختلفة، وكذلك بين الطوائف المختلفة داخل كل دين، بدلًا من أن يكون عامل تجميع وخلق للقواسم المشتركة؟ وكيف حصل أن تكون هويّة القدس الوطنيّة الفلسطينيّة عرضة للتهديد بسبب ادعاءات تاريخيّة قديمة، وأخرى دينية؟ ولماذا تكون الادعاءات الدينيّة ذريعة للمطالبة بالسيادة السياسيّة على المدينة؟ ولماذا العجز عن اللحاق بالتجربة العالميّة القاضية، بأن الحقوق الدينيّة للطوائف المختلفة يمكن تحقيقها في ظل سيادة وطنيّة فيها مشاركة في

المواطنة، تعترف بالتعدد وتعمل على إدارته بطرق سلمية؟ وهل يمكن للمدينة أن تتخطى كل هذه التناقضات المتراكبة باتجاه بناء مدينة تحتفي بالتنوع وتديره بطرق سلميّة، في إطار احترام الحق في السيادة الوطنيّة المعمول به عالميًّا، والمواطنة المشتركة؟

تدور ورقتنا حول هذه الأسئلة، وتقترح إطار تفكير يفكك معضلاتها، باتجاه بناء مستقبل يحتفي بالتنوع للمدينة. إذ تبدأ الورقة بعرض موجز للتجربة العالميّة في إدارة التداول بين التشرذم والتنوع، مع التركيز على الوجهيْن الوطنيّ والدينيّ كمثاليْن لهذه الإدارة، وأين وصلت إليه الممارسة العالميّة بهذا الخصوص. ويلي ذلك عرض حالة القدس، والوجوه المتعدّدة لها كالوطنيّة، والدينيّة، والاجتماعية- المجتمعيّة، والثقافية... الخ. ثم تستعرض الورقة تجليات هذه الوجوه من خلال تقاطعات وتناقضات القدس، وجيروسالم، ويروشاليم. وتنتهي الورقة بخاتمة لمستقبل القدس، ينبني على آليّة سلميّة لإدارة شؤونها، في إطار المواطنة المشتركة، مستلهمة أفكار القائد الراحل فيصل الحسيني بهذا الخصوص، وإعادة قراءتها، في ضوء التغيرات التي حدثت منذ ما بعد وفاته عام 2001 حتى تاريخه.

إدارة التشرذم والتنوع، وإدارة الوطنيّ والدينيّ: أين وصلت التجربة العالمية؟

تتميز المجتمعات ما قبل الحديثة، سواء كانت قديمة أم معاصرة، بغياب العلاقات القائمة على رابطة المواطنة المتساوية في الحقوق، وترتب عن ذلك وجود مزيج من سيادة البنى ما قبل المواطنية؛ وهي البنى العضويّة (العائليّة، والعشائريّة، والقبليّة) القائمة على رابطة الدم، وما بعد العضويّة (الطائفيّة، والجهويّة، والفئويّة، والزبائنيّة)، القائمة على الولاءات والتبعيات في إدارتها السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصادية. وتسمى هذه المجتمعات أيضًا بالمجتمعات البطريركيّة، وما بعد البطريركية. ويعود الطابع البطريركيّ بأشكاله المختلفة إلى أب وزعيم عشيرة وقبيلة، فيما تعود أشكال الطابع ما بعد البطريركيّ إلى زعيم الطائفة، والشيخ، والمختار، وربّ العمل الاقتصادي، وزعيم الحزب أو الفئة السياسيّة الذي يكون له أتباعه المتعصبون ضد الفئات الأخرى (الفئوية)، أو أزلامه الذين يتحزبون إلى جانبه

ضد آخرين داخل نفس الفئة السياسيّة (الزبائنية). وإضافة للزبائنيّة السياسيّة، هنالك فئات أخرى تظهر على المستويات الاجتماعيّة والاقتصادية. وقد فصل شرابي وبركات وسلامة حول هذه المجتمعات (شرابي 1999، وشرابي 1987، وبركات 1998).

تتسم المجتمعات العضويّة، وما بعد العضويّة، بصفتين أساسيتين: الأولى، هي الذكوريّة، والثانية هي الانقسامات على أسس عضويّة وما بعد عضويّة بأشكالها الواردة في الفقرة السابقة، بحيث يغيب الاندماج الاجتماعيّ والعيش المشترك، وعكس ذلك يفرز التشرذم والتشظّي والعيش في دوائر لا تفاعل بينها ومغلقة عن بعضها بعضًا، والعداء والاحتراب الداخلي. وفي هذه المجتمعات -ما قبل الحديثة- يدار التنوع الاجتماعيّ والثقافيّ والدينيّ والقوميّ على أساس إحدى طريقتين كلاهما ترفض المواطنة: الأولى، ترفض الشاذ وتركز على التجانس، الذي يتم فرضه بالقوة وحراب السيف غالبًا. والثانية، تدير التنوع بطريقة تسود فيها الأغلبيّة وتفرض فيها أنظمة ذات طابع دونيّ تجاه الأقليات.

يقود فرض التجانس إلى الاستبداد، حيث يتسم النظام السياسيّ والاجتماعيّ في هذه الحالة بفرض قواسم مشتركة من فوق، من قبل زعيم، أو شيخ، أو مختار. وحين يتم مطّ التجانس باسم القواسم المشتركة إلى نهاياته، يطمس التنوع (Anderson, 1996). ووفق الطريقة الأخرى تعطى الأولويّة لسيطرة الأغلبيّة سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا، وتحظر التجليات الثقافيّة للأقليات والمختلفين، وتسنّ قوانين تعطي مواقع دونيّة للأقليات.

بتطبيق ما ورد على إدارة العلاقة بين الوطنيّ والدينيّ، فقد تغيرت التجربة العالميّة بين القرون الوسطى وبين التاريخ الحديث والمعاصر بهذا الخصوص. ففي القرون الوسطى استندت أنظمة الحكم في الغرب إلى الشرعيّة الدينيّة، وكان الملوك يتبعون الكنيسة، وتمت حروب الفرنجة (1096- 1291) ضد المسلمين باسم الصليب.

في العالم العربي والإسلامي، كان الخليفة يتعامل على أساس أنه خليفة الله على الأرض، وذلك مما يتناقض مع ما ذهب إليه علماء عديدون، منهم علي عبد الرازق الذي أفاد، منذ عام

1925، بأن الاستخلاف يعود للأمة وليس للحاكم الفرد، وأن عكس ذلك هو الاستبداد الذي لا يمت بصلة إلى أصول الحكم في الإسلام (عبد الرازق، 2011)، وكما يفيد التاريخ الإسلاميّ، فقد أقام بعض الخلفاء حكمهم على العدل، فيما أقامه آخرون وفق صيغة المستبد العادل كما سميت، وأقامه آخرون بطريقة استبداديّة منقولة عن أكاسرة الفرس وقياصرة الروم ونماردة بابل وفراعنة مصر، وجنكيز خان وتيمورلنك، وليس من الإسلام كما أفاد روحي الخالدي (الخالدي، 1908، ص69:) وقد أسهب عبد الرحمن الكواكبيّ منذ أواخر القرن التاسع عشر في تشريح ذلك الاستبداد في كتابيه «أم القرى»، و«طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» (الكواكبي، 1982، 2007).

وهكذا فإن، مَن حكموا بالعدل سرى حكمهم على كل المسلمين وغيرهم، وساد التسامح في التعامل مع أهل الذمة، بل ووظِّفوا في أعلى درجات السلم الوظيفيّ في الدولة الإسلاميّة، ويسرد عثامنة الأمثلة التي لا مدعاة لتكرارها هنا (عثامنة، 2000، ص: 138-142)، أما المستبدون العادلون فقد استبدوا بذريعة تحقيق العدل بالمسلمين وغيرهم، ووقع بطش المستبدين على المسلمين أكثر مما وقع على غيرهم، هذا فيما شدد هؤلاء الأخيرون على التطبيق الحرفيّ للإجراءات المتعلقة بأهل الذمة من المسيحيين واليهود/ وربطوا التسامح مع أهل الذمة بمقدار حفظهم لأمن الدولة وعدم التعاون مع قوى خارجيّة ضدها، والأمثلة على ذلك يذكرها عثامنة (عثامنة، 2000. ص: 136). على أن الأمر قد تخطى هذه الإجراءات العقابيّة ضد المسيحيين عند موالاتهم للبيزنطيين، حيث قام بعض الخلفاء الاستبداديين ضد المسلمين، بالاستبداد ضد المسيحيين أيضًا، وتجلى ذلك بفرض قيود تتعلق باللباس والوظائف وإنشاء الكنائس على المسيحيين (عثامنة، 2000، ص:142). ويستعرض عثامنة ما ترتب عن هذه السياسات من ممارسات ضد المسيحيين في القدس من فرض الوشم والجزيّة وغير ذلك، حتى وصل الأمر بالحاكم المستبد الذي سمّى نفسه باسم «الحاكم بأمر الله» الفاطميّ، لأن يقوم بهدم كنيسة القيامة عام 1007 ميلاديّة (عثامنة، 2000. ص: 147-151).

استمر حكم الاستبداد، والعمل بالأحكام المتعلقة بأهل الذمة، في العالم العربيّ والإسلامي، إلى حين صدور قانون المواطنة العثمانيّ عام 1869، والذي نص على مساواة المواطنين العثمانيين أمام الدولة، بغض النظر عن دين كل منهم ولونه وجنسه، أو أيّ سبب آخر للتمييز. وتعزز ذلك في الدستور العثمانيّ الأول عام 1876، وإعادة إشهاره عام 1908.

حدث ذلك في الوقت الذي جرت فيه الثورات العلميّة والصناعيّة في أوروبا والتي نقلتها من عهد سيطرة الكنيسة إلى عهد الدولة الحديثة القائمة على المساواة السياسيّة بين المواطنين الذكور بداية في حق الترشيح والانتخاب، وبالتدريج تم ضم النساء إلى هذا الحق، وهو ما لا يدخل تفصيله في موضوع هذه الورقة. وفي هذا الإطار حصرت إمبراطوريّة الكنيسة السابقة في دولة الفاتيكان الصغيرة التي تحتل جزءاً من مساحة مدينة روما عاصمة إيطاليا، ولم يعد للكنيسة أيّة سلطة سياسيّة على أوروبا، واقتصرت سلطتها السياسيّة على دولة الفاتيكان الصغيرة، فيما بقيت لها سلطة روحيّة وحسب على المؤمنين من الطائفة الكاثوليكيّة في كل أرجاء العالم، دون أن تتطلب هذه السلطة الروحيّة ممارسة السيادة السياسيّة عليهم، وهي السيادة التي صارت تعود للدول الوطنية.

ما حصل مع الكنيسة الكاثوليكيّة، حصل أيضًا مع الكنيسة الأرثوذكسيّة منذ انهيار الإمبراطوريّة البيزنطيّة على يد العثمانيين بسقوط القسطنطينيّة عام 1453، وتحول روسيا الأرثوذكسيّة إلى الاشتراكيّة بعد الثورة البلشفيّة عام 1917.

يفيد هذا الاستعراض، بأن التحول نحو الدول الوطنيّة الحديثة التي تساوي بين المواطنين، قد أنهى تسلط المؤسسة الدينيّة على مؤسسات الدولة باسم الدين، بل وتم إخضاع الحيز الدينيّ للتنظيم من قبل الدولة الحديثة، التي تعطي لمواطنيها المتساوين حق الاعتقاد، وتوفّر لهم الفرص لبناء مؤسساتهم الدينيّة من مساجد وكنائس وكنس وغيرها بحريّة، ودون تدخل من الدولة من جهة، ودون أن يطالب المتدينون بالحق في السلطة السياسيّة انطلاقًا من الدين.

حالة القدس

في القــدس، هناك حالة خاصة تعاكــس تطور التجربة العالميّة نحو المواطنة المتســاوية المندمجة، ونحو رفض ادعاء الســيادة السياسيّة باسم الدين، إذ إن الصهيونيّة تسعى لفرض سيطرة ســياديّة على المدينة، انطلاقًا ليس فقط من ادعاءات تاريخيّة قديمة، ولكن أيضًا من ادّعاءات دينيّة توراتيّة تســتخدم لطرح حقوق تاريخيّة قديمة مستندة إليها، وكذلك لتقديم حقوق سياديّة معاصرة مخترعة.

ويساعد الصهيونيّة في ذلك تيارات أفنجلستيّة صهيونيّة مسيحيّة عالميّة لبعضها مقرات في القدس، وبعض هذه المقرات ســبقت نشوء الحركة الصهيونيّة، وتقول هذه التيارات فيما تقول بأن تجميع اليهود في فلســطين يمثل تمهيدًا لنزول المسيح من السماء وحلول ألف عام من الســلام بعد حرب هرمجدون. وجاءت هذه الطوائــف ومراكزها وجمعياتها إلى القدس وفلســطين منذ بدء القرن التاســع عشر، وذلــك للبحث عن أماكن وجــود التوراة فيها، ونشطت بشــكل مبكر في الدعوة إلى تجميع اليهود في فلسطين وتشكيل مملكة يهوديّة فيها، كما ســيتبين، ولاحقًا استقطبت هذه التيارات الأفنجلستيّة قســمًا من يهود أوروبا لتشكيل الصهيونيّة اليهوديّة، للعمل على تحقيق ادعاءاتها في فلسطين.

أما الطوائــف المســيحيّة في المدينة، فقد وجــدت طريقها للتوصــل إلى صيغة لإدارة التعارضات فيما بينها بشــأن ملكيّة وإدارة الأماكن المسيحيّة المقدسة بصورة سلميّة، وذلك بعد أن كانت هذه التعارضات تسبب صدامات سقط فيها قتلى وجرحى حتى أواخر العهد العثمانيّ، يفصلها العــارف (العــارف، 1992، ص: 363-364). ولم يخلُ الأمر أحيانًا من تدخلات من الدولة العثمانيّة وتوترات بين المســلمين والمســيحيين، يفصلها أيضًا العارف (العارف، 1992. ص: 358)، وجاءت أنظمة الستاتيسكو بفرمان عثمانيّ صدر عام 1852، لتنظم العلاقات وطرق إدارة الأماكن المقدسة بين الطوائف الدينيّة المسيحيّة من الأرثوذكس والكاثوليــك في القدس وبيت لحــم، وتعززت مضامين هذا الفرمــان في معاهدتَي باريس

وبرلين عاميّ 1856 و1878، حيث قضت بحريّة كل طائفة مسيحيّة في إقامة وفق شعائرها، وتجميد المطالبات من أيّ طائفة مسيحيّة بحق الملكيّة في الأماكن المسيحيّة المقدسة، ومنع أيّ بناء إضافيّ أو تغيير على الوضع القائم، سواء من الكنائس الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة (سالم، 2023، ص: 81).

أدت أنظمة الستاتيسكو إلى إيجاد آليّة لتصريف النزاعات بين الكنائس المسيحيّة في فلسطين بطريقة سلميّة لا زالت سارية حتى اليوم. وعوضًا عن ذلك يعتبر مسيحيو القدس -أرثوذكس وكاثوليك وإنجيليون- أنفسهم على أنهم فلسطينيون. كما لم تعد الفاتيكان تدّعي حقوقًا سياديّة في المدينة باسم الدين، وأقرت بحق السيادة الفلسطينيّة على المدينة مع حفظ حقوقها في إدارة أماكنها الدينيّة المقدسة في القدس، ورفض السيادة الصهيونيّة عليها، وفي عام 1994 تم تبادل الاعتراف الدبلوماسيّ بين الفاتيكان ومنظمة التحرير الفلسطينيّة، وفي عام 2000 وقّع الفاتيكان اتفاقًا مع منظمة التحرير الفلسطينيّة بهذا الخصوص. وفي عام 2015 اعترفت الفاتيكان رسميًّا بدولة فلسطين. ويستعرض متري الراهب في دراسة نشرتها مجلة المقدسيّة مواقف الكنائس المسيحيّة من قضيّة القدس وتأكيد الحقوق الوطنيّة الفلسطينيّة فيها تاريخيًّا (الراهب، ربيع، 2024). بكلمات أخرى وجدت فلسطين، بمسلميها ومسيحييها، طريقتها للالتحاق بالتجربة العالميّة في إدارة التنوع وحلّ التناقضات بين الطوائف، ولكن التحدي لذلك قد بقي من الحركة الصهيونيّة والحركات الأفنجلستيّة الغربية.

هويّة القدس... تقاطعاتها وتناقضاتها

أولًا: الوجه الوطنيّ: هويّة القدس الوطنيّة الفلسطينيّة

نشأت هويّة فلسطينيّة لفلسطين والقدس منذ آلاف السنين (مصالحة 2022، وسعيد وأبو لغد 1986)، ويفصل حولها مصالحة بالذات. ويعود الوجه المعاصر للهويّة الوطنيّة الفلسطينيّة للقدس، حسب الأدبيات، إلى فترة ثورة الفلاحين في القدس وفلسطين ضد

حكم إبراهيم باشا عام 1834 (Kimmerling and Migdal, 1998)، ويسرد رشيد الخالدي كيف تطورت الهويّة الوطنيّة الفلسطينيّة منذ ذلك الحين (Khalidi, 1997).

وتشمل الهويّة الفلسطينيّة للقدس، مسيحييها ومسلميها، وكذلك يهودها الفلسطينيون، الذين شاركوا في مناحي الحياة كافة فيها، خلال العهد العثماني، بما شمل أيضًا وجود ممثل لهم في بلديّة مدينة القدس منذ أنشأها العثمانيون عام 1863، وقبل ذلك في المجلس الاستشاريّ منذ عام 1840 لسنجق ثم لاحقًا متصرفيّة القدس، التي كانت تضم أقضية: القدس، والخليل، ويافا، وغزة، وكانت بيت لحم، وأريحا، ورام الله، واللّد والرملة، والمجدل، وبئر السبع مشمولة بهذه الأقضيّة آنذاك، ولو بمسميات أخرى، كما يورد شولش استنادًا لسالنامة 1871 العثمانيّة (شولش، 1990. ص: 30-31).

لقد ناهض يهود فلسطين الحركة الصهيونيّة في بداياتها؛ وذلك بسبب طبيعتها الغازية، وإعلانها الصريح بشكل مبكر عن نواياها لإحلال اليهود المهاجرين من أوروبا محل الفلسطينيين، أهل البلد الأصليين مسلمين ومسيحيين ويهودًا، ولكن بعضهم بدأ يلتحق بالصهيونيّة بالتدريج منذ أواخر العهد العثمانيّ، وتعزز ذلك في عهد الانتداب البريطانيّ بعد انتهاء قيد المواطنة العثمانية. وتدرس جاكوبسون وكارك توجهات يهود فلسطين خلال هذه الفترة (Kark and Glass 2004, Jacobson, 2001 & 2004).

وفي الوقت الذي اتجهت فيه أقسام كبرى من يهود فلسطين الأصليين نحو الصهيونيّة، فقد حافظ المسلمون والمسيحيون معًا على هذه الهويّة، وشكّلوا الجمعيات الإسلاميّة-المسيحيّة المشتركة، منذ عام 1918، وأنشأت هذه بدورها هيئة تنفيذيّة انبثقت عن مؤتمرات وطنيّة ثمانية عقدت بين أعوام 1919- 1928. ونظرًا لاتفاقيّة سان ريمو الاستعماريّة في نيسان/ أبريل 1920، التي قررت فصل فلسطين وسورية عن بعضهما بعضًا، ومنحت فرنسا حق الانتداب على سوريا في تموز 1920، فيما كانت بريطانيا تحتل فلسطين، فقد قرر المؤتمر الوطنيّ الفلسطينيّ الثالث، الذي عقد في حيفا في نهاية عام 1920 أنه لا مناص في ضوء

هذا الفصل من الدعوة إلى إنشـــاء حكومة وطنيّة في فلســـطين بانفصال عن سورية، تعمل ضد الهجرة الصهيونيّة وبيوع الأراضي، ولإنهاء الانتداب البريطانيّ في فلســـطين (سخنيني 1986، ص85-87).

واستمر كفاح الفلسطينيين المشترك معًا، مسلمين ومسيحيين، كذلك في فترة ثلاثينيات القرن الماضي، حيث نشطوا معًا في الأحزاب السياسيّة التي تشكلت في ذلك الحين، وكذلك في اللجنة العربيّة العليا، التي تشكلت عام 1936 لقيادة النضال الوطنيّ الفلسطيني، وأسماء إميل الغوري الذي كان أمينًا عامًا للجنة العربيّة العليا، وللحزب العربيّ الفلســـطينيّ الذي كان يقوده جمال الحسيني، وفؤاد سابا الذي أصبح أمين سر اللجنة العربيّة العليا عام 1937، وقبلها شـــارك في مشروع «صندوق الأمة» ومؤتمر الشباب الفلسطينيّ عام 1932، وعزّت طنّوس الذي شارك في اللجنة العربيّة العليا ومؤتمراتها مع الحكومة البريطانيّة في لندن، وأنشأ مكتبًا عربيًّا للجنة في لندن ثم لجامعة الدول العربيّة، وشارك في مؤتمر إنشاء منظمة التحرير الفلســـطينيّة في القدس عام 1964، وأنشأ مكتب المنظمة في نيويورك. وجورج أنطونيوس، مؤلف كتاب يقظة العرب، وســـكرتير الوفد الفلســـطينيّ لمؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد لندن عام 1939 حول فلسطين، ومستشار الوفود العربيّة في ذلك المؤتمر (الموسوعة التفاعليّة للقضية الفلسطينيّة). هذه الأسماء، وغيرها، هي بعض الأمثلة وحسب على بعض القيادات المسيحيّة، التي شاركت في قيادة النضال الوطنيّ الفلسطينيّ المشترك للتحرر من الصهيونيّة والانتداب البريطانيّ.

يســـتخلص من هذا العرض المكثف، أن اليهود كانوا جزءًا من الهويّة الفلسطينيّة، حتى نهاية العهد العثماني، وفي عهد الانتداب البريطانيّ تحولت أقسام كبيرة منهم نحو الصهيونيّة بسبب تفاقم الصراع، وبقيت قلة محدودة تسمي نفسها فلسطينيّة، منهم: إيلان هاليفي، عضو حركة فتح الذي عمل كممثل لمنظمة التحرير الفلسطينيّة في الاشتراكيّة الدوليّة منذ ثمانينيات القرن الماضي، وأوري ديفيس الأكاديميّ والمفكر وعضو المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ حتى اليوم، وعلى المستوى الشعبيّ هنالك حركة ناطوري كارتا، التي تقول بفلسطينيّة فلسطين،

ولا تعترف بالحركة الصهيونيّة، ولها تمثيل في المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ جنبًا إلى جنب مع الطائفة السامريّة في نابلس المنشقة عن اليهوديّة، ولا تعترف بالحركة الصهيونيّة وسيطرتها على فلسطين.

تعرضت الهويّة الوطنيّة الفلسطينيّة للقدس إلى تحديات من قبل الحركة الصهيونيّة، وكذلك من قبل التيارات الأفنجلستيّة الغربيّة والاتجاهات الغربيّة عامة حكوميّة وغير حكومية.

بالنسبة للحركة الصهيونيّة، فقد استندت في توجهاتها إلى وجود اليهود القديم في فلسطين منذ ألفي عام، وإن العرق اليهوديّ قد حافظ على وجوده مستمرًا في الأجيال، جيلًا بعد جيل، منذ ذلك الزمن، وذلك رغم تشتت اليهود في بقاع واسعة من المعمورة. بمعنى آخر يتم الزعم بأن اليهود الذين جاؤوا من جنوب وغرب أوروبا غزاة إلى فلسطين، منذ بدايات القرن التاسع عشر بداية عبر تشجيع من الملياردیرات اليهود في أوروبا الغربيّة وأمريكا والحركات الأفنجلستيّة العالميّة، ثم من الحركة الصهيونيّة، بدءًا من نهاية القرن التاسع عشر، يمثلون استمرارًا عرقيًّا لليهود الذين كانوا في فلسطين منذ ألفي عام. وقد دحض علماء يهود هذه المقولة، ومنهم شلومو ساند، الذي بيّن أن اليهود الذين وردوا إلى فلسطين من جنوب وشرق أوروبا منذ بداية القرن التاسع عشر، يعودون إلى يهود مملكة الخزر من القرن السادس وحتى الحادي عشر، وهي المملكة التي كانت قائمة بين جورجيا ونهر الفولغا، وبالتالي لا يوجد أي صلة عرقيّة بينهم وبين اليهود الذين كانوا في فلسطين قبل ألفّ عام (ساند، 2010. ص: 305).

وسبقت الصهيونيّة اليهوديّة، صهيونيّة أفنجلستيّة انبثقت عن بعض الاتجاهات البروتستانتيّة في البلاد الأنجلو ساكسونيّة، لاسيما بريطانيا وأمريكا والأفنجلست الألمان. قام الألمان البروسيون بإنشاء مستعمرات في فلسطين منذ أواسط القرن التاسع عشر، ومنها الحيّان الألمانيان في القدس (1868)، وحيفا (1878) التي أنشأتها حركة فرسان الهيكل

البروتستانتيّة الألمانيّة، ومستعمرات سارونا (1871)، وفيلهلميا (1902)، وبيت لحم الجليليّة (1906) وفالدهايم (1907)، وتم تسليم قسم من هذه المستعمرات للحركة الصهيونيّة في بدايات القرن العشرين (Salem, 2019, p: 244)، وحاولت الولايات المتحدة الأمريكيّة، ومعها حركات المورمون والمعمدانيون، إنشاء عدد من المستعمرات في ذات الوقت، والتي لم تستمر، وهي: أرطاس (1850)، وجبل الأمل (1853)، وأدامز (1866). (Salem, 2019, p: 248). أما بريطانيا، فقد اختارت دعم الأثرياء اليهود لإنشاء مستعمرات مبكرة، مثل: موشي مونتفيوري، وإدموند روتشيلد، ومنها في القدس: مستعمرات يمين موشيه، وميا شعاريم ومشكنوت هشعنانيم. هذا إضافة لدعوة سياسييها الصهاينة المسيحيين في القرن التاسع عشر مثل رئيسيّ الوزراء سالسبوري ودزرائيلي، واللورد شافتسبري، لإنشاء دولة يهوديّة في فلسطين في نفس الفترة، وهو ما تمخض عنه في بدايات القرن العشرين إصدار تصريح بلفور عام 1917، الداعي لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. صدر التصريح عن حكومة لويد جورج، باسم وزير خارجيتها آرثر جيمس بلفور المنتمي، كما جورج، إلى التيار الأفنجلستي.

في نفس الفترة، التي صدر فيها تصريح بلفور، لعب القائد الصهيوني حاييم وايزمان دورًا في إقناع الرئيس الأمريكي وودرو ولسون بدعم التصريح (الشريف، محرر، 2019. ص: 80)، وساعد وايزمان لتحقيق ذلك القائد الصهيوني الأمريكي لويس براندیس.

إضافة لما سبق، قامت بريطانيا بدعم إنشاء كنيسة بروتستانتيّة في القدس، حيث أنشأت كنيسة المسيح في القدس عام 1841، بالتعاون مع ألمانيا. كما دعمت بريطانيا الجمعيات، التي كانت ترد إلى فلسطين من أجل اكتشاف مواقع التوراة فيها، مثل: جمعيّة فلسطين الإنكليزيّة لدراسة أرض إسرائيل (1805)، وصندوق اكتشاف فلسطين (1865). وقد ساهم في ذلك جمعيات ألمانيّة، مثل: المدرسة الألمانيّة للآثار، التي كانت تابعة للكنيسة البروتستانتيّة الألمانيّة (الجعبة، 2019، ص: 49)، وأمريكيّة، مثل: معهد أولبرايت للآثار، الذي تأسس عام 1900 (الجعبة، 2019، ص: 43). كما ساهمت جمعيات كاثوليكيّة فرنسيّة في الأبحاث الأثريّة

التوراتيّة، وهي: مدرسة الفرنسيسكان التي تأسست في القدس عام 1901، والمدرسة الفرنسيّة للدراسات التوراتية- الدومينيكان التي نشأت عام 1890 (الجعبة، 2019، ص: 41، 47). وتقع مقرات هذه الجمعيات والمدارس كلها في القدس.

وفي عهد الانتداب البريطاني، طرحت مشاريع بريطانيّة لجعل القدس مدينة دوليّة، مثل: مشروع لجنة بيل عام 1937 (سخنيني 1986، ص: 245)، وانتهاءً بقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 1947، وقضى بأن يكون هناك وضع دولي خاص للقدس (Corpus Separatum). أيّ، سعى التيار الأفنجلستي ليس فقط لجعل فلسطين تصبح يهوديّة، ولكن كان لها مشروع لخلق وضع دولي خاص للقدس بمعزل عن فلسطين.

سعت الدبلوماسيّة الغربيّة إذًا إلى فصل القدس عن فلسطينيتها، واستثمرت الصهيونيّة ذلك من أجل خلق واقع يجعل المدينة يهوديّة، دعمها في ذلك السياسات الانتدابيّة البريطانيّة، التي قامت عبر العمليات المستمرة لتحديد حدود المدينة بإخراج الأحياء الفلسطينيّة من القدس، وإدخال الأحياء اليهوديّة البعيدة عن مركز المدينة إليها، مما أدى إلى خلق أغلبيّة يهوديّة في المدينة المفتعلة الحدود منذ عام 1922 (مصطفى، 1997، ص: 36، 47).

كانت فترة الانتداب البريطاني أول فترة تم السعي فيها لفصل القدس عن فلسطينيتها، وخلق هويّة خاصة تسمى الهويّة المقدسيّة، على أن هذا الفصل قد عاد للظهور بعد عام 1967، فبعد فترة من الإدارة الأردنيّة للقدس والضفة، تم خلالها ترفيع القدس فيها عام 1959 إلى أمانة تمثل العاصمة الثانية للأردن بعد عمان، وتتبع مباشرة رئيس الوزراء خلافًا لباقي البلديات في المملكة التي كانت تتبع وزير الداخلية. عمل الاحتلال الإسرائيلي للمدينة منذ حزيران من عام 1967 باتجاهين، أقرّ من خلال أحدهما سريان القانون الإسرائيلي على المدينة منذ 28 حزيران/ يونيو من عام 1967، وتحويل المدينة إلى «عاصمة موحدة» لدولة إسرائيل، من خلال قانون سنّته الكنيست في 30 تموز/ يوليو من عام 1980. أما ثانيهما،

فقد قام على خلق صيغة قانونيّة عرفت الفلسطينيين المقدسيين على أنهم مواطنون أردنيون (ولاحقًا غير محددي الهوية) مقيمون في دولة إسرائيل. كل ذلك لفصلهم عن فلسطينيتهم، واعتبارهم صنفًا آخر (Salem, 2018). مع ذلك، فقد بقيت الهويّة الفلسطينيّة للمقدسيين قائمة بقوة، وهو ما عبرت عنه الهبّات السنويّة بين 2014 وحتى 2022 للدفاع عن حق الأطفال في العيش بعد حرق الشهيد محمد أبو خضير عام 2014، وعن الشيخ جراح وسلوان والمسجد الأقصى المبارك وحماية الكنائس المسيحيّة في المدينة.

أدت السياسات الغربيّة والصهيونيّة، منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم، إلى خلق صراع هوياتي في القدس؛ بين هويتها الفلسطينيّة الأصليّة وبين إحلال هويّة أخرى محلها هي الهويّة الإسرائيليّة. وقام هذا الإحلال من خلال السعي لخلق أغلبيّة يهوديّة في القدس الشرقيّة، وتغطية ذلك بتجنيس عدد محدود من الفلسطينيين بالجنسيّة الإسرائيليّة، فيما أُبقيت الغالبيّة في واقع يتعرضون فيه لهدم البيوت ومصادرتها وإخلائها من أجل توسيع المستعمرات الصهيونيّة، مؤسِّسةً بذلك واقعًا متواليًا من الترحيل الداخلي، تمهيدًا للترحيل إلى الخارج، في ضوء خطة الحسم الصهيونيّة التي طرحت منذ عام 2017 (Smotrich, 2017).

بهذا تحولت المدينة منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم إلى مدينة حرب (مع فترة مستقطعة في الجزء الشرقي من المدينة الذي ساده الهدوء والسلام خلال العهد الأردني)، لن تنتهي إلا بعودة وجهها الفلسطيني المحترم للتنوع والتعدديّة، والذي يديره بطريقة تحقق السلام والأمان لكل من يقطن المدينة ويقبل مبادئ العيش المشترك السلمي فيها دون عدوان أو سيطرة.

هذا وترتبط فلسطينيّة القدس بعروبتها، حيث إن فلسطين هي جزء من الأمة العربيّة، كما ترتبط بإسلاميتها ومسيحيتها وإنسانيتها. وتمثل هذه الأوجه غير المتناقضة للقدس القابلة للتعايش معًا، مما يغني المدينة بأبعادها العربيّة والإسلاميّة والمسيحيّة والعالميّة، كما سيبين العرض اللاحق.

ثانيًا: الوجه الديني: حقوق الديانات الثلاث في القدس بين الثابت والمخترع

لا يوجد في الأدبيات والأبحاث الأكاديميّة، ما يشكك بالحقوق الدينيّة المسيحيّة في القدس، بل ولقد مرت حقبة على القدس كانت فيها مسيحيّة بالكامل (أبو النصر وحزبون، محرران، 2023). وتعاقبت على فلسطين خلال فترتها المسيحيّة حضارات، وقبائل كان بعضها عربيّة مسيحيّة.

وتوجد في القدس وفلسطين الطوائف المسيحيّة من الكاثوليك كافة، ومنهم: الروم الكاثوليك، واللاتين، وكاثوليك آخرون من طوائف متنوعة، هي: كنيسة الروم الكاثوليك الملكيّة، وكنيسة السريان الكاثوليك، والأرمن الكاثوليك. كما أن هناك «روم أرثوذكس»، وأرثوذكس، وكنائس قديمة من طوائف متعددة هي السريان والأرمن والأقباط والأحباش والكنيسة المارونيّة (سابيلا، 2014، ص: 49-57).

وهنالك أيضًا، بروتستانت على شتى كنائسهم، يعودون إلى الإصلاح اللوثري عام 1517. يتمثل البروتستانت في ثلاثة مذاهب رئيسة هي المذهب الإنجيلي اللوثري، والمذهب الإنجيلي المسيحي، والمذهب الإنجيلي الأسقفي، وتتفرع عن هذه المذاهب الثلاثة (18) كنيسة، تتسم كل منها بالاستقلاليّة في قراراتها اللاهوتيّة والعقائديّة والإداريّة (يونان، 2023، ص: 224-225). وقد ترتب على هذا الاستقلال اختلاف الطوائف المسيحيّة البروتستانتيّة الفلسطينيّة عن تلك التي في الغرب، لاسيما تلك الأفنجلستيّة التي تقدم أطروحات المسيحيّة الصهيونيّة، حيث تدين الكنائس البروتستانتيّة في فلسطين هذه الطروحات، وتنتمي للشعب الفلسطيني وتعتز بذلك، ويعبر عن ذلك المطران الدكتور منيب يونان، والأستاذ الدكتور متري الراهب في كل دراساتهم ومقابلاتهم وأعمالهم. ويتفرع أيضًا عن الكنائس البروتستانتيّة تلك التي تتبع إصلاح جون كالفن في ثلاثينيات القرن السادس عشر، وهي الكنيسة المشيخيّة، وكنائس نظام الجماعة (Congregational) (يونان، 2023. ص: 227).

تتعايــش هذه الطوائف معًا في القدس وتحل نزاعاتها بطريقة ســلميّة منذ نهاية العثماني، حيــث كانت هنــاك مواجهات بين الطوائــف المســيحيّة، وبينها وبين المســلمين أحيانًا، وذلك بســبب الطابع العضوي وما بعد العضوي المســبب للتشرذم قبل ذلك كما ورد. أما الصراعات الإســلاميّة المســيحيّة، فقد عالجتها قوانين المواطنة والدستور العثمانيين اللّذيْن نصّا على المســاواة بين المواطنين العثمانيين بغض النظر عن الانتماء الديني. أدى ذلك لخلق مجتمع لم يعد يحل نزاعاته بطريقة العنف، بل بطريقة ســلميّة، ســواء الصراع بين الطوائف المســيحيّة ذاتها، أو بينها وبين المسلمين، أو بين المسلمين أنفســهم وهكذا. ولكن رغمًا عن هذا التوافق، فقد بقي الانشقاق الكبير الذي لا زال موجودًا بين الطوائف المسيحيّة وعموم الشــعب الفلسطيني من جهة، وبين الكنائس الأفنجلستيّة والصهيونيّة المسيحيّة التي تدعم السيطرة الصهيونيّة على فلسطين من جهة أخرى، كما ورد.

مع الانتقال من مجتمعات الانقســامات العضويّة وما بعد العضويّة التي كانت تســبب التشظي والتشرذم والصراعات، إلى مجتمعات المواطنة، تم تجاوز هذه الصراعات كما حصل أيضًا في القدس. ولكن إلى جانب التفاهم الإســلامي- المســيحي، نشــأ صراع فلسطيني (إسلامي- مســيحي) مع الوجود الصهيوني في فلســطين منذ القرن التاسع عشر، والذي اســتند إلى روايات توراتيّة، حــاول وفقًا لها خلق حقوق دينيّة مخترعة لليهود في فلســطين بمســاعدة الأفنجلســتيين، تضمن مســاعيَ للبحث عن الهيكل عام 1911 قامت بها بعثة بريطانيّــة، وذلك كما تفصلها أبو الشــعر نقلًا عما ورد في جريــدة القدس التي كان يحررها جورجــي حبيب حنانيا بين أعوام 1908- 1914 (أبو الشــعر، 2022. ص: 446-465)، وإثارة صراع على حقوق الصلاة في الحائط الغربي عامي 1928 و1929، وغيره، وصولًا إلى صفقة القرن عام 2020 والتي اعتبرت الأقصى مكانًا مقدّسًــا للأديان الثلاثة، حيث نصت أن «للناس من جميع الأديان حق الصلاة في الحرم الشريف/ جبل الهيكل، بطريقة تحترم كليةً أديانهم، مع الأخذ بعين الاعتبار أوقات الصلاة لكل دين، والأعياد وعوامل دينيّة أخرى» (من ســالم، نقلًا عن نص صفقة القــرن، 2020، ص: 52)، واخترعت صفقة القرن (13)

موقعًا دينيًّا لليهود في المدينة، حسبما بينت منظمة عيمق شافيه الإسرائيليّة (Emek Shaveh, 2020).

وعليه، يمكن الاستخلاص لهذا القسم أن التناقضات الدمويّة المتعلقة بالجانب الديني في القدس باتت تتركز منذ القرن التاسع عشر، وبشكل خاص منذ عهد الانتداب البريطاني على فلسطين على الصراع بين الشعب الفلسطيني (مسلمين ومسيحيين وسامريين)، مع الحركة الصهيونيّة وداعميها من الصهيونيين المسيحيين في الغرب. أما الشعب الفلسطيني، وإن بقيت داخله تعارضات وتناقضات دينيّة، فقد تمكن من إيجاد صيغة سلميّة لإدارة هذه التعارضات بين مختلف جماعاته الدينيّة والتعايش جنبًا إلى جنب معها. بمعنى آخر، تمكن الشعب الفلسطيني من تحويل التناقضات الدينيّة بين أبنائه من حالة مسببة للتشظي والتشرذم والاقتتال، إلى حالة تعايش سلمي، على طريق تكوين صيغة للاندماج الاجتماعي الكامل القائم على الاحتفاء بالتنوع، الذي يُدار بطريقة سلميّة، بحيث يصبح عنصر قوة ومنعة للمجتمع القادر على تحقيق التكامل والعيش المشترك بين مختلف وحداته.

ثالثًا: الوجه الاجتماعي: فسيفساء المجتمع المقدسي

ومن ميزات القدس، فسيفسائيّة مجتمعها، أي تنوع فئاته، وهذا مصدر قوة للمدينة، فلم يكن التنوع في المدينة يومًا عاملًا معزّزًا للتشرذم، بل كان عاملًا للتفاعل والتكامل بين مختلف فئاتها على اختلاف أصولهم ومنابتهم، وإن لم يكن كاملًا، حيث لا زالت هناك فجوات في التفاعل بين مجموعات القدس الاجتماعيّة المختلفة، حيث بعضها لا يعرف بعضه الآخر، ويسود التعايش السلمي بين المجموعات المنفصلة، دون الوصول إلى الاندماج والعيش المشترك بينها. ولكن هذه الفجوات القائمة بشأن حالة العيش المشترك في القدس، هي مسألة غير قابلة للقياس مع صراع الشعب الفلسطيني كله مع الصهيونيّة التي سلخت عضويّة اليهود الفلسطينيين الذين كانوا يتركزون خلال العهد العثماني في القدس وصفد وطبريا والخليل عن المجتمع الفلسطيني، وافتعلت صراع هويتين في المدينة عبر محاولة تحدي

الهويّة الفلسطينيّة التي كانت قائمة تاريخيًّا في المدينة.

نظـرًا لأهمّيّة مدينة القدس العالميّة، كان -ولا يزال- يحـج إليها الرحالة والمصلون من قسـم كبير من المعمورة. وقد كتب الرحالة والوافدون إلى المدينـة بغزارة عن تجاربهم وما شـاهدوه فيها. وبعض من هؤلاء قرر البقاء في المدينة وأصبح جزءًا لا يتجزأ منها، مما جعل المدينـة تتمتع بتنوع لا مثيـل له يعطيها خصوصيّة وقوة. وإلى جانب من عاشـوا في المدينة وتناسـلوا فيها منذ نشـوئها، يجد المرء في المدينة من تعود أصولهم إلى الهند، وأوزبكستان، والمغرب، ومصر، وإفريقيـا والأكراد وغيرهم، كما يجد المـرء الوافدين الأرمن، ومن أتوا من دول أوروبيّة عديدة منذ حقب زمنيّة طويلة وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من نسـيج المدينة المتعايش بسلام. وتتراوح تعريفات هذه المجموعات لنفسها، كما تفيد دراسات متعددة بين البلاد التي أتوا منها، مضافًا لها الفلسطينيّة، و/ أو المقدسية.

فالأرمـن الذين يصل عددهم في المدينة وفلسـطين بعد تناقصه عـبر القرون إلى ألف نسـمة (أغابكيان، 2022، ص: 16)، يتراوح تعريفهم لهويتهم بين أرمني فلسطيني وأرمني مقدسي، وفصلت أغابكيان بالأسماء دور الأرمن في السياسة والمجتمع الفلسطيني بوصفهم جزءًا لا يتجزأ منه (أغابكيان، 2022، ص: 13-27). هذا، فيما يكتفي بعض الأرمن بتعريف أنفسهم على أنهم أرمن مقدسيون، كما عرف بعضهم للكاتب في حديث مباشر. أما المغاربة فقد أشارت إحدى الدراسـات التي أجريت على (100) أسرة من أصول مغربيّة أن 38% منها تعرف نفسـها كمغاربة مقدسـيين، و32% بالمئة كمغاربة فلسطينيين، و20%، تعرف نفسها بأنها فلسطينيّة، و6% تعرف نفسها كمقدسيين، و1% كعرب، وأخيرًا لم يختر 3% أيًّا من التسميات المذكورة (الجعبة، 2021، ص: 8-9، مقدمة د. محمد سالم الشرقاوي). وينظر الدومريون، البالغ عددهم في المدينة حوالي (1500) نسـمة إلى أنفسـهم، على أنهم ليسـوا إسرائيليين وليسوا فلسـطينيين، بل دوم وحسب (Teller, 2022, p: 90). أما بقيّة الفئات المذكورة فتعرف نفسها بفلسطينيتها، ومنها الأفارقة البالغ عددهم (300) نسمة في القدس، يقطنون الحـي الإفريقي القائم في موقع بـاب المجلس المحيط بالمسـجد الأقصى المبارك،

الذين كانوا حراس المفتي الحاج أمين الحسيني وشاركوا لاحقًا في النضال الفلسطيني ضمن الفصائل المتعددة لمنظمة التحرير الفلسطينيّة، حيث يعرف هؤلاء أنفسهم على أنهم أفارقة فلسطينيون (Teller, 2022, p: 98). وعليه قسْ بالنسبة لباقي المجموعات. ورغم الاختلاف النسبي في تعريفات الهويّة بين هذه المجموعات، إلا أنه لا يؤدي إلى صراع، بل تعايش الجميع معًا بسلام على مر العصور، وكوّنوا هويّة مشتركة، وأداروا نزاعاتهم بشكل سلمي على قاعدة قبول الآخر وقبول التنوع، ولكن دون تفاعل كافٍ واندماج تام حتى اللحظة، في إطار المواطنة المشتركة، كما تقدم.

على العكس من تكوّن هويّة مشتركة هي فلسطينيّة لفسيفساء المجتمع المقدس، تقبل تنوعاتها وتتداول صراعاتها بشكل سلمي، تحاول بعض الكتابات الإسرائيليّة، تفسير فسيفسائيّة المجتمع المقدسي خارج إطار التنوع الذي يميز كل مجتمعات العالم، إذ تنكر وجود هويّة فلسطينيّة مشتركة، وتدّعي أن ما يوجد في القدس هو فقط شتات مجتمعات محليّة تتعايش معًا بشكل متواز، وليس شعبًا مندمجًا في هويّة واحدة. وتحاول ذات الدراسات الادّعاء بأن قسمًا كبيرًا من مجتمعات القدس المحليّة قد جاؤوا إليها في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وذلك بهدف منع تكون أغلبيّة يهوديّة في البلاد، دون أن تجمع بينهم رابطة وطنيّة مشتركة (مثلًا: Gotthiel, 2003).

تشير الحقائق التاريخيّة في المقابل إلى أن إنشاء الحدود القوميّة التي تجعل من يعيش داخلها فقط شعبًا ليس إلا ظاهرة حديثة بدأت في أوروبا مع توقيع اتفاقيّة ويستفاليا عام 1648. وقبل هذا العام كانت أوروبا مفتوحة للتنقل والعيش في أي مكان فيها في أيّ وقت. وفي المنطقة العربيّة الإسلاميّة كانت الدول الإسلاميّة المتعاقبة تعتبر كل من يسكن في أيّ مكان من أجزائها المترامية مواطنًا فيها، ويحق له الانتقال وتغيير مكان السكن من أيّ بلد إلى آخر داخل نفس الدولة، واستمرت ممارسة ذلك حتى نهاية حكم المملكة العثمانيّة، حيث كان من حق أيّ مواطن يعيش ضمن التابعيّة العثمانيّة الانتقال من أيّ مكان إلى آخر داخل المملكة دون أيّ قيود. وجاءت تقسيمات سايكس- بيكو عام 1916، والاحتلال البريطاني لفلسطين

والاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان، لتوقف ذلك في بلاد الشام، وقبلها فعلت الاستعمارات الغربيّة لأجزاء أخرى من الدول العربيّة والإسلاميّة. مع ذلك، فبعد اتفاقيات سايكس-بيكو بسنوات وقّعت اتفاقيّة لوزان لعام 1924 بين الدول الغربيّة والدولة العثمانيّة التي حددت بأن من كان يتبع الدولة العثمانيّة يصبح مواطنًا في أي من الدول والكيانات الجديدة التي نشأت بعد انتهاء تابعيّة هذه الدول والكيانات للدولة العثمانية.

ترتب على ذلك، بالنسبة لفلسطين التي خضعت لحكم الانتداب البريطاني منذ عام 1918، أن أصبح ذوو التبعيّة العثمانيّة السابقين فيها مواطنين فلسطينيين، وذلك كما نص عليه قانون المواطنة الفلسطينيّة الانتدابي لعام 1925، والذي جاء في بعض من مواده أن كل من كان يتبع للتابعيّة العثمانيّة يصبح مواطنًا فلسطينيًّا. ووفق ذلك، تمتعت كل الفئات التي وردت على فلسطين بالمواطنة الفلسطينيّة كونها كانت تخضع للتابعيّة العثمانيّة قبل ذلك.

طبعًا، هنالك الجانب الآخر من قانون المواطنة البريطاني لفلسطين الذي يتعلق بتسهيل حصول اليهود على الجنسيّة الفلسطينيّة، وهو الجانب غير القانوني، الذي يترتب عنه أن من جاء إلى فلسطين من اليهود للاستيطان فيها على حساب أهلها هو غير الشرعي، وليس ذوي التابعيّة العثمانيّة السابقين.

رابعًا: الوجه الثقافي: تعدد الهويات الثقافية

كتب طه حسين عام 1938 عن الوجوه الثقافيّة المتعددة لمصر، ومنها العربيّة والإسلاميّة والأوروبيّة والمتوسطيّة (حسين، 2014)، وبيّن ميلاد حنّا أن الشخصيّة المصريّة تعود إلى سبعة منابع ثقافيّة، هي: الفرعونيّة، والرومانية- اليونانيّة، والقبطيّة، والإسلاميّة، والعربيّة، والمتوسطيّة والإفريقيّة (حنا، 1989). الحال ذاته ينطبق على القدس التي عرفت تاريخًا حضاريًّا يبدأ مع الحضارة النطوفيّة في شمال غرب القدس في العصر الحجري القديم والوسيط (14000- 8000 قبل الميلاد)، وهي الحضارة التي كانت أول من اكتشف الزراعة في الكون وعرفت الاستقرار جراءها (عادل، 2019). وسبقت الحضارة النطوفيّة (27) ثقافة

في فلسطين (الماجدي، 2022)، وتعاقب على فلسطين في عهد الممالك الشرقيّة، الآشوريون، والبابليـــون والفرس، ثم اليونان، فالرومان، فالبيزنطيون، ثم جاء العصر الإســـلامي بدءًا من عام 638 بعهوده المختلفة، من الخلفاء الراشدين، فالأمويين، فالعباسيين، والطولونيين، والإخشـــيديين، والفاطميين، والســـلاجقة حتى عام 1099، حين بدأت حملات الفرنجة على القدس وفلســـطين باسم الصليب، إلى أن حرر صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس عام 1187، ليحل العهد الأيوبي في القدس حتى عام 1250، والذي تخللت فترته حملات صليبيّة أخرى اســـتمرّت حتى عام 1291. وبعد ذلك جاء المماليـــك (1250– 1517)، (التفاصيل في: المهتدي،2020)، فالعثمانيون (1517–1917)، ثم الانتداب البريطاني (1917– 1948)، فالعهد الأردني (1949–1967).

تحمل القدس، إذًا، تاريخًا حضاريًّا مديدًا، تعاقبت وتمازجت خلاله حضارات مختلفة على فلسطين، لذا يعتبر الفلسطيني والفلســـطيني المقدسي اليوم امتدادًا وسليلًا لهذه الحضارات وثقافاتها، وهو ما يتناقض مع الهســـيتريوغرافيا الصهيونيّة التي تعيد بداية تاريخ القدس إلى عهدي داود وسليمان، والأخرى بعض من الإسلاميّة المتعصبة التي تركز على تاريخ القدس منذ بداية الفترة الإســـلاميّة، وحتى اليوم وحسب، مما يشـــكل انتقاصًا من تاريخ فلسطين القديم.

نجم عن هـــذا التاريخ أن القدس على مدى حقبها وفتراتهـــا التاريخيّة كانت دائمًا مدينة تنوع وتعدد ثقافي، ففي أواخر العهد العثماني وبداية عهد الانتداب على ســـبيل المثال كانت فلسطين والقدس تعج بالاتجاهات الثقافيّة الإســـلاميّة، والمسيحيّة، والوطنيّة الفلسطينيّة، والقوميّة العربيّة، والماركسيّة، والإنسانيّة، والاتجاه العلمي البحت، كما بيَّن الباحث في بحث آخر نشرته المقدســـيّة، وآخر عام 2014 (سالم، 2024، وسالم، 2014). وانتشر في الصحف الفلسطينيّة جدل حول قضايا، مثل: العلمانيّة والدين، والسفور والحجاب، ونشطت أقلام نســـويّة أيضًا في الكتابة، وهكذا (الشـــوملي، 1990)، كما نشأت الموسيقى والفن والتصوير والتمثيل المسرحي والغناء، وســـاهمت إذاعـــة هنا القدس في كل ذلـــك، كما يوثق نصري

الجوزي (الجوزي، 2010).

إن ما سبق يخالف الأطروحة الصهيونيّة بأن القدس وفلسطين كانت أرضًا فارغة، أو أنها كانت تشهد حالة ركود وانحطاط وتخلف، إلى أن جاءت الصهيونيّة لتخلق حداثتها التي كانت مفقودة وتجعلها تزدهر (بن آرييه، في الجعبة، 2019، ص:137–138). فقد كان هناك مجتمع وطبقات وحراك اجتماعي وحالة ثقافيّة حيّة وخصبة، أوقفت الحركة الصهيونيّة استمرارها، حيث إنها اضطرت الشعب الفلسطيني للانتقال إلى مكافحة الحركة الصهيونيّة، بدلًا من الاستمرار في تطوير مقدمات حداثته، التي كانت قد بدأت تزدهر انطلاقًا من تفاعلات داخليّة في أواخر العهد العثماني، بدءًا من عام 1856 (شولش، 1990)، ثم جاءت الصهيونيّة لتئدها وتحلّ التحديث الاستعماري الإحلالي لصالح الصهيونيّة وعلى حساب الشعب الفلسطيني مكانها (سالم، 2014، ص: 20–22).

تجليات القدس بين القدس، وجيروساليم، ويروشاليم في واقع القدس اليوم

لا يمكن فهم تجليات القدس في واقع اليوم، دون عودة موجزة إلى ماضيها. فقد نشأت مدينة القدس كمدينة كنعانيّة باسم أورسليموم (Ursalimum) أو أورسالم العائدة للإله الكنعاني شليم أو سالم منذ آلاف السنين، وذكرت في وثائق اللعنات المصريّة (وثائق تل العمارنة) في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، واستمرت كذلك حتى فقدان سيطرتها السياسيّة في القرن السادس قبل الميلاد مع قدوم البابليين، ولا توجد دلائل أثريّة على وجود مدينة داود ومدينة سليمان التي يُدَّعى أنهما حلتا محل أورسليموم الكنعانيّة (نور الدين، 2022، ص: 167، و169، و181–182). وفي مرحلة لاحقة أسماها الرومان إيليا كابيتولينا، واستمر هذا الاسم حتى دخول المسلمين إلى المدينة، وهنالك شكوك علميّة حول أن المدينة سميت بـ«يبوس» في أيّ مرحلة من المراحل قبل ذلك (نور الدين، 2022، ص: 173–174).

سُمّيت القدس بهذا الاسم بعد أن دخلها عمر بن الخطاب عام ٦٣٦ ميلادية. بداية

سميت باسم «بيت المقدس» ثم اختصرت إلى القدس. وفي العهد العثماني أصبحت تسمى بـ«القدس الشريف». يعني ذلك أن اسم القدس يعبر عن فترة الحكم العربيّة الإسلاميّة للمدينة، وعن وجهيها العربي والإسلامي. وقد سبقت عروبة فلسطين إسلاميتها، حيث هاجرت إليها القبائل التي كانت تسمى بالقبائل العربيّة قبل الألف الثانيّة للميلاد، وذلك قبل أن ينشأ مصطلح «عرب» في بداية الألفية الأولى قبل الميلاد (عثامنة، 2000، ص: 2). واعتنقت بعض من هذه القبائل الديانة المسيحيّة التي نشأت في فلسطين في القرن الميلادي الأول، ولم تسمّ هذه القبائل القدس بهذا الاسم، بل سمّاها الإسلام به لاحقًا. واستمرت المسيحيّة دين الأغلبيّة في فلسطين حتى على مدى القرون الثلاثة التي تلت دخول عمر بن الخطاب والمسلمين إلى القدس (عثامنة، 2000، ص:143). أيّ إن القدس كانت ذات غالبيّة مسيحيّة (بعض معتنقيها عرب)، لمدة تناهز ألف عام، قبل أن تصبح غالبيتها إسلاميّة، بدءًا من القرن العاشر الميلادي كنتاج لعمليّة التوطين للعساكر المسلمين والهجرة الإسلاميّة إلى المدينة كما يوضح عثامنة (عثامنة، 2000، ص: 22–30). ولم ينتهِ وجود المسيحيّة في القدس في عهد الإسلام، بل استمرّ ضمن نظام أهل الذمة حتى تم إلغاء هذا النظام مع إصدار قانون المواطنة العثماني عام 1869.

يترتب على هذا الإيجاز أن القدس تحمل تاريخًا إسلاميًّا، سبقه تاريخ مسيحيّ، وأنه قد سبق كليهما تعاقب حضارات عديدة على القدس جعلتها على ما عليه اليوم من حال التنوع الحضاري والتاريخي. ولهذا يصعب تبني الروايات الاحتكاريّة بأن القدس إسلاميّة فقط، أو عربيّة فقط، أو مسيحيّة فقط. بل هي كل ذلك مجتمعا معا في فلسطينيتها المثبتة تاريخيا كما ورد.

الصهيونيّة فقط هي من حاول ويحاول خلق رواية احتكاريّة حول القدس، بأنها موطن اليهود التاريخيّ فقط، والذي يعود إلى عهدي داود وسليمان المطعون بوجود مملكتيهما علميًّا. لذا ترفض الصهيونيّة (ومعها الطائفة الأفنجلستية) الاعتراف بحقوق لغير اليهود في المدينة، فيما الرواية الفلسطينيّة هي الرواية التي تقول بأن قدس اليوم هي نتاج كل

الحضـــارات والثقافات التي تعاقبت عليها، مما يترتب عنه رؤية مســـتقبليّة ترى أن الحل في القدس سيكون مبنيًّا على قاعدة المشاركة في المواطنة والاحتفاء بالتنوع.

يتحد المســـلمون والمسيحيون في فلســـطين بالفلســـطنة، وكذلك في العروبة، والنظرة الإنسانيّة التشـــاركيّة التي تحتفي بالتنوع، وبالتالي في رفض الاستحواذ الاحتكاري للقدس الذي يدفع باتجاهه الأفنجلســـتي والآخر الصهيوني، اللّذيْـــن يعملان لفرض هويّة واحدة للقدس، وتهميش التاريخ والوجود الإسلامي والمسيحي في المدينة.

أنشأت الأفنجلستيّة صهيونيّة مسيحيّة ما قبل الصهيونيّة اليهوديّة، ثم كونت قيادة لهذه الأخيرة مـــن يهود غرب أوروبا المندمجين في المجتمعات الغربيّـــة، لتقوم بالعمل على تنظيم هجـــرة يهود شرق وجنوب أوروبا الذين لم يكونوا عكس يهـــود أوروبا الغربيّة مندمجين في مجتمعات تلك البلدان. ويتساءل عباس في دراسة أنتجها عام 1977 مستغربًا عن سرّ تحول تيودور هرتسل خلال سنوات قليلة من داعية متحمس لاندماج اليهود في مجتمعاتهم الغربيّة إلى داعية لهجرة اليهود من أوروبا، لإنشـــاء دولة لهم تحددت في النهاية لتقوم في فلســـطين (عبـــاس، طبعـــة 2011، ص: 33)، وذلك بعد أن تم «ترشـــيح» دول وأماكن أخرى ليتم إقامة دولة اليهود فيها كقبرص، وشـــبه جزيرة ســـيناء، والأرجنتين، وأوغندا وغيرها. لهذا فقد أسقطت الصهيونيّة على فلسطين، وقطعت سياق تطورها الحضاري التاريخيّ على مدى آلاف السنين، كما أوجدت سياقًا آخر يهدف إلى محو البلاد شعبًا، وحضارة، وتاريخًا، وثقافة، ومجتمعًا، واقتصادًا، وبنية سياســـيّة وقانونيّة، ومشـــهدًا وفضاءً، وذاكرة وأسماء، وإحلال بديل صهيوني محل كل ذلك. هذا هو الواقع الشـــاذ الذي نشأ في فلسطين والقدس. فما هي الشروط الواجب توفرها لإعادة القدس إلى مســـار التفاعـــل والتواصل الحضاري كمدينة احتفاء بالتنوع؟ هنا يكمن الســـؤال، حيث إن استعادة القدس كذلك ليست مسألة حتميّة إن لم يتم العمل باتجاهها وتوفير شروطها.

في واقع اليوم، يتحد المســـلمون والمســـيحيون في القدس التي يحـــاول الصهاينة إحلال

يروشاليم بالقهر والاغتصاب مكانها، يساعدهم في ذلك أحد وجهي جيروساليم.

جيروساليم، هي القدس من منظور الغرب، والذي بات في واقع اليوم ينطوي على اتجاهين عريضين: الأول منهما، لا يطالب بسيادة سياسيّة على المدينة باسم الدين، بل يكتفي بالمطالبة بحقه المشروع وحق كل الطوائف المسيحيّة في استقلاليّة إدارتها لأماكنها الدينيّة في المدينة تحت السيادة الفلسطينيّة على المدينة. وهذا هو موقف الفاتيكان وممثليها والطوائف الكاثوليكيّة في القدس، وسائر الطوائف المسيحية. ومن جهة السيادة السياسيّة، فقد أصبح هذا الاتجاه يطالب بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وأن تكون القدس عاصمة دولة فلسطين كما ورد، وهو ما تلتقي بشأنه الكنائس الكاثوليكيّة في القدس مع سائر الكنائس المسيحيّة الأخرى فيها. هذا الاتجاه هو اتجاه التعايش السلمي بين القدس وجيروساليم.

الاتجاه الغربي الثاني لجيروساليم، هو الصهيوني المسيحي، الذي يرى ارتباط جيروساليم بيروشاليم على طريق محو القدس من الخارطة لصالح الصهيونيّة مؤقتًا، ثم لصالح المسيحيّة الأفنجلستيّة على المدى البعيد، بعد معركة هرمجيدون التي يتنبؤون بأن تؤدي لقتل اليهود الذين يأبون التنصر.

بناءً على ذلك، تقف القدس على تناقض مع يروشاليم، أما جيروساليم فإن فريقيها الغربيين منقسمون بين الانضمام للقدس من قبل فريق منهم، والانضمام ليروشاليم من قبل الفريق الآخر. تجدر الإشارة إلى أن الفريق الأول يلتقي أيضًا مع الفلسطينيين حول استمرار اليهوديّة في ممارسة حقوقها الدينيّة في القدس الشرقيّة دون سيادة سياسيّة، مع احتفاظ الإسرائيليين بدولتهم في حدود عام 1948.

تقوم يروشاليم على أساطير مخترعة، كما ورد، وتحل هويّة محل هويّة، ومكان وفضاء ومشهد آخر محل سابقيه وتوسع القدس باضطراد على حساب الأراضي الفلسطينيّة المحتلة عام 1967، في إطار مشروع إعادة هندسة يتم السعي لفرضها بالقسر والإكراه. وتشمل اليوم فرض الولاء لدولة إسرائيل على الفلسطينيين المقدسيين، أو تهجير والدفع لرحيل من

يرفضون ذلك، أو قتل من يقاومون رافضين كلًا من التهجير والولاء.

في المقابل، تعطي القدس واتجاه جيروسـاليم المنسـجم معها ليروشاليم الحق في حفظ ذاتها في حدودها لعام 1948، مع السـماح بحق العبادة لليهـود في القدس الشرقيّة بتنظيم من جهة السيادة الفلسـطينيّة على المدينة بعد استعادتها من الاحتلال. أي إن يروشاليم هي وجه الاستحواذ الاحتكاري بالقوة. أما وجه القدس، والقسم الأكبر من جيروسالِيم، فهما الوجهـان اللذان يطرحان صيغة حضاريّة للتعايش السـلمي تدمج إسرائيل في حدود عام 1948 في المنطقة، وتراعي حريّة العبادة لجميـع الديانات، وتفتح القدس كمركز حضاري أمام كل شعوب العالم، ولكل معتنقي الديانات الثلاث في سائر أرجاء الأرض.

خاتمـة: القدس مـن التناقضـات المتوتـرة إلى تعزيـز القدس الفلسطينيّة القائمة على الاحتفاء بالتنوع

بالخلاصة، لا تحمـل الصهيونيّـة باحتكاريتها مشروعًا حضاريًّـا للقدس، ولا يحمله أيضًا الأفنجلسـتيون، الذين يريدون جمع كل اليهود في فلسـطين ويدعمون دولة إسرائيل لتحقيـق ذلك كمقدمة لتنصر اليهـود، ثم ذبح من يرفض منهم التنـصر، لتحل بعد ذلك جيروسالِيم الأفنجلستيّة محل القدس، ووجّه جيروسالِيم المتعايش معها. أيّ إن المشروعين الصهيوني والأفنجلسـتي المتحالفين معًا تحالفًا انتهازيًّا مؤقتًا، يمثلان مشروعين للحروب المتناسـلة وإراقة الدماء التي لا نهاية لها، بداية لتحقيق نصر يروشاليم على القدس والشعب الفلسـطيني، ليتلوه السـعي لتحقيق نصر الأفنجلسـتيّة على الصهيونيّة واليهود من أجل استعادة فلسطين المسيحيّة المحتكرة للقدس والمنهية لوجود أيّ آخر فيها.

من يحمل المشروع الحضاري القائم على تحقيق المصالحة التاريخيّة، هم حملة وجه القدس، ومن معهم من حملة وجه جيروسـاليم. وللصهيونيّة والأفنجلسـتيّة أن تختارا بين استمرار احتكاريتهما الأحاديّة، وبين انتهاء ذلك لصالح عيش مشـترك في المدينة وفتحها أمام العالم بأسره.

في تفاصيل بناء العيش المشترك في المدينة، قامت رؤية الراحل فيصل الحسيني على جعل القدس عاصمتين سياسيتين لدولتين، مع الحفاظ على حرّيّة العبادة لثلاثة أديان، وإبقاء المدينة مفتوحة بين القدس الغربيّة والقدس الشرقيّة، بحيث تتمتع الأديان الثلاثة بحرّيّة العبادة وحق الوصول إلى أماكنها، ويتمتع المقدسيون الفلسطينيون بحق استعادة أملاكهم في القدس الغربيّة (الحسيني، 1995، و1998). هذه الرؤية لا زالت صالحة، ولكنها مرهونة بإيجاد الوسائل الكفيلة بجعل الصهيونيّة والأفنجلستيّة العالميّة تتراجعان عن مشروعيهما الاحتكاريين للقدس، أو الانتقال من فكرة القدس المفتوحة في إطار حل الدولتين، إلى الكفاح من أجل الدولة الواحدة المتحررة من الصهيونيّة والأطماع الأفنجلستيّة في حال رفضهما التخلي عن مشروعيهما الاحتكاريين.

للقدس أن تستمر كمركز صراع دموي، ولكن في داخلها يوجد مشروع يحتوي الطاقات الكامنة لجعلها تصبح مركزًا حضاريًّا للبشريّة جمعاء. مما يمثل فرصة قابلة للاقتناص.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية

- أغابكيان، فارسين. (2022). «التواجد الأرمني في فلسطين بين الماضي والحاضر». مركز دراسات القدس في جامعة القدس: **مجلة المقدسيّة**، العدد الخامس عشر. ص: 13-27.
- بركات، حليم. (1998). **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**. ط6. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجعبة، نظمي (2019). **القدس في الكتابات التاريخيّة الإسرائيلية**. الرباط: منشورات وكالة بيت مال القدس الشريف.
- الجعبة، نظمي، وفريق الجمعيّة الفلسطينيّة الأكاديميّة للشؤون الدوليّة- باسيا. (2021). **المغاربة في بيت المقدس**. القدس والرباط: منشورات وكالة بيت مال القدس الشريف.
- الجوزي، نصري (2010). **تاريخ الإذاعة الفلسطينيّة «هنا القدس»**. دمشق: الهيئة العامة السوريّة للكتاب.
- حسين، طه (2012). **مستقبل الثقافة في مصر**. القاهرة: مؤسسة هنداوي. (صدر أول مرة عام 1938).
- الحسيني، فيصل (1998). «كلمة فيصل الحسيني». عبد الجواد، صالح (محررًا). نحو إستراتيجيّة فلسطينيّة تجاه القدس. **جامعة بيرزيت**. ص: 25-30.
- الحسيني، فيصل. (1995). في. «تصورات حول مستقبل القدس». القدس: **الملتقى الفكري العربي**. ص: 5-9.
- حنا، ميلاد. (1989). **الأعمدة السبعة للشخصيّة المصرية**. القاهرة: دار الهلال.
- الخالدي، روحي. (نوفمبر، 1908). «الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة». القاهرة: **مجلة الهلال**. ص: 67-83.
- الراهب، متري (2024). «القدس في الفكر المسيحي الحديث». مركز دراسات القدس في جامعة القدس: **مجلة المقدسيّة**، العدد (22). ص: 115-140.
- سابيلا، برنارد. (2014). «المسيحيون الفلسطينيون والكنائس في القدس: الأماكن المقدسة والتحديات المستقبليّة للمكانة والمعنى». في «منظمة التحرير الفلسطينية- **دائرة شؤون القدس**. المقدسات الإسلاميّة والمسيحيّة ومعالم البلدة القديمة في القدس. ص:49-94.
- سالم، وليد. (2024). «البحث العلمي الفلسطيني الحديث والمعاصر بشأن القدس: فجوات وآفاق». مركز دراسات القدس في جامعة القدس: **مجلة المقدسية**. العدد (22). ص: 141-166.
- سالم، وليد. (2023). «المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف: حريّة العبادة والسيادة السياسية». مركز دراسات القدس في جامعة القدس: **مجلة المقدسيّة**، العدد (18). ص: 65-104.
- سالم، وليد (2020). «القدس في صفقة القرن: تحليل وبدائل». مركز دراسات القدس في جامعة

القدس- **مجلة المقدسية**: العدد(5)، ص: 49-59.

- سالم، وليد (2014). **فكر الحداثة في فلسطين: مساهمات في تاريخ الثقافة**. ط.2. القدس: **مركز الديمقراطيّة وتنمية المجتمع وجامعة القدس**.
- ساند، شلومو. (2010). **اختراع الشعب اليهودي**. رام الله: مدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.
- سخنيني، عصام. (1986). **فلسطين الدولة: جذور المسألة في التاريخ الفلسطيني**. ط.2. عكا: دار الأسوار.
- سعيد، إدوارد، وأبو لغد إبراهيم، وآخرون (1986). **الواقع الفلسطيني: الماضي والحاضر والمستقبل**. باريس: معهد العالم العربي.
- شرابي، هشام. (1999). **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**. دار نلسن.
- شرابي، هشام (1987). **البنية البطركية**. بيروت: دار الطليعة.
- الشريف، ماهر (محرر). (2019). **مئة عام على تصريح بلفور: الثابت والمتحول في المشروع الكولونيالي إزاء فلسطين**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- أبو الشعر، هند. (2022). **القدس في أواخر العهد العثماني** 1908- 1914. عمان: مؤسسة التراث العربي.
- شولش، الكزاندر. (1990). **تحولات جذريّة في فلسطين** 1856-1882: **دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي**. ط.2. عمان: دار الهدى.
- الشوملي، قسطندي. (1990). **الاتجاهات الأدبيّة والنقديّة في فلسطين: دراسة لحياة النقد الأدبي الحديث في فلسطين من خلال جريدة فلسطين**. القدس: دار العودة للدراسات والنشر.
- أبو النصر، حسام، وحزبون، جوزيف. (2023). **فلسطين المسيحيّة من القرن الأول الميلادي حتى بداية الحكم العثماني**. القدس: مركز السبيل والبعثة البابويّة، ومركز القدس للدراسات والبحوث الفلسطينية.
- عادل، سوزان. (2019). «الحضارة النطوفية». **مجلة مداد للآداب**. العدد (13). ص: 941-970.
- العارف، عارف (1992). المفصل في تاريخ القدس. ط.3. القدس: مكتبة الأندلس.
- عباس، محمود. (2011/ 1977). **الصهيونيّة، بداية ونهاية**. ط.2. رام الله: دار بيلسان.
- عبد الرازق، علي. (2011). **الإسلام وأصول الحكم**. ط.2. بيروت: دار الكتاب اللبناني، والاسكندرية: مكتبة الإسكندرية.
- عثامنة، خليل. (2000). **فلسطين في خمسة قرون: من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنجي** (634-1099). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الكواكبي، عبد الرحمن. (2009). **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. ط2. القاهرة: دار الشروق.
- الكواكبي، عبد الرحمن. (1982). **أم القرى**. ط2. بيروت: دار الرائد العربي.

- الماجدي، خزعل (2022). «27 ثقافة في فلسطين في عصور ما قبل التاريخ». محاضرة نظمتها دائرة التاريخ والآثار في **جامعة بيرزيت**، واتحاد المؤرخين والآثاريين الفلسطينيين.
- مصالحة، نور (2022). **فلسطين: أربعة آلاف عام من التاريخ**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مصطفى، وليد (1997). **القدس سكان وعمران**. القدس: مركز القدس للإعلام والاتصال.
- المهتدي، عبلة (2021). **القدس الشريف: منظور جديد للأرض، والبشر والحجر**. عمان: وزارة الثقافة.
- الموسوعة التفاعليّة للقضيّة الفلسطينية./ https: / /www.palquest.org
- نور الدين، هاني (2022). «التاريخ الحضاري لمدينة القدس في العصور القديمة: ما بين أورسليموم، «يبوس» ومدينة داود. مركز القدس للدراسات في جامعة القدس: **مجلة المقدسيّة**، العدد (15). ص: 155–188.
- يونان، منيب (2023). «الخلفيّة التاريخيّة للمذاهب المسيحية: الوحدة في تعدد مصالح». في «أبو النصر حسام، وحزبون جوزيف. **فلسطين المسيحيّة من القرن الأول الميلادي حتى بداية الحكم العثماني**. القدس: مركز السبيل والبعثة البابويّة، ومركز القدس للدراسات والبحوث الفلسطينية. ص:209–233».

English Resources

- Anderson, Mary B. (1996). «Understanding Difference and Building Solidarity: A Challenge to Development Initiatives». Development and Social Diversity.UK and Ireland: Oxfam Publication.
- Bezalel, Smotrich. (2017). «The Decisive Plan». https: / /hashiloach.org.il /
- Emek Shaveh (2020) «The Santification of the Antiquity Sites in the Jerusalem Section of the Peace and Prosperity Plan».https: / /emekshaveh.org /en /
- Gotthiel, Fred M. (2003) «The Smoking Gun: Arab Immigration into Palestine 1922–1931». Middle East Quarterly. Vol, 10. No.1.https: / /www.meforum.org /
- Jacobson, Abigail. (Autumn, 2001). «The Sephardi Jewish Community in Pre–World War 1 Jerusalem: Debate in the Hebrew Press». Jerusalem Quarterly. No. 14. pp.23– 37.
- Kark Ruth, and Joseph B. Glass. (2004). «The Valero Family: Sephardi – Arab Relations in Ottoman and Mandatory Jerusalem». Jerusalem Quarterly. No.21. pp. 2741–.
- Khalidi, Rashid. (1997). Palestinian Identity. Columbia University Press.
- Kimmerling, Baruch, and Migdal, Joel. (1998). Palestinians: The Making of a

People. Harvard University Press.

- Jacobson, Abigail. (2004). «Alternative Voices in Late Ottoman Palestine: A - -- Historical Note». Jerusalem Quarterly. No. 21. pp. 41- 58.
- Salem, Walid. (2018) «Jerusalemites and the Issue of Citizenship in the Context of Israeli Settler Colonialism». Holy Land and Palestine Studies Journal, vol 17. No. 1. pp.2541-.
- Salem, Walid. (2019). Who is Eligible to Exist. The Dynamics of Inclusion and Exclusion of Settler Colonialism: The Case of Palestine. Nicosia: The Near East University.
- Teller, Matthew. (2022). «The Dom and the African Palestinians: Platforming Two Marginalized Jerusalem Communities». Jerusalem Quarterly, No. 89. pp.88- 105.

الموقف الأمريكي من القدس في ظل إدارة الرئيس بايدن

أ. حسين الديك

باحث فلسطيني

الملخص

تتناول هذه الدراسة البحثيّة الموقف الأمريكي من القدس في عهد إدارة الرئيس جو بايدن، الذي تميز بالانكفاء وعدم الاهتمام الواضح، كغيرها من الإدارات السابقة، إذ إن هذه الإدارة لم تقدم أي مبادرة سياسيّة لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، على عكس الإدارات الأمريكيّة السابقة، فمنذ توقيع اتفاق أوسلو كان هناك إما عمليّة سياسية، أو مفاوضات، أو مبادرة سياسيّة لحل الصراع، يتم طرحها من قبل الإدارة الأمريكية. ولكن هذا التقليد غاب عن إدارة الرئيس جو بايدن. كما تناقش هذه الورقة دور القوى والأطراف الفاعلة والمؤثرة على صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكيّة على السياسة الخارجيّة الأمريكية، ومنها الموقف الأمريكي من القدس.

تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية، وهي: **المحور الأول**، يقدم مدخلًا نظريًّا تقديميًّا حول السياسة الأمريكيّة التقليديّة تجاه القدس، ويتناول **المحور الثاني** دور العامل

الديني من خلال الجماعات الضاغطة؛ اللوبي الصهيوني والمسيحيين الإنجيليين على السياسة الخارجيّة الأمريكيّة تجاه القدس، ويناقش **المحور الثالث** آليّة تعاطي إدارة الرئيس بايدن مع ملف القدس، وخاصة من خلال زيارة بايدن لإسرائيل والأراضي الفلسطيني المحتلة، والموقف من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بعد السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023م.

المقدمة

تتميز مدينة القدس عن غيرها من مدن العالم بامتلاكها أهميّة خاصة لدى أتباع الديانات السماويّة الثلاث، اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، ويعود ذلك استنادًا إلى نبوءات دينيّة وسماويّة وتاريخيّة لدى أتباع الديانات السماوية، وانعكس ذلك على أهميّة حضاريّة ثقافيّة تاريخيّة لدى أتباع هذه الديانات، وهذه الأهميّة الدينيّة أكسبت المدينة بعدًا واهتمامًا دوليًّا كبيرًا لدى الإمبراطوريات المتعاقبة في الشرق والغرب، إذ كانت القدس عبر التاريخ وجهة لكل القوى الدوليّة المتصارعة على السيطرة والنفوذ في العالم.

وفي العصر الحديث، اكتسبت القدس مكانةً واهتمامًا دوليًّا من كل القوى الفاعلة على الساحة الدوليّة، وخاصة من الفاتيكان كممثل للمسيحيين، ومن منظمة المؤتمر الإسلامي، ومن الأمم المتحدة، ومن الولايات المتحدة الأمريكيّة وبريطانيا. إذ عملت الأمم المتحدة على إعطاء القدس مكانة خاصة بأنها منطقة دوليّة في العام 1947م بقرار التقسيم، وقد أيدت غالبيّة دول العالم هذا القرار في تلك الفترة، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكيّة والاتحاد السوفييتي والدول الأوروبية.

لقد راهنت الكثير من القيادات العربيّة والفلسطينيّة على فوز جو بايدن في إحداث تغيير في السياسة الخارجيّة الأمريكيّة تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بعد فوزه في الانتخابات الرئاسيّة الأمريكيّة في العام 2020م، بل إن بعض الأطراف العربيّة والفلسطينيّة علقت آمالًا كبيرةً على الرئيس جو بايدن وإدارته الجديدة، بعد فترة حكم الرئيس الجمهوري دونالد ترامب، الذي تجاوز كل الأعراف التقليديّة لمواقف الولايات الأمريكيّة من الصراع

الفلســطيني الإسرائيلي، والذي أقدم على خطوات سياسيّة مثيرة للجدل، أهمها: الاعتراف بالجولان الســوري كجزء من دولة إسرائيل، ونقل الســفارة الأمريكيّــة من تل أبيب إلى القدس تنفيذًا لقرار ســابق للكونغــرس الأمريكي الذي يقضي بذلــك، والذي دأب كل الرؤســاء الأمريكيين، منذ صدور ذلك القرار، على تأجيل نقل السفارة إلى القدس استنادًا إلى اعتبارات سياســيّة وأمنيّة، وقد منح الكونغرس الحق للرئيس منذ صدور القرار بتأجيل تنفيذه كل ستة أشهر.

لقد كشــفت عمليّة الســابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023م، عن حقيقة العلاقات البنيويّة ما بين الولايات المتحدة الأمريكيّة وبريطانيا وبعض دول الاتحاد الأوروبي وإسرائيل من جهــة، ومن جهة أخرى بصورة أكثر وضوحًا وموضوعيّة من الصورة المشــوهة، التي حاولت كل من بعــض دول الاتحــاد الأوروبي والولايات المتحــدة الأمريكيّة وبريطانيا تقديمهــا للعلاقة مع إسرائيل وموقفها من الصراع العربي الإسرائيلي، إذ تجلى الموقف المؤيد والمشارك والداعم لدولة إسرائيل في ردها القوي والحاسم ضد قطاع غزة، وارتكاب الكثير من الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي، وجرائم حرب ضد المدنيين في قطاع غزة، وأكدت مواقــف إدارة الرئيس بايدن أن ما يحكم العلاقة الأمريكيّة الإسرائيليّة وموقف إدارة بايدن من القدس، لا يعتمد على ادّعاء القيم المشــتركة بين الدولتين، ولا على النظريّة الواقعيّة في العلاقــات الدولية، بل على عوامل بنيويّة داخليّــة في الولايات المتحدة الأمريكيّة في آليات صنع القرار السياسي، وموقفها من القدس والصراع الفلسطيني الإسرائيلي بشكل عام.

لتفســير الموقف الأمريكي في ظل إدارة بايدن من القدس، والتي هي جزء أساسي ومهم من السياسة الخارجيّة الأمريكيّة، تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والتي شابها انحسار في الســنوات الثلاث الأولى، ولكنها عادت بقوة في الســنة الأخيرة، ســوف نقوم بتقديم ملامح سياسة إدارة الرئيس بايدن من القدس، ونركز على التحولات والتغيرات في الموقف الأمريكي من القدس، وعلى الأطراف الفاعلة والمؤثرة على صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكيّة على الموقف الأمريكي من القدس، في ظل فترة حكم الرئيس جو بايدن، والموقف

من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بعد السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023م.

المحور الأول: مدخل نظري تقديمي حول السياسة الأمريكيّة التقليديّة تجاه القدس

اتسم الموقف الأمريكي من القدس الشرقيّة في كثير من الأحيان بالضبابيّة، وعدم الوضوح، وكان موقفًا مرنًا ومتوسطًا في رسالة ودلالات مختلفة. ويعود هذا إلى عدة اعتبارات لدى الإدارات الأمريكيّة المتعاقبة؛ وفق الارتباطات والمصالح الإستراتيجيّة الأمريكيّة في الشرق الأوسط، والتوازنات الدوليّة، ومن أجل تقديم رسائل ودلالات معيّنة لدى الإدارات الأمريكيّة في آليّة تعاطيها مع قضايا الشرق الأوسط، وخاصة قضيّة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والخصوصيّة التي تتميز بها مدينة القدس في مكانتها الدينيّة والتاريخيّة، لدى المسلمين والعرب، بل والعالم المسيحي، والاعتبارات الدينيّة اليهوديّة فيها (زيداني، 2024).

يعود الوجود الأمريكي في مدينة القدس إلى العام 1844م، عندما تم تعيين القنصل الأمريكي (واردر كريسون) من قبل الرئيس الأمريكي جون تايلر كأول قنصل أمريكي في القدس، إذ شهد القرن التاسع عشر تنافسًا بين الدول الأوروبيّة على فتح قنصليات لها في القدس، إذ قامت كل من (روسيا، بريطانيا، فرنسا، النمسا) بفتح قنصليات لها في القدس من أجل دعم الأنشطة التبشيريّة في مناطق الإمبراطوريّة العثمانيّة وزيادة الحماية للكنائس المسيحيّة والأماكن المقدسة في مدينة القدس (مسارات، 220).

واتسم الحضور الأمريكي في القدس، والاهتمام منذ بدايات القرن العشرين بالحضور الرمادي والضعيف، والذي لم يكن حضورًا قويًا أو بارزًا، بل كان رمزيًّا، ويرتكز على الاهتمام الدينيّ والإيمانيّ فقط، وذلك لعدم وجود الشرق الأوسط في سلم الاهتمام والأولويات الأمريكيّة في تلك الفترة؛ إذ كانت منطقة الشرق الأوسط منطقة نفوذ موزعة بين فرنسا وبريطانيا، ولم يكن هناك حضورًا أمريكيًّا في المنطقة (Modigs et al, 2003, p: 1).

وهــذا يعود إلى الظروف الداخليّة التي مرت بهــا الولايات المتحدة الأمريكيّة بعد نهاية الحرب الأهليّة عام 1865م؛ إذ استخدمت سياســة خارجيّة متحفظة ومنعزلة، وانشغلت بالقضايا الداخليّة بســبب الخســائر الكبــيرة الناتجة عن الحرب، وركــزت على المجالات الداخليّة الزراعيّة والصناعيّة (جابريل وآخران، 1988، ص: 954).

ولكــن هذا التوجه الانعزالي الدّاخلي للولايات المتحــدة الأمريكيّة قد تغير بعد الحرب العالميّة الثانيّة وظهور النظام الدولي الجديد -نظام القطبين- إذ اســتندت السياسة الخارجيّة الأمريكيّــة في تلك الفــترة إلى نظريّة القــوة والمصلحة في التعامل مــع القضايا الخارجيّة، واعتمدت القوة العســكريّة والوســائل الأخرى للدفــاع عن أمنهــا القومي ومصالحها الإستراتيجيّة الخارجيّة (فوكوياما، 1993، ص: 220).

لقد كان للاهتمام الأوروبي بمنطقة الشرق الأوســط دور بارز في تنبيه الولايات المتحدة الأمريكيّة إلى أهميّة تلك المنطقة، وجاء ذلك بعد ظهور النفط في الشرق الأوســط والتقاسم البريطاني الفرنسي له كمناطق نفوذ، والأهميّة الإســتراتيجيّة لهذه المنطقة كمركز بين الشرق والغرب، وطريق نقل للقوافل التجاريّة عبر قناة السويس، واحتوائه على كميات كبيرة من النفط والغــاز الطبيعي. كل هذه العوامل دفعت الولايات المتحــدة الأمريكيّة إلى التحول للاهتمام بالمنطقة، من اهتمام ديني فقط، إلى اهتمام سياسي اقتصادي إستراتيجي.

وترجم الموقف الأمريكي تجاه القدس في البدايّة بعد صدور وعد بلفور في 2/ 11/ 1917م، والذي عملت الولايات المتحدة على دعمه من خــلال عدد من الخطوات، أهمها: الضغط على بريطانيا لتسريع الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، وتبني مشروع الوكالة اليهوديّة في تقسيم فلســطين إلى دولتين؛ إذ أيدت الولايات المتحدة الأمريكيّة قرار التقسيم رقم (181)، الذي نص على تدويل مدينة القدس، وتقســيم فلسطين إلى دولتين -دولة للعرب ودولة لليهود- بل مارست ضغوطًا كبيرةً على كثير من الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة من أجل تأييد هذا القرار (صيام، 2024).

في العـــام 1948، احتلـــت إسرائيل حـــوالي (84%) من القدس، التـــي عرفت فيما بعد بالقدس الغربيّة، وبقي حوالي 12% من القدس تحت ســيطرة الجيش الأردني، الذي أصبح يعـــرف بالقدس الشرقية، وفي العام 1950م بدأت الحكومة الإسرائيليّة بنقل مقراتها من تل أبيب إلى القـــدس، باعتبارها العاصمة الأبديّة لدولة إسرائيل، وبقي ما تبقى من مســـاحة القدس أرضًا مشاعًا تحت سيطرة الأمم المتحدة (الحديثي، 1996).

وبعـــد احتلال إسرائيل للضفـــة الغربيّة في العـــام 1967م اعتـــبرت الولايات المتحدة الأمريكيّة القدس الشرقيّة أراضيَ محتلـــة، ولم تعترف بالإجراءات الإسرائيليّة التهويديّة في المدينة، وجاء التحول في الموقف الأمريكي من القدس بعد انطلاق مؤتمر مدريد للسلام في العام 1991 وتوقيع اتفاق أوســـلو في العام 1993، إذ اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكيّة أن موضوع القدس مـــتروك للمفاوضـــات الثنائيّة بين الجانبين الإسرائيلي والفلســـطيني وليـــس مرجعيته القرارات الدولية، واتخذ الكونغرس الأمريكي في بداية التســـعينيات من القرن الماضي قرارًا بنقل الســـفارة الأمريكيّة من تل أبيب إلى القدس، ولكنه أعطى الرئيس الأمريكي حق تأجيله نظرًا للاعتبارات الأمنية (آل سكوتي، 2024).

وكان الموقف الأمريكي، الرســـمي والمعلن من القدس قبـــل إعلان قيام دولة إسرائيل في العام 1948م، هو تدويل مدينة القـــدس وأيدت قرار الجمعيّة العامة رقم (181)، الذي نص على تدويل القدس وتقســـيم فلسطين إلى دولتين، واســـتمرت الولايات المتحدة بعدم الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ومنعت الموظفين الأمريكيين في إسرائيل من ممارسة أي نشـــاط دبلوماسي أمريكي في القدس الغربية، واســـتمر الموقف الأمريكي من احتلال الشـــطر الغربي من مدينة القـــدس على حاله، وقد تجلى ذلك بوضـــوح في عدد من المواقف الأمريكيّـــة، كان أولها في البيان الثلاثي الأمريكـــي البريطاني الفرنسي، الذي صدر في العام 1950م، والـــذي أكد على حماية إسرائيل عند تعرضها لأي تهديد خارجي، ولكن الولايات المتحدة الأمريكيّة قدمـــت احتجاجًا لإسرائيل، على خلفيّة نقل وزارة الخارجيّة الإسرائيلية من تـــل أبيب إلى القدس الغربيّة في العام 1953م، اســـتنادًا إلى أن مدينة القدس تقع ضمن

المنطقــة الدوليّة، بناءً على قرار التقســيم رقم (181)، واســتمرت بالامتناع عن الاعتراف بالقدس عاصمة لدولة إسرائيل، وبقي هذا الموقف مستمرًّا حتى منتصف تسعينيات القرن الماضي (Boudreault and Salaam, 1992, pp: 66-67).

لطالما أكدت الحكومات الأمريكيّة المتعاقبة عــلى موقفها من مدينة القدس بأن يتم حل هذا الملف، من خلال المفاوضات المباشرة بين الجانبين الإسرائيلي والفلســطيني. إضافة إلى ذلك، فإن الولايات المتحدة الأمريكيّة، من خلال مواقفها في المؤسسات الدوليّة، تؤكد على ما ورد في اتفاقات السلام الموقعة بين إسرائيل والأردن ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينيّة، وهذا تجلى بوضوح من موقــف الولايات المتحدة من القرار رقم (478) الصادر عن مجلس الأمــن الدولي، والذي صدر بموافقة (14) دولة وامتنــاع الولايات المتحدة الأمريكيّة عن التصويــت، إذ اعتبر هذا القرار أن ضم إسرائيل للقدس مخالفًــا للقانون الدولي، وغالبًا ما كانــت التصريحات الأمريكيّــة تدعو وتؤيد أن ملف القدس يــأتي ضمن مفاوضات الحل النهائي، بمعنى أنه لا يجوز لأي طرف أن يقرر بشــكل أحادي الجانب دون موافقة الطرف الآخر (مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2017، ص: 1-2).

المحور الثاني: دور العامل الدينــي من خلال الجماعات الضاغطة اللوبــي الصهيونــي والمســيحيين الإنجيليــين علــى السياســة الخارجيّة الأمريكيّة تجاه القدس

اســتندت العلاقة التقليديّة بين إسرائيــل والولايات المتحــدة الأمريكيّة إلى ادعاءات ومبررات كثــيرة بوصفها علاقة إســتراتيجيّة قائمة على القيم الديمقراطيّة المشــتركة بين الدولتين والمصالح الإستراتيجيّة، والنظر إلى إسرائيل بأنها حجر الأساس والحامية للمصالح الأمريكيّة في الشرق الأوســط، وتعتبر قضيّة الحفاظ على أمن إسرائيل وقوتها وهيمنتها في المنطقة هو من المسلمات في السياسة الأمريكيّة الشرق الأوسطية، وتمثل إسرائيل أداة ضغط أمريكيّة في الإســتراتيجيّة الدولية. إضافة إلى ذلك، الاســتمرار في دعم الأنظمة السياسيّة الموالية للإدارة الأمريكيّة، والعمل على إقامة علاقات دبلوماســيّة بين حلفاء واشــنطن في

منطقة الشرق الأوسط (صالح، 2012).

ولكن الدوافع الحقيقيّة للدعم الأمريكي المطلق لإسرائيل يعود إلى اعتبارين أساسيين: الأول، الضغط والتأثير والمصالح المشـــتركة للّوبي الصهيوني مع صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وهو ما يخضع للمصالح والاعتبارات السياســيّة، وغالبًا ما يتجلى هذا الاعتبار لدى الحزب الديمقراطي والإدارات الأمريكيّة الديمقراطية، من خلال مؤسسات هذا اللّوبي الضاغطة وهي منظمة إيباك، ومعهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، ورابطة مكافحة التشـــهير، ومســـيحيون متحدون من أجل إسرائيل. والاعتبار الثاني، هو الاعتبار الديني المتجذر لدى شريحة واســـعة من المجتمع الأمريكي، وخاصة المسيحيين الإنجيليين، والذين يمثلون القاعدة الانتخابيّة للحزب الجمهوري، وهذا الاعتبار غالبًا ما ينســـجم مع الحزب الجمهوري والإدارات الأمريكيّة الجمهورية (صيام، 2024).

واســـتنادًا إلى كون إدارة الرئيس جو بايـــدن إدارة ديمقراطيّة، فإن التأثير الأقوى عليها يكـــون تأثيرًا من قبل اللوبي الصهيوني في الولايات المتحـــدة الأمريكية، ولكن تأثير اليمين المســـيحي الديني يكون محدودًا من خلال بعض الموظفين المؤثريـــن في مراكز صنع القرار، ولكن القرار الأســـاسي يكون للنخب السياســـيّة والقادة الديمقراطيـــين، الذين يتأثرون بالمصالح والارتباطات السياســـيّة مع اللوبي الصهيوني، وهو ما تجسّد في الإدارة الأمريكيّة الحاليّة بقيادة الرئيس جو بايدن.

فاللـــوبي الصهيوني في الولايات المتحدة هو اللوبي الأكثر تنظيمًا وتأثيرًا في العالم، إذ تعتبر منظمة إيباك أقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة الأمريكيّة على الكونغرس، بهدف استمرار الدعم الأمريكي لإسرائيل، وتأثيرها مباشر على الحزبين الجمهوري والديمقراطي، وتعتـــبر الولايات المتحدة الأمريكيّة أكبر تجمع لليهود في العالم خارج إسرائيل؛ إذ يبلغ عدد اليهـــود في أمريكا حوالي (5 , 5) مليون يهودي، وقد اســـتغل اليهـــود في الولايات المتحدة الأمريكيّة القانون الأمريكي الصادر في العام 1946م، الذي أعطى الحق للجماعات المختلفة

بتشكيل مجموعات ضغط لتحقيق مصالحها باستخدام إستراتيجيات خاصة بالتأثير المباشر على صناع القرار والتأثير غير المباشر، من خلال حشد الرأي العام وتجييشه، وخلق تأثير على صانعي السياسات لتحقيق مطلب تلك اللوبيات (السهلي، 2024).

وهذا ما يقوم به اللوبي الصهيـــوني في الولايات المتحدة من خلال الضغط المباشر وغير المباشر على الإدارة الأمريكيّة والكونغرس الأمريكي، من أجل تقديم الدعم المستمر لدولة إسرائيل وتأييد الموقف الإسرائيلي والدفاع عنه في المحافل الدوليّة، وخاصة في الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية، إضافة إلى الاســتمرار في تقديم الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري لها.

ولكن الموقف الإسرائيلي الذي يعتبر أن الســيادة الكاملة والمطلقة على القدس الموحدة (الشرقيّة والغربية) هو موقف يتفق وينسجم مع موقف اليمين المسيحي الإنجيلي الأمريكي، ويعود ذلك إلى اعتبارات دينيّة عقائديّة مشــتركة بين الجانبين، وقد هاجم (آريه ســبيرو)، رئيس التجمع من أجــل أمريكا، وأحد قادة اللوبي الصهيــوني إدارة بايدن، حين قال: إن إصرار إدارة بايدن على إنشــاء قنصليّة أمريكيّة للعرب الفلســطينيين في القدس يشــير إلى خطط إدارة بايدن لجعل القدس عاصمة عربيّة في المستقبل، وهي تناقض القانون الذي أقره الكونغرس بشأن القدس في العامي 1995م، وإن القلق الذي يراود إدارة بايدن من الدخول في مواجهة سياسيّة مع إسرائيل على خلفيّة إعادة افتتاح القنصليّة الأمريكيّة في القدس، هو من أهم العوامل التي تمنع الرئيس بايدن من اتخاذ قرار بذلك (المنشاوي، 2021).

من هنا، فإنه يبدو واضحًا ضغــط اللوبيات والجماعات الضاغطة وتأثيرها، مثل: إيباك خلال عشرات الســنين على الإدارات الديمقراطيّة والجمهوريــة، ولكن تأثيرها أكثر على الإدارات الديمقراطيّة، ومنها إدارة الرئيــس بايدن؛ لأن الإدارات الجمهوريّة يأتي تأييدها لإسرائيــل من منطلقات واعتبارات ذاتيّة بداخلها، مســتندة إلى مرجعيــات دينيّة إنجيلية (المســيحيّة الصهيونية)، ولا يعتمد على اعتبارات سياســيّة وعلاقات إســتراتيجيّة وقيم

مشـــتركة، كما هو الحال في الإدارات الديمقراطية. ومن هنا يرتاح نتنياهو للتعامل أكثر مع الحزب الجمهوري، بينما الآخرون في إسرائيل يفضلـــون التعامل مع الحزب الديمقراطي؛ لأن نســـبة اليهود المؤثرين على الحزب أكـــبر وينطلقون من اعتبارات سياســـيّة ديناميكيّة، ويوجد وزن انتخابي لليهـــود في الكونغرس وفي الإدارة الديمقراطيّـــة، وهو ما يتلاءم مع البرامج السياســـيّة لأحزاب الوســـط واليسار في إسرائيل، ســـواء في معالجة القضايا ذات العلاقة بالصراع الفلســـطيني الإسرائيلي أو في القضايا ذات العلاقة الداخليّة الإسرائيليّة، مثل: الديمقراطيّة الإسرائيليّة، والحريات العامة، ومكانة السلطة القضائيّة في إسرائيل، التي حدث حينها جدل كبير في أوساط النخب الإسرائيليّة والشارع الإسرائيلي، وكان هناك نوع من التحرك الأمريكي في هذا الشـــأن، إذ كانت إدارة بايدن مؤيدة بشـــكل واضح وصريح للمعارضة الإسرائيليّة وللمظاهرات التي خرجت لوقف ما عرف بالإصلاحات القضائية (زيداني، 2024).

لقد كان للجماعات الضاغطة وخاصة اليمين المسيحي الذي يؤيد إسرائيل من منطلقات عقائدية دور مؤثر على المؤسسات وصناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية في استمرار الدعم الأمريكي لإسرائيل على مر الســـنين، فقبل تشـــكل اللوبيات السياسية الضاغطة في الولايـــات المتحدة الأمريكية كان العامـــل الديني اللاهوتي هو الحاضر بقوة في السياســـة الأمريكية. ومن هنا، فإن العامل السياسي والعامل الديني يلتقيان معًا في صياغة إستراتيجيّة وسياســـة الولايات المتحدة تجاه مدينـــة القدس، وغالبًـــا ما كانـــت الإدارات الأمريكيّة الجمهوريّة تتعامل مع القدس من مرجعيّة دينية، والإدارات الديمقراطيّة تتعامل مع القدس من مرجعيات سياسية (صيام، 2024).

يتميز الشـــعب الأمريكي بأنه شعب متدين أكثر من الشـــعوب الأوروبيّة؛ إذ تبلغ نسبة التدين في المجتمع الأمريكي حوالي (95)%، بينما تبلغ نسبة التدين في ألمانيا حوالي (54%)، وفي فرنسا حوالي (48)%، ويعود ذلك إلى الإحياء المسيحي الديني لدى المجتمع الأمريكي، والذي تســـتثمر الجماعات البروتستانتيّة الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكيّة في الضغط

لصالح دعم إسرائيل ومناصرتها (الحسن، 2002، ص: 309).

إضافــة إلى ذلك، فإن تعصب الأمريكيين لإسرائيل، كقادة ونخب وقطاعات شــعبيّة، يرجع إلى سيطرة الثقافة الأمريكيّة السائدة في المجتمع الأمريكي، والتي توصف بأنها ثقافة (يهو مســيحية) ترتكز على القيم والتقاليد الدينيّة للمسيحيّة واليهوديّة، الأمر الذي يتحول في النهاية إلى دعم ســياسيً في توافق وانســجام قويين ما بين القيم الأمريكيّة والإسرائيليّة، وهو ما يفسر الموقف الأمريكي من القــدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، كما تم إقرار ذلك بقرار من الكونغرس (مرقس، 2003، ص: 37-40).

وفي الأربعينيات من القرن التاسع عشر شــهدت الولايات المتحدة صحوة دينيّة كبيرة تمثلت في انشــقاق المســيحيّة الصهيونيّة عن المســيحيّة اليهودية، وأصبحت تلك المسيحيّة تعرف بالمسيحيّة الأصولية (اليمين المسيحي)، وتبنّى هذا التيار العمل السياسي في الولايات المتحــدة الأمريكيّة، وعمل على تحويل الاعتقاد بإقامة دولة إسرائيل في فلســطين إلى التزام ســياسيّ لديه، وهذا ســابق بكثير لظهور اللّوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكيّة وســابق لظهور ثيودور هرتــزل، الذي دعا إلى إقامة دولة إسرائيــل في أرض الميعاد أي في فلسطين، ولقد نجحت الجماعات المســيحيّة البروتستانتية (اليمين المسيحيّ) في جعل دعم إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وإقامة دولة إسرائيل انتظارًا لعودة المسيح. وأصبح هذا الدعم جزءًا مهمًّا من الثقافة الأمريكيّة والنظام التعليمي والمؤسســات الإعلاميّة التي تدفع كلها بهذا الاتجاه، بما يعني أن دعم إسرائيل في الحيز العام الأمريكي ليس موقفًا سياسيًّا بل التزامًا إلهيًّا، بأن مباركة الله عز وجل لأمريكا، هو بسبب دعمها لإسرائيل ولليهود الذين هم شعب الله المختار، وأصبح هذا التيار الديني في الولايات المتحدة يتحكم بكل المؤسسات الاقتصاديّة، والسياسيّة، والثقافيّة، والإعلامية (مقامر، 1992، ص: 160-162).

لقــد كانت العلاقة الروحيّــة اللاهوتيّة الثقافيّة الخاصة هي العامل الأســاسي في ربط النخب السياسيّة والثقافيّة الأمريكيّة بقضية الدولة اليهوديّة، وإقامة وطن قومي لليهود في

فلسطين، استنادًا إلى معتقدات دينيّة لاهوتيّة حول عودة المسيح الثانيّة والحكم الإلهي للعالم من مدينة القدس قبل ظهور الاعتبارات السياسيّة واللوبيات الصهيونيّة المؤثرة على القرار السياسي الأمريكي.

وقد جاء نقل السفارة الأمريكيّة إلى القدس في عهد الرئيس دونالد ترامب استنادًا إلى العديد من الاعتبارات التي اجتمعت معًا وأدت إلى اتخاذ القرار بنقل السفارة، كان من أهمّها الضغط من الإنجيليين المسيحيين في إدارة ترامب، إضافة إلى قرار الكونغرس الأمريكي، الذي كان يطالب به منذ سنوات، وكان هناك تأييد للقرار في الكونغرس الأمريكي من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي منذ زمن بعيد، ولكن الإدارات الأمريكيّة لها حسابات مختلفة، كما وزراء الخارجيّة أيضًا، جاء ترامب بهذا التحالف ونفذ قرار الكونغرس، وإدارة الرئيس بايدن لا تستطيع إلغاء هذا القرار (زيداني، 2024).

المحور الثالث التحركات السياسيّة لإدارة الرئيس بايدن وموقفها من القدس والصراع الفلسطيني الإسرائيلي

لقد تمثل التحرك السياسي لإدارة الرئيس بايدن في التعامل مع الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وموقفها من القدس في عدد من المحددات، أهمها: مواجهة التعقيدات والقيود التي فرضتها إدارة ترامب في ملف القدس، والتحرك السياسي لإدارة بايدن تجاه ملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وزيارة الرئيس بايدن للقدس وبيت لحم، وموقف إدارة بايدن من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بعد السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023م.

العقبات والتقييدات التي واجهتها إدارة بايدن بسبب الإرث السياسي من إدارة ترامب

لقد قامت إدارة الرئيس ترامب بنقل السفارة الأمريكيّة من تل أبيب إلى القدس، وهي بذلك عملت على تنفيذ ما عرف بقانون السفارة الأمريكية. هذا القانون الذي أقره الكونغرس الأمريكي في 23 تشرين الأول/ أكتوبر 1995م، بأغلبيّة في مجلس الشيوخ

(93) مؤيـــد مقابل (5) معارضـــين، أغلبية في مجلس النواب بأغلبيـــة (374) مؤيدًا مقابل (37) معارضًا؛ إذ إن قرار الكونغرس اشـــتمل على ثلاث قضايا أساســـيّة، وهي: أن تكون القدس موحدة ولا يتم تقســـيمها، وتكون القدس الموحدة عاصمة لدولة إسرائيل، وإلزام الإدارة الأمريكيّة بنقل السفارة الأمريكيّة من تل أبيب إلى القدس في الوقت المناسب، ومنح الرئيس الحق بتأجيل هذا التنفيذ كل ســـتة أشهر، وفقًا للمقتضيات الأمنيّة وحماية المصالح الأمريكية[1].

وجاء تنفيذ إدارة ترامب لقرار الكونغرس الأمريكي ليمنح الاحتلال الإسرائيلي مزيدًا مـــن الشرعيّة والاعتراف بكل ما تقـــوم به إسرائيل من خطوات أحاديّـــة الجانب في مدنيّة القدس، والانحياز الأمريكي الواضح لإسرائيل، وانسجام السياسة الأمريكيّة مع السياسة الإسرائيليّة، ومساندة الولايات المتحدة الأمريكيّة لإسرائيل، في حين أنها كانت تحاول دائمًا أن تعبّر عن موقف أكثر توازنًا واعتدالًا فيما يخص القدس (المبحوح، 2021).

إن تنفيذ إدارة الرئيس ترامب لقانون الســـفارة الأمريكيّة، والذي تضمن نقل الســـفارة الأمريكيّة من تل أبيب إلى القدس عمل على تقييد إدارة الرئيس بايدن في محدوديّة الخيارات السياسيّة لطرح أي مبادرة سياســـيّة لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وأهمها فيما يتعلق بمدينـــة القدس؛ إذ لا تســـتطيع الإدارة الأمريكيّة اتخاذ قرار بإعادة الســـفارة إلى تل أبيب، وتنفيذ القانون يعتبر تجاوزًا للموقف الأمريكي التقليدي، الذي استمر بتأجيل نقل السفارة إلى القـــدس، ويخالف الرؤية التقليديّة للإدارة الأمريكيّة لوضع مدينة القدس بأنه ســـوف يحدد من خـــلال المفاوضات بين الجانبين الإسرائيلي والفلســـطيني، وأصبح هناك اعتراف ضمني وواضح بالقدس الموحدة عاصمة لدولة إسرائيل.

عند تســـلم الرئيس بايدن للحكم في الولايات المتحدة الأمريكيّة في بدايّة العام 2021م

(1) Jerusalem Embassy Act of 1995, Public Law 104-45-Nov. 8, 1995, site of congress.gov, https://goo.gl/NTVrec (accessed on 11/2/2024)

بدأ الحديث عن إعادة رسم السياسة الخارجيّة الأمريكيّة تجاه القضيّة الفلسطينيّة، وخاصة بالحديث عن حل الدولتين والموقف الرافض للاستيطان ومعارضته لأي عمليات ضم للأراضي الفلسطينيّة تقوم بها الحكومة الإسرائيلية (عزم، 2020، ص: 99).

واجه الرئيس بايدن عددًا من العقبات التي فرضتها إدارة الرئيس ترمب، وأهمها: نقل السفارة من تل أبيب إلى القدس، وتحويل القنصليّة الأمريكيّة في القدس إلى وحدة الشؤون الفلسطينيّة في السفارة الأمريكيّة، وإغلاق مكتب منظمة التحري في واشنطن، فلم تقم بإعادة السفارة من القدس إلى تل أبيب، ولكنها عملت على إعادة تقديم المساعدات لمستشفيات القدس ولوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الأونروا (المركز العربي واشنطن دي سي، 2021، ص: 24).

ولم تضع إدارة بايدن حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على سلم أولوياتها، بل تحدثت بشكل عام عن حل الدولتين مع عدم الإشارة إلى أي من القضايا الأساسيّة للصراع وخاصة قضيّة القدس والتي تمثل أهم القضايا الشائكة في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، إضافة إلى قضايا الحدود واللاجئين والأمن (تلحمي، 2021، ص: 234). وعلى الرغم من أنه عند تسلم الرئيس بايدن الحكم في الولايات المتحدة الأمريكيّة كثر الحديث عن إعادة إحياء المفاوضات بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، وحل القضيّة الفلسطينيّة على أساس حل الدولتين[1].

وكان هناك أمل فلسطيني أن يعيد بايدن افتتاح مكتب منظمة التحرير في واشنطن، وأن يعيد افتتاح القنصليّة الأمريكيّة في القدس باستقلاليتها، كما كانت في السابق وليس كجزء من السفارة الأمريكية، ولكن هذا لم يحدث بسبب قوة اللوبي الصهيوني وتأثيره

(1) بايدن يؤكد على «حل الدولتين» والتزام واشنطن تجاه إسرائيل» موقع قناة الحرة الإلكتروني 22/ 5/ 2021. تاريخ الدخول 1/ 3/ 2024. على الرابط:
https: / /www.alhurra.com /palestine /2021/ 05/ 22/ بايدن-يؤكد-حل-الدولتين-والتزام-واشنطن-تجاه-إسرائيل-وإعمار-غزة

على إدارة الرئيس بايدن، وخاصة في الموقف من القدس ودعمه المطلق لإسرائيل، وعلى الرغـــم من تعهد الرئيس جو بايدن في حملته الانتخابيّة بإعادة افتتاح القنصليّة الأمريكيّة في القـــدس، ولكنه لم يفِ بوعـــوده تلك، ويعود ذلك إلى عدة أســـباب، منها: الأولويّة لدى إدارة بايدن هي الملـــف النووي الإيراني ولا يريد إثارة حفيظة إسرائيل بإعادة فتح القنصليّة في القدس، كما أن ذلك قد تم اســـتباقه بموقف من الجمهوريين بطرح مشروع قانون في الكونغرس لمنع تقسيم القدس؛ لأن إعادة افتتاح القنصليّة الأمريكيّة في القدس -كما يدّعي الجمهوريون- قد يؤدي إلى تقويض السيادة الإسرائيليّة على القدس، وقدم (35) عضـــوًا في مجلس النواب الأمريكي مشروع قانون يهـــدف إلى منع إدارة بايدن مما يسمّونه (استرضاء الفلسطينيين وتقسيم القدس) من أجل عرقلة إعادة افتتاح القنصليّة الأميركية في القـــدس، إذ إن مشروع القانون يحظر وجود أي منشـــأة دبلوماســـيّة غير السفارة الأمريكيّة في القدس، ويحظر أيضًا تقديم أيّ أموال حكوميّة لفتح أي منشأة من هذا القبيل (المنشاوي، 2021).

تعـــدّ إدارة بايدن النشـــاط الاســـتيطاني والضم إجـــراءات أحاديّة الجانـــب تعيق حل الدولتين، وأعلن الرئيس بايدن في عدة مناسبات عدم تأييده للاستيطان في الأراضي المحتلة عـــام 1967، بما فيها القدس الشرقيّة، وقال بايدن: إن المســـاعدات الأمريكيّة لإسرائيل قد تتأثر إذا استمرت بتنفيذ سياسة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية (عبد الحي، 2021، ص: 6). كما حـــذرت إدارة بايدن الحكومة الإسرائيليّة من مخاطر إجلاء العائلات الفلســـطينيّة من القدس الشرقيّة، ومن سياســـة هدم البيوت، وإن هذا يقوض خيار حل الدولتين وتجدد التوتر والصراع (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020). وأعلنت إدارة بايدن في أكثر من موقف عن معارضتها لسياسات الحكومة الإسرائيليّة في مصادرة الأراضي وبناء المســـتوطنات وهدم المنازل في القدس، ولسياسات الحكومة الفلسطينيّة في التحريض ودفع الأموال للأسرى والمعتقلين (رفيق، 2021، ص: 2).

وأكدت إدارة بايدن على استمرار دعمها لأمن إسرائيل وتمويلها عسكريًّا، في ظل وجود

ائتلاف حكومي يميني في إسرائيل يركز على تحسين الوضع الاقتصادي مع الفلسطينيين، دون الحديث عن أيّة رؤية سياسيّة، وهو ما شكل نقطة اتفاق ما بين الحكومة الإسرائيليّة وإدارة بايدن حول إنعاش الوضع الاقتصادي المتردي في الأراضي الفلسطينية (قاعود، 2021، ص: 4).

عكس كل التوقعات والتأملات الفلسطينيّة والعربيّة في تغيير هذا الموقف، من خلال تقديم إدارة بايدن لمواقف أكثر توازنًا فيما يتعلق بالقدس وطرح مبادرة سياسيّة وإعادة الأمور، كما كانت عليه في السابق بخصوص القنصليّة الأمريكيّة في القدس ومكتب منظمة التحرير في واشنطن، إلا أن ذلك لم يحصل، وهذه الأمور لم تكن أولويّة في سياسة الرئيس بايدن، وقد تكون ذات أولوية فلسطينيّة أو عربية، ولكن إدارة بايدن لم يُمارس عليها أي ضغط للقيام بذلك واتخاذ هذا القرار، ولم تقم إدارة بايدن بإعادة افتتاح مكتب منظمة التحرير الفلسطينيّة في واشنطن، وهذا يعود إلى أولويات هذه الإدارة، وبعدد من القضايا ذات العلاقة بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي في قضيّة القدس (زيداني، 2024).

ولكن إدارة بايدن عملت على إعادة الدعم الأمريكي لبعض القطاعات الفلسطينيّة، وأهمها الدعم المالي للمؤسسات الصحيّة في القدس الشرقيّة ولوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين -الأونروا- الذي أوقفته إدارة الرئيس ترامب ولمنظمات المجتمع المدني الفلسطينيّة من خلال الوكالة الأمريكيّة للتنميّة الدولية، وأعلنت عنه، أعادت التأكيد على التزامها بحل الدولتين، كما الإدارات السابقة، ولكن إعادة افتتاح مكتب منظمة التحرير في واشنطن يكون جزءًا من مبادرة سياسيّة تؤدي إلى استئناف المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وتريد أيضًا أن يكون هناك تجديد للشرعيّة الفلسطينيّة؛ بإجراء انتخابات رئاسيّة وتشريعيّة فلسطينيّة وتجديد شرعيّة المنظمة (زيداني، 2024).

الخطوات التي اتخذتها إدارة بايدن للدخول في مسار سياسي فلسطيني إسرائيلي

1) إنشاء منصب منسق الشؤون الفلسطينيّة في مكتب الشرق الأدنى في وزارة الخارجيّة الأمريكية:

عملت إدارة الرئيس جو بايدن على استحداث منصب جديد في وزرة الخارجيّة الأمريكيّة في دائرة الشرق الأدنى، تحت مسمى منسق الشؤون الفلسطينيّة في وزارة الخارجيّة الأمريكيّة، وكلفت الدبلوماسي الأمريكي اللبناني الأصل هادي عمر بهذا المنصب. وصرح هادي عمر في أول لقاء له مع الصحفيين في وزارة الخارجيّة الأمريكيّة بأن هذا المنصب غير مسبوق، وهو يرفع من شأن الملف الفلسطيني، ويتوافق مع التزام إدارة الرئيس بايدن بحل الدولتين والقضايا المتعلقة بالفلسطينيين ومن إدارة التحديات والترويج لمصالح الفلسطينيين، والتأكيد على التزام الرئيس بايدن بحل الدولتين، وتحقيق تدابير متساوية للجانبين لتحقيق الأمن والسلام والازدهار والعدالة للفلسطينيين والإسرائيليين، والشعب الفلسطيني يستحق دولة ذات سيادة وقابلة للحياة والعيش بسلام جنبًا إلى جنب مع دولة إسرائيل[1].

قام هادي عمرو بعدد من الزيارات إلى رام الله وتل أبيب، ولكنها لم تؤدّ إلى أيّة انفراجة سياسيّة في المسار السياسي بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، ولم يتم طرح مبادرة سياسيّة من قبل إدارة الرئيس جو بايدن، وبقيت تلك الزيارات تركز على بعض القضايا الرمزيّة والخدماتيّة، مثل: إعادة المساعدات الأمريكيّة لوكالة الأونروا، وتمويل المستشفيات في القدس الشرقيّة، وإعادة عمل وكالة التنمية الدوليّة الأمريكية، وعمل على الترتيب لزيارة

(1) إيجاز خاص للممثل الأمريكي الخاص للشؤون الفلسطينيّة هادي عمر. عن الموقع الإلكتروني لوزارة الخارجيّة الأمريكية.
إيجاز-صحفي-خاصّ-عبر-الهاتف-مع-/ https: / /www.state.gov /translations /arabic
الممثل-ال

الرئيس جو بايدن لإسرائيل والأراضي الفلسطينية، والتي أسفرت عن زيارة الرئيس بايدن لإسرائيل لمدة يومين، وأصدر ما عُرف بإعــلان القدس مع رئيس الوزراء الإسرائيلي يائير لابيد، وللأراضي الفلسطينيّة لمدة ساعتين التقى فيهما الرئيس عباس في بيت لحم.

2) إعلان القدس

وقّع الرئيس جو بايدن مع رئيس الوزراء الإسرائيلي يائير لابيد في 14/ 7/ 2022م وثيقة إعلان القدس للشراكة الإســتراتيجيّة بين البلدين. أكدت الوثيقــة على الروابط المتينة بين البلدين والتزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل، وعلى الشراكة الإســتراتيجيّة القائمة على القيم والمصالح المشتركة والصداقة بين البلدين، والمحافظة على التفوق العسكري لإسرائيل، وقدرة إسرائيل على ردع أعدائها ومواجهتهم، والدفاع عن نفسها ضد أي تهديد، وإن تلك الالتزامــات، بتفوق إسرائيل، هي التزامات مقدســة للولايات المتحــدة الأمريكيّة، وهي التزامات إســتراتيجيّة وحيويّة للأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكيّة نفســها، وتؤكد عــلى التزام الولايات المتحدة بالتصدي للأعمال العدائيّــة لإيران وحلفائها من المنظمات في المنطقة، وخاصة حزب الله وحماس والجهاد الإســلامي، ولكل الأنشــطة المزعزعة للأمن والاســتقرار في المنطقة، وإن أمن إسرائيل ضروري لمصالح الولايــات المتحدة الأمريكيّة وللاســتقرار الإقليمي، ومحاربة الجهود التي تدعو لمقاطعة إسرائيل ونزع الشرعيّة عنها أو إنكار حقها في الدفاع عن النفس، ســواء في الأمم المتحــدة أو في المحكمة الجنائيّة الدولية (وثيقة إعلان القدس، 2022).

3) زيارة بايدن مدينة بيت لحم

خــلال زيارة الرئيس الأمريكي جــو بايدن لمدينة بيت لحم، أكد عــلى التزام الولايات المتحدة الأمريكيّة بحل الدولتين بدولة مستقلة ذات سيادة متصلة جغرافيا، وإن هذا الهدف يبدو أنه بعيد المنال بســبب القيود التي تفرضها إسرائيــل، وقبل لقائه بالرئيس عباس، زار بايدن مستشفى المطلع في القدس وأعلن عن تقديمه مبلغ (100) مليون دولار دعمًا لشبكة

مستشفيات القدس الشرقية، وأكد على موقفه بأن حلّ الدولتين هو الضمانة لدولة إسرائيل الديمقراطيّة القويّة ذات الأغلبيّة اليهودية[1].

كانــت الولايات المتحدة الأمريكيّة منذ العام 1967م تعتــبر الضفة الغربيّة وقطاع غزة والقــدس الشرقيّة أراضيَ محتلة، خلافًا للموقف الإسرائيلي، الذي أصر على توحيد القدس ووضعها تحت الســيادة الإسرائيليّة، وتعتــبر الإدارات الأمريكيّة المتعاقبــة، بما فيها إدارة بايدن، أن القدس الشرقيّة والتي احتلت عام 1967م هي جزء من الأراضي المحتلة، ولكن جاء ترامــب واعترف بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، وهــو بذلك قد خالف الموقف الأمريكي التقليدي، ولكن إدارة بايدن لها موقف ســياسيّ مــا زال بايدن ملتزمًا به ويعتبر القــدس أراضيَ محتلة، هو جزء من تصور إدارة بايدن لحــل الدولتين ووضعها النهائي يتم تحديده من خلال المفاوضات واتفاق بين الطرفين.

4) قضيّة تحويل القدس مرفوض إسرائيليًّا

لم تســتطع الإدارة الأمريكيّة أن تلزم إسرائيل بتدويل القــدس؛ لأن هناك إجماعًا إسرائيليًّا عــلى القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، فقط في فترة كلينتون تحدثت الإدارة الأمريكيّة عن أن الأحياء العربيّة تكون جزءًا من الدولة الفلســطينيّة وعاصمة لها، ويتم إلحاق الأحياء اليهوديّة بالقدس الغربيّة كعاصمة لإسرائيل، ولكن هذا لاقى معارضة إسرائيليّة واختلفوا على الأحياء في البلــدة القديمة، ولكن الموقف الأمريكي، بما فيه موقف إدارة بايدن، قال إن القدس عاصمة للدولتين، القدس الشرقيّة -بعضها أو كلها- عاصمة للدولة الفلســطينيّة، بينما القدس الغربيّة عاصمة لإسرائيل والأحياء اليهوديّة في القدس الشرقيّة جزء من تلك العاصمة.

وهنا، فإن حل تدويل القدس ليس واردًا؛ لأنه لا يوجد طرف إسرائيلي رسمي أو حزبي

(1) إثــر لقائه عباس.. بايدن يجدد من بيت لحم التزام واشــنطن بحل الدولتين ويتعهد بتقديم 300 مليون دولار للأونروا ومستشفيات القدس. 2022 ,7 ,15. تاريخ الدخول 28/ 2/ 2024. عن الموقع الإلكتروني لقناة الجزيرة:

https: / /www.aljazeera.net /politics /2022/ 7/ 15/ إثر-لقائه-عباس-بايدن-يجدد-من-بيت-لحم/

مستعد لبحث هذا الموضوع، ولكن هناك مبادرة (دولة واحدة وشعبان) من شخصيات فلسطينيّة وإسرائيليّة تتضمن دولتين ووطن واحد بحدود مفتوحة، وفي هذه المبادرة تكون القدس مدينة موحدة مفتوحة على بعضها بعضًا، أي مشاركة في القدس بين الجانبين القدس الشرقيّة عاصمة لفلسطين والقدس الغربيّة عاصمة لإسرائيل، ولكن هي مدينة واحدة بإدارة واحدة وسيادة مشتركة.

وهكذا فإن القدس، من وجهة نظر أمريكيّة، تحددت في عهد الرئيس السابق بيل كلينتون في تلك المحادثات في العام 2000 بمشاركة الرئيس عرفات وباراك، فمن الواضح أن الفلسطينيين لن يقبلوا أي صفقة دون أن تكون القدس الشرقيّة عاصمة لهم وتحت سيادتهم والأحياء العربيّة تحت السيادة الفلسطينية، من حيث البعد الديموغرافي حوالي (250) ألف يهودي في القدس الشرقيّة، إسرائيل لن توافق على التنازل عن القدس الشرقيّة بحدودها وسيكون هناك إعادة نظر في حدود القدس.

ومن العروف أن القدس الشرقيّة صنفت -حسب أوسلو- من قضايا الحل النهائي، على الأقل الأحياء العربيّة جزء من العاصمة الفلسطينيّة، وأهمها: البلدة القديمة، سيادة فلسطينيّة القدس الشرقيّة، وهذا موقف تقليدي للإدارات الديمقراطيّة بما فيها إدارة بايدن.

5) الإعلان عن إلغاء إعلان بومبيو

كان من أهم الخطوات التي اتخذتها إدارة الرئيس جو بايدن، فيما يتعلق بالاستيطان الإسرائيلي في القدس الشرقيّة والضفة الغربيّة، هو الإعلان عن إلغاء ما كان يعرف بـ(إعلان بومبيو)، الذي اعتبر في حينه أن الاستيطان الإسرائيلي في القدس الشرقيّة والضفة الغربيّة هو عمل مشروع ومتاح لكل من الفلسطينيين والإسرائيليين، فأعلن وزير الخارجيّة الأمريكي أنطونيو بلينكن عن إلغاء «إعلان بومبيو» وأكد على أن الوجود الاستيطاني الإسرائيلي في القدس الشرقيّة والضفة الغربيّة هو غير شرعي.

صرّح وزير الخارجيّة الأمريكي مايك بومبيو بتاريخ 18/ 11/ 2019 أن إدارة الرئيس

ترامب سـوف تقدم سياسة جديدة مختلفة عن سياسـة الرئيس السابق باراك أوباما، والتي تسـتند إلى نهج الرئيس جيمي كارتر 1978م، فيما يتعلق بالموقف من الاستيطان الإسرائيلي في القدس والضفة الغربيّة، وأنها سـوف تتبنى موقفًا مختلفًا يستند إلى رؤية الرئيس دونالد ريغان 1981، ويشـتمل تصريح بومبيو على أن إدارة الرئيس ترامب تتفق مع رؤية الرئيس ريغان بأن إنشاء مستوطنات مدنيّة إسرائيليّة في القدس الشرقيّة والضفة الغربيّة لا يتعارض أو يتناقـض مع القانون الدولي، وأن القانون الدولي لا يؤدي إلى حل للصراع الفلسـطيني الإسرائيلي، ولن يكون هناك حل قانوني أو قضائي للصراع، بل إن الحل سـوف يكون حلًّا سياسـيًّا؛ أي من خلال المفاوضات المباشرة بين الجانبين الفلسـطيني والإسرائيلي، ويتيح النظام القانوني في إسرائيل الطعن في النشـاط الاسـتيطاني وأن المحكمة العليا في إسرائيل صاحبـة ولاية واختصاص، يمكن اللجوء إليها بخصوص الاسـتيطان، واسـتند إعلان بومبيو إلى احترام ضمني للنظام القضائي في إسرائيل وللمحكمة العليا الإسرائيليّة (مدار، 2024).

صرّح وزير الخارجيّـة الأمريكي أنطونيو بلينكن بتاريـخ 24/ 2/ 2024م، بعد إعلان الحكومة الإسرائيليّة عن عزمها بناء (3500) وحدة استيطانيّة جديدة في الضفة الغربية:

«إن الولايات المتحدة تشعر بخيبة أمل من الإعلان الإسرائيلي، وإن المستوطنات الجديدة تؤدي إلى نتائج عكسـيّة للتوصل إلى سلام دائم، وإنها تتعارض مع القانون الدولي. وتؤكد الإدارة الأمريكيّة على موقفها المعارض للاستيطان، وإن الاستيطان لا يعزز أمن إسرائيل بل يضعفه» (مدار، 2024).

جاء إعلان وزير الخارجيّة الأمريكي أنطونيـو بلينكن في ظروف انتخابيّة في الولايات المتحـدة الأمريكيّـة، وقـد يكون لاسـتمالة الصوت العـربي في الانتخابـات القادمة في 5/ 11/ 2024م، وفي مرحلـة صعبـة ودقيقة تمر بهـا القضيّة الفلسـطينيّة، ولتهدئة الرأي العـام الأمريكي المناهض للحرب على قطاع غزة، والرافـض للدعم الأمريكي اللامحدود

للاحتلال، ورسالة طمأنة للعرب والفلسطينيين حول تمسك الولايات المتحدة بموقفها التقليدي من الاستيطان وسعيها نحو حل الدولتين.

تميز الموقف الأمريكي بالدعم المطلق لإسرائيل وخاصة من الأجيال المتعاقبة خلال القرن الماضي، ولكن بعد حوالي (76) سنة على قيام دولة إسرائيل ودعمها السياسي والعسكري من قبل الولايات المتحدة الأمريكيّة، بدأت تظهر هناك بعض الأصوات التي تتحفظ على هذا الدعم المنقطع النظير لإسرائيل، وفي شرائح مختلفة من المجتمع الأمريكي وساهمت الدبلوماسيّة الرقميّة الشعبيّة ممثلة بوسائل التواصل الاجتماعي في نقل الحقيقة بشكل واضح إلى الرأي العام الأمريكي، والتحلل من سيطرة رسالة الإعلام الأمريكي التقليدي المؤيد بشكل أعمى للرواية الإسرائيلية، وبدأت تظهر بين قطاعات الجيل الشاب في الولايات المتحدة الأمريكيّة في بعض المجتمعات المناهضة لإسرائيل، والتي تؤمن بأفكار مختلفة عن الأفكار السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويمكن تقسيم الموقف من إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكيّة إلى ثلاثة أقسام، بناء على الفئة العمريّة والتطلعات التي ينظر إليها المجتمع الأمريكي إلى إسرائيل، والتي انطلقت من تأييد أعمى مطلق إلى تأييد معتدل إلى إنكار ومعاداة لهذه الدولة، التي تحتل أراضي الغير وتنتهك القانون الدولي ولا تلتزم بقرار الأمم المتحدة، وتتنامى فيها مشاعر العنصريّة والتطرف القومي والديني وتسير نحو نظام سلطوي شرق أوسطي تحكمه مجموعات دينيّة- قوميّة-يهوديّة، لا تؤمن بقيم الحداثة الغربية.

الجيل الأول، الذي يؤمن بأن إنشاء إسرائيل هو نبوءة دينيّة إنجيليّة، ويجب دعمها وتأييدها بشكل مطلق. ومن جانب آخر، إن قيام إسرائيل هو رد على الهولوكوست والمأساة التي حلت بالشعب اليهودي في العالم، وهذا الجيل يدعم إسرائيل بالفطرة، وهم -غالبيتهم- من جيل نهاية الخمسينيات فما فوق من أمثال بايدن وترامب وغيرهم. و**الجيل الثاني**، وهو الجيل من أواخر الثلاثينيات حتى بدايّة الخمسينيات، الذي ينظر إلى إسرائيل

بنظرة الدعم والتأييد، ولكن بنظرة متوازنة وفقًــا للمعطيات والحقائق الماديّة المتوفرة لديه والتي يستقيها من وسائل الإعلام. و**الجيل الثالث**، هم جيل العشرينيات وبدايّة الثلاثينيات الذيــن ينظرون إلى إسرائيل على أنها قوة اســتعماريّة كولونياليّة تحتل شــعبًا آخر، وترتكب جرائم بحقه وتنتهك القانون الدولي، وأصبح هذا الجيل يؤرق مؤسسات القرار الأمريكي التقليديّــة واللّوبيات والجماعات الضاغطة المؤيدة لإسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية (بورزان، 2024).

وقد نشرت صحيفة جيروســاليم بوست نتائج اســتطلاع للرأي أجراه معهد هاريس ومركز الدراســات السياســيّة الأمريكيّة في جامعة هارفــارد في (17 / 12/ 2003)، يقول إن غالبيّة الشــباب الأمريكي الذين تــتراوح أعمارهم ما بــين (18–24) عامًا غير داعمة لإسرائيل، بل معادية ومناهضة لها، وإن حوالي (67)% من الشباب تؤيد وقف إطلاق النار دون شروط في قطاع غزة، وأن إسرائيل دولة ظالمة تنتهك القانون الدولي، وترتكب جرائم إبادة، وتجب محاسبتها[1].

6) موقف إدارة بايدن من القدس بعد العدوان الإســرائيلي على قطاع غزة في 2023/10/7

أعلنت وزارة الخارجيّة الأمريكيّة أن الوزيــر أنطونيو بلينكن قد كلف فريقًا في الوزارة لدراســة إمكانيّة اعتراف الولايات المتحدة الأمريكيّة بدولة فلسطينية، إذ جاء هذا الإعلان بعــد حــوالي (130) يومًا من العدوان الإسرائيلي المســتمر على قطاع غــزة، والذي بدأ في 7/ 10/ 2023م[2]. ولقد اجتمعت مجموعة من العوامــل، وتضافرت مع بعضها، ودفعت

(1) – عن الموقع الإلكتروني لقناة الجزيرة، تاريخ الدخول 2024 ,2 ,2م.
استطلاع-رأي-أغلبية-من-الشباب-الأميركي/ 17/ 12/ 2023 /news /www.aljazeera.net /https: :

(2) Barak Ravid. State Department reviewing options for possible recognition of Palestinian state. January 31,2024. On website Axios. https: //www.axios.com /2024 /01 /31 /palestine-statehood-biden-israel-gaza-war

الإدارة الأمريكيّة للإعلان عن هذا الموقف، منها: عوامل تتعلق بالداخل الأمريكي، والحسابات الحزبيّة والانتخابيّة الأمريكيّة؛ إذ تشير استطلاعات الرأي إلى تقدم مرشح الحزب الجمهوري الرئيس السابق دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسيّة القادمة في 5/ 11/ 2024م[1]، ومنها أيضًا: عوامل تتعلق بالتطورات الميدانيّة العسكريّة وفشل إسرائيل بتحقيق أيّ أهداف من خلال العمليات العسكريّة، ودخول قوى المقاومة على خط الأزمة مهاجمةً القواعد الأمريكيّة، وتهديدها، وتعريض المصالح الأمريكيّة في منطقة الشرق الأوسط للخطر.

تتلخص هذه المبادرة الأمريكيّة، حول الاعتراف بدولة فلسطينيّة منزوعة السلاح، وبقيّة دول العالم، إذ صرح الرئيس الأمريكي جو بايدن أن هناك دولًا ليس لها جيش وهي أعضاء في هيئة الأمم المتحدة، وممكن أن ينطبق ذلك على دولة فلسطينيّة مستقبلية، وصرح الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في شهر 11/ 2023م بأنه يدعم قيام دولة فلسطينيّة منزوعة السلاح[2].

ولكن هذا الإعلان، أو المبادرة الأمريكيّة حول دولة منزوعة السلاح، دون تحديد حدود هذه الدولة، ودون الحديث عن القضايا الجوهريّة في الصراع، وأهمها: القدس واللاجئين، ويؤكد غياب القدس بشكل جوهري عن أجندة السياسيّة الخارجيّة لإدارة الرئيس جوزيف بايدن، يكشف عن عدم الجدّيّة لدى الإدارة الأمريكيّة في طرح هذه المبادرة وتنفيذها، فقد

(1) يوسف، ايلي. أمريكا 2024: بايدن والديمقراطيون على مفترق طرق بسبب غزة وتراجع تأييد الشباب والناخبين السود واللاتين 5/ 1/ 2024. تاريخ الدخول 26/ 2/ 2024. عن الموقع الإلكتروني لصحيفة الشرق الأوسط. لندن.
https://aawsat.com/في-العمق/حصاد-الأسبوع/4771841-أميركا-2024-بايدن-والديمقراطيون-على-مفترق-طرق

(2) فريحات، إبراهيم. دولة فلسطينيّة منزوعة السلاح. مقابلة عبر موقع اليوتيوب. 16/ 2/ 2023. تاريخ الدخول 17/ 2/ 2023. عن الموقع الإلكتروني https://www.youtube.com/watch?v=FF31tuoRH8M

سبقت هذه المبادرة الكثير من المبادرات الأمريكية، مثل: خارطة الطريق، ومبادرة كلينتون، واتفاق أوسلو الموقع في 23/ 9/ 1993م، ولكن تلك المبادرات لم تَرَ النور، ولم توصل الفلسطينيين إلى أي حل سياسي أو دولة فلسطينيّة، بغض النظر عن شكلها وطبيعتها.

الخاتمة

لقد تجلى الموقف الأمريكي من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، عبر سنوات طويلة، بالدعم المطلق لإسرائيل، وتقديم الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي، وتوفير غطاء سياسي دولي لشرعنة الخطوات أحاديّة الجانب كافة، التي تقوم بها دولة إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، وانسحب هذا الموقف التقليدي على الإدارات الأمريكيّة المتعاقبة، سواء كانت ديمقراطيّة أم جمهورية.

لقد استند هذا الموقف الأمريكي الواضح والصريح على عدة مقومات وروابط ومصالح أساسيّة ومشتركة، ما بين الإدارات الأمريكيّة المختلفة ودولة إسرائيل، ومنذ أيام الانتداب البريطاني على فلسطين، وقبل إعلان قيام دولة إسرائيل في العام 1948م، باعتبار إسرائيل جزءًا من مشروع استعماري إمبريالي غربي، وفق ارتباطات وتطلعات أيديولوجيّة ومصالحيّة غربيّة، شأنها شأن الارتباط الأوروبيّ بإسرائيل، وكضامنة للمصالح الأمريكيّة والأوروبيّة في الشرق الأوسط.

إن التمثيل الدبلوماسي الأمريكي في القدس يعود إلى عقود طويلة، منذ أيام الاحتلال التركي لفلسطين وذلك في العام 1857م، وخلال الانتداب البريطاني على فلسطين بعد العام 1917م، تم اعتماد القنصليّة الأمريكيّة في القدس من قبل المندوب السامي البريطاني في فلسطين. في مقابل ذلك، عند إعلان قيام دولة إسرائيل في العام 1948م قامت الولايات المتحدة الأمريكيّة بافتتاح سفارة لها وتمثيل دبلوماسي في دولة إسرائيل في مدينة تل أبيب، وبقيت القنصليّة الأمريكيّة في القدس الشرقيّة تمارس عملها كالمعتاد للسكان الفلسطينيين، واستمر الوضع على ذلك حتى شهر آذار 2019، عندما تم نقل السفارة الأمريكيّة من

تل أبيب إلى القدس، ودمج القنصليّة الأمريكيّة مع السفارة وتحويلها إلى وحدة الشؤون الفلسطينيّة في السفارة الأمريكيّة في القدس.

ركزت إدارة الرئيس بايدن تجاه الفلسطينيين على بعض الوعود في الجانب الاقتصادي، ولم تعطِ اهتمامًا حقيقيًّا للقضايا السياسيّة، وأن القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، وتقديم الدعم في القطاعات السياسيّة الاقتصاديّة والعسكرية كافة.

المراجع العربية

- تلحمي، داود. (2021). إدارة بايدن والشـأن الفلسطيني: انفراجات محدودة وحلول مؤجلة، **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد (127). ص: 234.
- جابرييل إيه، جابرييل وآخرون. (1988). **السياسـة المقارنـة في وقتنا الحاضر – نظرة عالمية**. ترجمة: هشام عبد الله. مراجعة: سمير نصار. عمان: الأهليّة للنشر والتوزيع.
- الحديثي، هاني. (1996). الحقوق العربيّة الفلسطينيّة في القدس بين الشرعيّة الدوليّة وسياسة التهويد الإسرائيلية. في «**الندوة السابعة بعنوان الحقوق العربيّة في القدس**. عمان».
- الحسن، يوسف. (2002). **جذور الانحياز: دراسة في تأثير الأصوليّة المسيحيّة في السياسة الأمريكيّة تجاه القضيّة الفلسطينية**. سلسلة محاضرات الإمارات (58). أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.
- رفيق، عادل. (2021). **إسـتراتيجيّة إدارة بايدن تجاه القضيّة الفلسـطينية**. إسطنبول– تركيا: المعهد المصري للدراسات.
- عبد الحي، وليد. (2021). **القضيّة الفلسـطينيّة وفريق السياسة الخارجيّة الأمريكيّة الجديد**. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- عزم، أحمد جميل. (2020). برنامج جوزيف بايدن الشرق أوسـطي وانعكاسـاته الفلسطينية. **مجلة شؤون فلسطينية**. عدد (281). ص: 99–101.
- فوكوياما، فرانسيس. (1993). **نهايّة التاريخ وخاتم البشر**. ترجمة: حسين أحمد أمين. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- قاعـود، يحيـى. (2021). **تقدير موقف لقاء بايـدن– بينيت بين الأولويّة الإسرائيليّة والحسـابات الأمريكية**. القدس: مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية.
- مرقس، سمير. (2003). **الإمبراطوريّة الأمريكيّة ثلاثيّة الثروة، الدين، القوة، من الحرب الأهليّة إلى ما بعد 11 أيلول/ سبتمبر**. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- المركز العربي للأبحاث ودراسـة السياسات. (18/ 11/ 2020). **السياسـة الخارجيّة بإدارة بايدن: المقاربة الفكرة والملامح الرئيسية**. سلسلة تقدير موقف، قطر.
- مقامر، شـفيق. 1992. **المسـيحيّة والتوراة، بحث في الجذور الدينيّة في الصراع في الشرق الأوسط**. لندن: دار رياض نجيب الريس.

المراجع الإلكترونيّة

- **مسارات** (المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية). (29/ 12/ 2020). الوجود الدبلوماسي الأميركي في القدس- الحاجة إلى إلغاء (إزالة) الأضرار التي تسبب بها ترامب. تاريخ الدخول 1/ 3/ 2023. عن الموقع الإلكتروني:

https: / /www.masarat.ps /article /5621 /

- السهلي، نبيل. (15/ 02/ 2024). خطورة اللوبيات الصهيونيّة في دول الغرب أمريكا وإيباك أنموذجًا. **موقع عربي بوست**. يُنظر الرابط الآتي (شوهد في.....):

https: / /arabicpost.net /opinions /202415 /02/ / /اللوبيات-الصهيونية-في-دول-الغرب/

- المبحوح، وائل. 2021. **تحليل السياسة الأمريكيّة تجاه القدس** 1982-2020. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. يُنظر الرابط الآتي (تاريخ الدخول 25/ 2/ 2023):

https://www.alzaytouna.net/arabic/data/attachments/AcademicArticles/PA_Wael-ElMabhouh_USAJerusalem82-20_12-21.pdf

- مدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيليّة. (09/ 3/ 2024). قراءة في موقف الولايات المتحدة الأمريكيّة من قضيّة الاستيطان 1977-2024. 6/ 3/ 2024. **الملتقى الفلسطيني**. يُنظر الرابط الآتي:

https: / /www.palestineforum.net /قراءة-في-موقف-الولايات-المتحدة-من-قضية/

- المنشاوي، محمد. (2021). ما الذي يمنع إدارة بايدن من إعادة افتتاح قنصليتها في القدس. **موقع الجزيرة. نت**. ينظر الرابط الآتي (شوهد في 05/ 09/ 2024):

https: / /www.aljazeera.net /politics /202111 /11/ / /ما-الذي-يمنع-بايدن-من-إعادة-افتتاح

- بورزان، فراس. (2024, 1, 28). تأملات في التحولات الأمريكيّة من إسرائيل. مركز رؤية فيجن للدراسات الإستراتيجيّة. كييف. مقالة منشورة عبر **الموقع الإلكتروني** (visioncntr).. عن الموقع الإلكتروني، وفق الرابط الآتي (تاريخ الدخول 2024, 2, 1):

https: / /visioncntr.com /تأملات-في-التحولات-الأميركية-من-اسرا/

- فريحات، إبراهيم. (16/ 2/ 2023). دولة فلسطينيّة منزوعة السلاح. **مقابلة عبر موقع اليوتيوب**. عن الموقع الإلكتروني، وفق الرابط الآتي تاريخ الدخول 17/ 2/ 2023):

https: / /www.youtube.com /watch?v=FF31tuoRH8M

- قناة الجزيرة القطرية. (17/ 12/ 2023). استطلاع رأي أغلبية الشباب الأمريكي تؤيد إنهاء إسرائيل. عن **الموقع الإلكتروني لقناة الجزيرة**، وفق الرابط الآتي (تاريخ الدخول 2024, 2, 2م):

استطلاع-رأي-أغلبية-من-الشـــباب-/ / 12/ 202317/ news/ www.aljazeera.net/ /https: الأميركي

- مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. (17/ 01/ 2017). **تقرير إستراتيجي** (96): **سيناريوهات ترامب لنقل الســفارة الأمريكيّة للقدس**. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. يُنظر الرابط الآتي:

التقدير-الإستراتيجي-96-ســيناريوهات-/ / 01/ 201717/ www.alzaytouna.net/ /https: / ترا

- صالح، محســن محمد. (07/ 02/ 2012). الموقف الأمريكي من القضيّة الفلسطينية. **موقع الجزيرة. نت**. ينظر الرابط الآتي (شوهد في 12/ 11/ 2024):

الموقف-الأميركي-من-القضيــة-/ / 2/ 20127/ opinions/ www.aljazeera.net/ /https: الفلسطينية-2

- وثيقة إعلان القدس. (2022). عن الموقع الإلكتروني **لوزارة الخارجيّة الأمريكيّة**، عن الرابط:

إعلان-القدس-للشراكة-الإستراتيجية-بين/ arabic/ translations/ www.state.gov/ /https:

- يوسف، إيلي. 5/ 1/ 2024. بايدن والديمقراطيون على مفترق طرق بسبب غزة وتراجع تايد الشباب والناخبين الســود واللاتين.. أمريكا 2024. عن **الموقع الإلكتروني لصحيفة الشرق الأوسط**، لندن (تاريخ الدخول 26/ 2/ 2024):

في-العمق/ حصاد-الأســبوع/ 4771841-أميركا-2024-بايدن-/ aawsat.com/ /https: والديمقراطيون-على-مفترق-طرق

المراجع الإنكليزيّة

- Arab Center Washington DC, (2001) Biden and the middle east, Washington, p 24, available online at:https://arabcenterdc.org/

- Boudreault, jody and Salaam, Yasser. (1992). U. S. official statement: the status of Jerusalem..washington d. c.:institute for Palestine studies

- Modigs, Ronny, MAJ and Swedish Armed Forces. (2003). US foreign Policy in the Middle East after the Cold War. A thesis presented to the Faculty of the U.S. Army. Kansas: Fort Leavenworth.

- Ravid. Barak. State Department reviewing options for possible recognition of Palestinian state. January 31, 2024. On website Axios.https://www.axios.com/2024/01/31/palestine-statehood-biden-israel-gaza-wa

المقابلات

1- صيام، عبد الحميد. 20/ 2/ 2024. نيويورك.

2- آلسكوتي، غازي. 23/ 2/ 2024. عمان.

3- زيداني، سعيد. 12/ 1/ 2024. رام الله.

دور دائرة الآثار في فترة الانتداب البريطاني نحو تحرير الرواية الأثرية الاستعمارية

د. حمدان طه

باحث في علم الآثار

المقدمة

تتطرق هــذه الورقــة إلى الدور الــذي لعبته دائرة الآثــار في ظل حكومــة الانتداب البريطــاني، 1918–1948 في تلفيق سردية أثرية وتاريخية أســطورية حــول الماضي، تخدم المشروع الاستعماري الصهيوني البريطاني في فلســطين، وكيف سخّرت مؤسسات البحث الأثري الرديفة، مثل: صندوق استكشاف فلســطين، الذي تأسس عام 1866م، ومدرسة الآثار البريطانية، التي تأسســت في مدينة القدس عام 1919م، وجمعية الآثار اليهودية، التي تأسست عام 1913م، والمؤسسات الصهيونية الأخرى لتحقيق هذا الهدف.

لقد بذلت المؤسسات، التي كانت تدار بريطانيًّا وصهيونيًّا، الجهود وتجنّدت في محاولات خلق صلة ما بين الحاضر الاســتعماري والماضي الأسطوري المفترض (Taha, 2019). وما كان لهذه الجهود أن تتحقق دون الدور الفاعل لبريطانيا، التي أسســت هذا المشروع في فترة الانتــداب البريطاني، وما زالت ترعاه حتى الآن، من خلال نبوءات التوراتيين الإنجيليين،

وإصدار وعـد بلفور عام 1917، وتوفـير آليات تنفيذية للمـشروع الصهيوني من خلال فرض الانتداب البريطاني على فلسـطين، الذي هيّأ الظـروف المواتية لتطبيق المشروع على الأرض بالقوة العسـكرية ما بين عام 1918–1948، وإسباغ المشروعية التاريخية على رواية استيطانية (Corbett, 2014)، وإخماد صوت السكان الأصليين في فلسطين، والتي أفضت إلى نكبة الشعب الفلسطيني عام 1948، وتشريد الجزء الأعظم من الفلسطينيين من وطنهم، والاسـتيلاء على أرضهم وممتلكاتهم وإنشـاء دولة إسرائيل على الجزء الأعظم من أراضي فلسطين (Whitelam, 1996).

وأشـير هنا إلى أنه بالرغم مـن بعض المحاولات الخجولة لتحريـر البحث الأثري من الرواسـب الاسـتعمارية فما زالت هذه المحاولات ضعيفة وغير حاسـمة وتراوح مكانها، وتتخذ موقفًا وسـطًا، يقوم على عدم اتخاذ موقف نقدي حاسـم من التاريخ الاستعماري، وأبلغ الأمثلة على ذلك مؤسسـة بلفور، التي تعتبر أن وعد بلفور كان صحيحًا، ولكنّه غير مكتمل بضمان الحقوق الفلسـطينية، وهذا ينطبق على مجموعات وسـطية من الأكاديميين تستخدم صيغة إسرائيل/ فلسطين دون عناء يذكر.

كما أن جهود تحريـر التاريخ الاسـتعماري (decolonization) في مجال الآثار والرواية التاريخية وتبعاتها السياسية، ما زال صـداها محدود الأثـر على المستوى الفكري (Masalha, 2012)، ولم تجر أي اختراقات ذات بال على المسـتوى الأكاديمي في بريطانيا، ورغم موقف الشارع المتأجج ضد حرب الإبادة في غزة، بقي الموقف الرسمي ثابتًا، واتسم بالصمت حد التواطؤ، وفرض أجواء من الترهيب في الجامعات، وانبرى الإعلام الرسمي في ملاحقة النشطاء الذين رفعوا الصوت ضد الظلم.

وعلى المسـتوى السياسي، لم تتخذ الحكومة البريطانية والحركة الصهيونية حتى الآن أي مواقف جديدة تشـير إلى اعترافها بالجرم التاريخي، الذي ارتكبته تجاه الشعب الفلسطيني، ولا توجد أي بوادر على تقديم الاعتذار التاريخي، وتحمّل المسؤولية، وجبر الضرر، وهذا ما تكرس من رؤساء حزب المحافظين من ونستون تشرشل المؤسس الفعلي للكيان الصهيوني،

وحتى تيريزا ماي التي احتفت بمرور 100 سنة على وعد بلفور الاستعماري، وخليفتها ليز تـــراس، التي كان على رأس أولوياتها الاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني المحتل، وبوريس جونسون، وريشي ســـوناك، اللذين اصطفا إلى جانب الكيان الصهيوني في حرب الإبـــادة والتطهير العرقي، التي يخوضها الكيان في غزة والضفـــة الغربية. ورغم الخلافات بين الحزبين، فقد انتظم حزب العمال بقيادة كير ســـتارمر إلى جانب حزب المحافظين بقيادة سوناك في تأييد حرب الإبادة في غزة.

هنا، لابد من التنويه بالأبحاث التـــي قام بها علماء آثار أوروبيون وأمريكيون ومحليون في هذا السياق في إطار هذه المراجعة، وأشير هنا إلى أبحاث إدوارد سعيد حول الاستشراق وكيت ويتـــلام (Whitelam, 1996) وتوماس تومبســـون (Thompson, 1999)، ضمن الاتجاه التقليلي في الدراســـات التوراتية، والاتجاه النقدي الذي مثلته ناديا أبو الحاج (Abu El-Haj, 2001) وإيـــلان بابيه (Pappe, 2006) وبشـــارة دومـــاني (Doumani, 1992) وعصام نصار (Nassar, 2019) وأبحاث تاريخية لمؤرخين آخرين (Taha, 2019).

وكانت دراسة دور دائرة الآثار في فترة الانتداب البريطاني 1918-1948 موضوعًا لعدد من الدراسات مؤخرًا، وهي:

(Rosner, 2024;Corbett, 2014; Irving, 2021; Laurent, 2017; 2019, 2022; Hawari, 2023; Laurent and Tsakmur, 2013, Taha, 2022)

وهي دراسات ضرورية لاســـتجلاء الحقيقة وكتابة رواية تاريخية موضوعية حول هذه الفترة رغـــم التباينات في وجهات النظر، ولكنها شرط ضروري لتحرير الرواية من الإرث الاستعماري الذي علق بها على مدار فترة الاستعمار البريطاني ومرحلة ما بعد الاستعمار.

بداية العمل الاثري في فلسطين

مهـــدت أعمال الإنجيليـــين الأوائل في بريطانيـــا وأمريكا، أمثال الأب الاســـكتلندي ألكسندر كايت (Keith, 1844)، صاحب النبوءة التوراتية، الأجواء للمشروع الصهيوني، واشـــتهر في ترويج رؤية عودة اليهود إلى فلســـطين، وهو من صاغ شعار «أرض بلا شعب

لشعب بلا أرض»، رغم أنه زار فلسطين مرتين وشـاهد بأم عينه أن البلاد مأهولة، وتقوم رؤيا الأب كايت عـلى أن الله (التوراتي) وعد أرض كنعان لإسرائيل، وقد اسـتندت هذه المزاعم على فكـرة الدولة القومية الحديثة للحركة الصهيونيـة، وأن هذا الوعد ينطبق على إسرائيل الحديثة. وأظهرت عالمة اللاهوت جنيفر ميدراند (Maidrand, 2021) التأثيرات الكارثية لهذه الأفكار على سـكان فلسـطين، والتي أفضت إلى تهجيرهم وسـلب أرضهم وممتلكاتهم، حدّ ارتكاب جرائـم التطهير العرقي وأفعال الإبادة الثقافية، كما جرى في نكبة عام 1948(Benvenisti 2002; Pappe 2006).

بدأت فلسـطين في جذب اهتمام الباحثين والمستكشـفين الأوروبيين منذ القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي شـهدت ولادة علم الآثار كفرع معرفي، وبداية الاستكشاف المنظم لتاريخ فلسطين وجغرافيتها التاريخية، وتمثل ذلك بأعمال إدوارد روبنسون، وفان دير فلدة، وفيكتـور غيرن وآخرون الخ (طـه، 2009، ص: 89-90). وكان هؤلاء مدفوعين بفكرة دراسة الأراضي المقدسـة. وقد توجت هذه الجهود بمسح غرب فلسطين الذي نفذ ما بين 1871-1878 من قبل صندوق استكشـاف فلسـطين وصدر في بضعـة مجلدات، ووضع ترسـيمًا لجغرافيا الأرض المقدسة (Conder and Kitschener 1882)، التي استخدمت في تحديد الكيانات السياسـية لاحقًا. وأخذ مفهوم الأراضي المقدسة، الذي بدأ به اللاهوتيون الأوائـل، في التراجع التدريجي مع تقدم المـشروع الصهيوني لصالح مفهوم أرض إسرائيل «ايريتس إسرائيل» ثم «إسرائيل» الكولونيالي الصهيوني (طه، 2009).

بدأت أعمال التنقيب الأثري في تل الحسي وتل السلطان وتل تعنك وسبسطية والقدس وتل الجزر، وهي الفترة التي شـهدت تنافسًـا كبـيرًا ما بين القوى الاسـتعمارية الكبرى، خصوصًا فرنسا وبريطـانيا في الاستـحواذ على آثار الإمبراطورية العـثمانية الآفلـة (Corbett 2014; Silberman 1982)، وفي إطار عملية التحديث العثمانية (التنظيمات) في أواخر القرن التاسع عشر، ظهر أول قانون آثار سنة 1869 وخضع لسلسـلة من التعديلات سـنة 1874 و 1884و1907 (Laurent and Taşkömür 2013 p: 10). وشـهدت هذه الفترة أيضًا تأسـيس أول متحف للآثار في القدس، وهو المتحف

الإمبراطـــوري العثماني «همايون» في المدرســـة المأمونية في مدينة القـــدس كواحد من أربعة متاحف أنشئت في الإمبراطورية العثمانية، وقد فتح المتحف أبوابه سنة 1901، واستمر حتى الحرب العالمية الأولى، وجرى التحضير له تحت إشراف إســـماعيل الحســـيني مفتى القدس ومدير المعارف في مدينة القدس، وكان له قيّم ولجنة محلية لإدارته. وأصبحت هذه المجموعة نواة متحف الآثار الفلسطيني في عهد الانتداب البريطاني. وبدأت في هذه الفترة أول أشكال الإدارة الأثرية بتعيين قوميســـار، أي مدير للآثار والتنقيب في القدس (Taha, 2022). وفي هذه الأثناء انتقل العديد من المواد الأثرية إلى المتحف المركزي في إسطنبول، ومن بينها نقش سلوان، وختم عبد الملك بن مروان من أبو شوشة (تل جازر)، وتمثال زيوس في غزة، ومواد أخرى.

كان دور بريطانيـــا جليًّا في هذه المرحلـــة التكوينية، وتمثل هـــذا في الدور البريطاني المتعاظم في العمل الأثري من خلال أنشـــطة التنقيـــب الأثرية ودور الخبراء البريطانيين كمستشارين في الإدارة العثمانية، مثل: دور فريدريك بلس، الذي عمل مستشارًا للإدارة العثمانيـــة في القدس في تنظيـــم المتحف، وتواصل ذلك مع دور ماكلســـتر حتى الحرب العالمية الأولى (Laurent and Taşkömür 2013, p: 10).

وفي نهاية القرن التاســـع عشر وبداية القرن العشرين، بزغ فجر جيل جديد من المؤرخين الفلســـطينيين (Taha, 2019)، ومن بينهم: عبد الرزاق البيطار، وحسن الحسيني، وحسن البوريني، وخليل المرادي، وميشـــيل الصباغ، وإبراهيم العورة، وأحمد الخالدي، وعبد الله مخلص، وعيســـى السفري، ومحمد دروزه، وصبحي ياسين، وإحسان النمر، وعمر الصالح البرغوثي، وخليل الســـكاكيني، وعبد اللطيف الطيباوي، وقدري طوقان، ونقولا زيادة، ومحمـــود العابدي، وعارف العـــارف، ومصطفى مراد الدباغ، وتوفيـــق كنعان، وديمتري برامكـــي. ورغم أن بعض هـــؤلاء لم يتمتع بالتأهيـــل الأكاديمي الرســـمي كمؤرخ، فقد اســـتخدموا المصادر التي وقعت تحـــت أيديهم، وبرعوا في الكتابـــة التاريخية، وتفوقوا على أقرانهم الأوروبيين والأمريكيين على حدٍّ قول فوستر (Foster, 2011, pp: 5 - 6).

شـــهدت العقودُ الأربعة الأخيرة اهتمامًا متصاعدًا في تأريخ الرواية التاريخية الفلسطينية (Taha, 2019)، وتركَّز الاهتمام على الفترتين العثمانية والانتداب البريطاني وأحداث النكبة التي ألّمت بالشعب الفلسطيني. وهنا، أشير إلى المراجعة التاريخية لعدنان أبو غزالة (1971) بعنوان «المؤرخون الفلســطينيون تحت الانتداب البريطــاني»، وطريف الخالدي (1981) بمراجعة التاريخ الفلســطيني من 1900–1948، وعزا غنى المؤلفات التاريخية إلى النهضة العربيــة(Foster: 2011) ، ثم أعمال رشــيد الخالدي، ووليد الخالــدي، وخليل عثامنة، وعادل مناع، وعبد الوهاب الكيالي، وسليم تماري، وبشارة دوماني، وعصام نصار، وماهر الشريف. ويشــير دوماني إلى المصاعب الجمة التي تكتنف البحث في هذا الموضوع بالقول «إن مصاعب التنقيب في الماضي الفلســطيني مروِّعة، نظرًا لمحــاولات محو الوجود المادي والمعنوي للفلسطينيين (Doumani, 1992).

دائرة الآثار الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني

وقعت فلســطين تحت الانتداب البريطاني بعد الحرب العالميــة الأولى، بموجب صفقة سايكس– بيكو السرية الفرنسية البريطانية، وهما القوتان الاستعماريتان الرئيسيتان في العالم في فترة ما بين الحربين العالميتين. وقسم البريطانيون والفرنسيون الدول العربية لمناطق تحت نفوذهم، وأُطلق وعد بلفور بإنشاء وطن لليهود في فلسطين (Corbett, 2014, pp: 123)– 125. وبعــد هزيمة العثمانيــين، أصبحت الآثار إحدى الغنائم الرئيســة للحرب، واقترح السير فريدريك كنيون، رئيس الأكاديمية البريطانية وضـــــع الآثار تحت وصاية الحلفاء (Corbett, 2014, p: 103).

كانت الآثار في فترة الانتداب البريطاني جزءًا من السياســة الاستعمارية العامة، وسعى البريطانيون إلى تملُّك الآثار والرواية المرتبطة بها وإدماجها ضمن سياســتهم الاســتعمارية، وأصبحت أداةً مهمة لتأسيس كيان قومي يهودي في فلسطين على أنقاض السكان الأصليين. وبعد احتلال فلســطين مباشرةً أصدر الحاكم العسكري البريطاني سنة 1918 تعميمًا لحماية الآثار، وفي ســنة 1920 تأسســت دائرة الآثار في مبنى «واي هــاوس» في القدس، من قبل

الإدارة المدنية التي كان على رأسها المفوض السامي هربرت صمويل، وعرف النظام وظيفة وصلاحيات دائرة الآثار الجديدة، وتم استبدال النظام سنة 1929 وخضع لسلسلة من التعديلات سنة 1934 و1946 (طه 2019)، وهدف النظام إلى تنظيم البحث الأثري في فلسطين، وتمكين السيطرة البريطانية على السياسات الأثرية في فلسطين، وحلّل القانون الجديد تقاسُم الآثار وتصديرها والاتجار بها (Corbett, 2014, p: 106). وكان مبنى الواي هاوس أيضًا مقرًّا للمدرسة البريطانية للآثار، التي تأسست سنة 1919 واستمرت حتى 1930.

كان تركيز القانون الجديد على الماضي البعيد فقط، وتم تعريف الآثار باللقى ما قبل 1700م، ولم يُعر القانون اهتمامًا يُذكر بالتراث الفلسطيني التقليدي الممثَّل في المدن والقرى الفلسطينية والعمارة التقليدية- باستثناء مدينة القدس، وقد استشعر الفلسطينيون الأبعاد الكارثية لهذا القانون سنة 1948 من خلال تدمير مئات المدن والقرى الفلسطينية على يد القوات الصهيونية (Taha 2019).

ترأس دائرةَ الآثار مديرٌ بريطاني معين من قبل المندوب السامي البريطاني، وقُسمت لأربع إدارات فنية؛ التفتيش والتسجيل والمكتبة ومختبر للترميم واستوديو تصوير، إلى جانب متحف الآثار الفلسطيني، وجرى تعيين المجلس الاستشاري من قبل المندوب السامي من ممثلين عن مدارس الآثار البريطانية والفرنسية والأمريكية والإيطالية في القدس، إلى جانب ممثلَين اثنين من المسلمين واثنين من اليهود (Glock, 1999, p: 74)، وهكذا تبين أن الجهة صانعة السياسات كان يهيمن عليها أغلبية أجنبية، وحظي عددٌ قليل من الفلسطينيين بمواقع قيادية في دائرة الآثار (Irving, 2021).

ومن أجل تعزيز الهيمنة البريطانية على الآثار، أسَّس السير فريدريك كنيون المدرسة البريطانية للآثار سنة 1919 في القدس، وتم تعيين جون غارستانغ كمستشار لسلطات الانتداب البريطاني، كذلك مستشارًا للمندوب السامي في صياغة قانون الآثار، الذي وضع إطارًا مؤسسيًّا لدائرة الآثار الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني. وأرسى الكولونيل

رونالد ستورز، الحاكم العسكري للقدس (1917–1920) الأساس القانوني لإدارة الآثار والعلاقة مع المواطنين، وأصدر في شهر نيسان سنة 1918 مذكرةً يمنع فيها تغيير أي شيء في محيط مدينة القدس بعمق 2500 متر من باب العمود، دون موافقة مكتوبة للحاكم العسكري، تحت طائلة الغرامات المالية الباهظة (Corbett, 2014, p: 93).

وتعاقب ثلاثة من المدراء البريطانيين على رئاسة الدائرة، وهم بالتوالي جون غارستانغ 1920–1926، وأرنست ريشموند 1927–1937، وروبرت هاملتون 1938–1948، وخدم ريشموند كاستشاري معماري لأعمال ترميم الحرم الشريف في الفترة ما بين 1918–1920، وعمل لاحقًا مساعدًا للإدارة المدنية في فلسطين ما بين 1920–1926، واستقال منها احتجاجًا على السياسة البريطانية الموالية للحركة الصهيونية (Wasserstein, 1991)، وشكل ريشموند حالة استثنائية، حين سجل موقفًا فرديًّا باستقالته منها احتجاجًا على السياسة البريطانية الموالية للحركة الصهيونية (Taha, 2019).

وخلَف ريشموند روبرت هاملتون سنة 1936، والذي استمر في الخدمة حتى سنة 1948، وكان هاملتون قد عمل مفتشًا ومديرًا لدائرة الآثار ما بين 1931–1936 ومديرًا للدائرة حتى سنة 1948، ومن بين أهم أعماله دراستُه حول كنيسة المهد والمسجد الأقصى (1949)، وشارك ديمتري برامكي في تنقيبات خربة المفجر، وكتب أعماله الرئيس حول قصر هشام (1959، 1988)، ويبدو أن عملية النشر قد تسببت بخلاف بين هاملتون وبرامكي أدى إلى انسحاب الأخير (The British Academy, 1997:502)، واستحواذ هاملتون على مقدَّرات نشر النتائج النهائية لتنقيبات خربة المفجّر (Taha, 2019).

متحف الآثار الفلسطيني

أُعيد تنظيم متحف الآثار وافتتاحه سنة 1921 في نفس مقر دائرة الآثار في مبنى «واي–هاوس»، في مدينة القدس، وضم المتحف مجموعة الآثار التي جُمعت في الفترة العثمانية، وكانت معروضة في متحف للآثار تأسس في مدينة القدس سنة 1901 في مبنى المدرسة المأمونية قبل الحرب العالمية الأولى (Laurent 2017,Laurent, and Taşkömür, 2013).

ونُقل المتحف إلى المباني الجديدة في تلة كرم الشيخ، والتي شُيّدت من قِبل دائرة الآثار بمنحةٍ من الثري البريطاني روكفلر تقدر بمليونَي دولار، ومساهمة محلية من قبل دائرة الآثار تمثلت بتوفير الأرض في التلة الشـمالية المقابلة للمدينة، وقد فتح المتحف أبوابه للزوار سنة 1938. وظل المتحف تحت الإدارة البريطانية حتى النكبة عام 1948 (طه، 2021).

في سنة 1948 أُنيطت مهمة إدارة المتحف بلجنة دولية شكّلتها إدارة الانتداب البريطاني قبل ترك البلاد لضمان عدم اعتباره إرثًا وطنيًّا. وبقي الوضع على هذه الحال حتى سنة 1966 حين أقدمت الحكومة الأردنية على تأميم المتحف وإسـقاط الصفة الدولية عنه. وفي سـنة 1967 وقع المتحف تحت سـلطة الاحتـلال الإسرائيلي المبـاشرة (Taha, 2022). ولم تلق عملية السـيطرة على المتحف وتغيير اسمه أية ردة فعل تذكر من قبل الحكومة البريطانية أو المؤسسات الغربية.

التوظيف الاستعماري للتاريخ

وعـلى امتداد فـترة الانتداب البريطـاني، كان التاريـخ موضوعًا جدليًـا بين المثقفين الفلسطينيين وسلطات الانتداب البريطاني، لأن التاريخ أصبح مرتبطًا بالهوية الوطنية، وبين طريف الخالدي (1981)، كيف تم تجاهل إسـهامات الحضارة العربية في المناهج المدرسية، وكيـف أن معظم كتب التاريخ تنتهي بأحداث الحرب العالميـة الأولى، متجنبةً الخوضَ في الجدل الدائر حول التاريخ المعاصر، وفوق ذلك تعاملت سـلطات الانتداب البريطاني مع التراث الأثري كما لو أنه لا يمتُّ للسكان المحليين في فلسطين بصِلة (Taha, 2019).

جرت تنقيبـات أثرية في العديد من المواقع الأثرية المنتخبـة ضمن أجندة توراتية، وتم فتح الباب على مصراعيه للبعثات الأثرية الأوروبية والأمريكية، وخضع اختيار العديد من المواقع لاعتبارات توراتية عمومًا، مثل القدس وتل الدوير وأبو شوشـة (تل جازر) وأريحا وتل تعنك وتل المتسـلم وتل بيت مرسـم وتل العجول في غزة. وفي هذه المناخات انتعش دور الدارسين التوارتيين الأكثر تطرفًا أمثال عالم الآثار الأمريكي الصهيوني وليم فوكوسيل ألبرايت وأرنسـت رايت وتلامذته، الذين تسيّدوا المشهد الأثري بعد الحرب العالمية الثانية

(Sherrard, 2011)، وقاموا بالتنقيب في القدس وتل السلطان وتل بلاطة وتل تعنك.

ورغم أن الديانة اليهودية، كما الإسلام والمسيحية والعقائد الأخرى، هي جزء لا يتجزأ من التاريخ الفلسطيني العام، إلا أن السياسة البريطانية الرسمية تماهت كليًّا مع السياسة الصهيونية في تأسيس كيانية تاريخية يهودية موازية للتاريخ الفلسطيني، وليست جزءًا منه، بل هي بديل له، مكرسة رؤية انتقائية حصرية للتاريخ الفلسطيني، تقوم على نفي الوقائع التاريخية والجغرافية وإحلال الأسطورة محل التاريخ. وجرى العمل على استحضار الأسماء القديمة واستبدال الأسماء التاريخية الدارجة للمواقع والأماكن، وصارت التقارير الأثرية تصدر بالأسماء القديمة المنقرضة، مثل مجدو بدلًا من تل المتسلم، وأورشليم بدلًا من القدس، وحبرون بدلًا من الخليل، ولاخيش بدلًا من تل الدوير، وسماريا بدلًا من سبسطية، وعاي بدلًا من تل التل.. الخ، في محاولة واضحة لتغيير أسماء الأماكن التاريخية بما ينسجم مع أهداف المشروع الاستيطاني في تغيير هوية المكان (مرقطن، 2020).

وقد بدا واضحًا هذا الاختلاف في الرؤية في وقت مبكر، فقد نظر المؤرخون الفلسطينيون الأوائل إلى المكون اليهودي كجزء لا يتجزأ من تاريخ فلسطين العام، ويتضح ذلك في كتاب تاريخ فلسطين لعمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح (1923)، وتوفيق كنعان (Nashef, 2002)، وديمتري برامكي (Baramki, 1969). وفوق ذلك تعاملت سلطات الانتداب البريطاني مع التراث الأثري الفلسطيني كمشاع دولي (Abu el-Haj, 2001, p: 70)، وليس كتراث وطني للشعب الفلسطيني أسوة بكل شعوب الأرض، وكما لو أنه لا يمتُّ للسكان المحليين الحاليين في فلسطين بصِلة (Corbett 2014; Taha 2019).

الجيل الأول لعلماء الآثار الفلسطينيين

جاءت ولادةُ الجيل الأول من علماء الآثار الفلسطينيين في بداية القرن العشرين، ومن بين أسماء جيل الرواد المؤسسين هؤلاء: نعيم مخول، وسالم الحسيني، وجليل برامكي، وديمتري برامكي، ون. ج. نصار، ويُسرى الكرملية، والعاملون في متحف الآثار الفلسطيني. وترافق هذا الظهور مع تأسيس دائرة الآثار الفلسطينية كمؤسسة حديثة في حكومة الانتداب

البريطاني، استدعى العملُ فيها تأهيلًا وتدريبًا خاصَّين في مجال علم الآثار، وهو ما ميّز هذا الجيل عمّن سبقه من المهتمين بالآثار قبل الحرب العالمية الأولى (Taha, 2019).

ومـــن بين هؤلاء الرواد: نعيم مخولي، مواليد كفر ياســـيف في الجليل عام 1898، وعمل مفتشـــا للآثار في الجليل الغربي. درس مخـــولي علم الآثار في المدرســـة البريطانية للآثار في القدس، الذي تأســـس عام 1919، والتي أُعيدت تسميتها لاحقًا باسم معهد كنيون، ويقع في الشـــيخ جراح. وعُيّن مخولي كمفتش في دائرة الآثار الفلســـطينية سنة 1920، واستمر في هـــذا الموقع حتى نكبـــة 1948. ونقب مخولي في عدد من المواقع الأثرية مثل عســـفيا وخربة الصنابرة وخربة الكرازة والجش. كما نفذ سلسلة من التنقيبات في قلعة القرن (مونتفورت). شارك مخولي بنشاط في نشر نتائج التنقيبات الأثرية في فصلية دائرة الآثار الفلسطينية، ونشر ســـنة 1946 دليل عكا، وهو الدليل الذي ترجم إلى اللغة العربية سنة 2002 من قبل عبد الله اليشرطي (Makhouly, 1941). وخلال فـــترة خدمته في الدائرة عمل مخولي مع زملائه في دائرة الآثار، أمثال: جون أليف، وروبرت هاملتون، وجون ريشموند، وديمتري برامكي، وسليم الحسيني، وإيمانويل بنتور و«ي. أوري»، وجيرالد هاردينغ، وميخائيل أفييونا و«ي. لنداو».

وخلال أحداث النكبة، كان نعيم مخول في زيارة لأبنائه في بيروت، وبعد الحرب مُنع مثله مثل مئات الآلاف من الفلســـطينيين من العودة إلى وطنه، وتعرض بيت عائلته لاقتحامات متكـــررة من قبل الشرطة الإسرائيلية بحثًا عن تقارير أثريّـــة، وحاول مخولي عبثًا العودةَ إلى بلده وعمله، وقوبلت محاولته بالرفض الإسرائيلي، رغم محاولة الاستعانة بزملاء العمل من اليهود في دائرة الآثار الفلســـطينية، التي عمل بها، وقد ســـجل راز كليتر (Kletter, 2006) قصة مخولي المســـتمدة من الأرشيف الصهيوني، وكيف جرت مماطلة متعمدة في الموافقة على عودتـــه في الدولة الجديدة التي أعلنت على أرض فلســـطين. ويبدو أن أحد أســـباب عدم الموافقة على عودته هـــو أن موقعه الوظيفي في دائرة الآثار قد شـــغله موشي دوثان، وتوفي مخولي في منفاه في لبنان سنة 1976 بعيدًا عن وطنه (Taha 2019).

ومن علماء الآثار الأوائل المرموقين «سالم كامل الحسيني»، الذي عمل مفتشًا للآثار في منطقة القدس ومحيطها، وقد ترك الحسيني عددًا من الأبحاث المنشورة، وتشير المعلومات إلى أن سالم الحسيني قد تعرض للسجن من قبل سلطة الانتداب البريطاني. ومن الباحثين أيضًا «ن. ج. نصار» (1948) الذي نشر دراسةً مهمة بعنوان «النقود العربية في فلسطين وشرق الأردن»، وذلك استنادًا إلى المواد المتوفرة المنشورة منها وغير المنشورة، واعتُبرت دراسةُ نصار إحدى أهم الدراسات المرجعية حول النقود القديمة في فلسطين (Nassar, 1948).

ومن الأسماء المهمة التي لعبت دورًا محوريًّا في مرحلة البدايات: الأخوان جليل برامكي، وديمتري برامكي، لا شك أن ديمتري برامكي كان الشخصَ الأكثر تأثيرًا من بين أبناء جيله، ومن الرواد الأوائل لعلماء الآثار المحليين، والذي طالما لُقِّب بـ«أبو علم الآثار الفلسطيني». وبرامكي مواليد مدينة القدس سنة 1909م، بدأ مسيرته كباحث آثار ميداني في دائرة الآثار الفلسطينية، ورُقّي إلى درجة مفتش آثار سنة 1929. وفي سنة 1934 حصل برامكي على درجة البكالوريوس في علم الآثار من جامعة لندن، وفي سنة 1953 حصل على درجة الدكتوراه في علم الآثار من الجامعة نفسها، وهو، بلا شك، أول فلسطيني محلي يحصل على هذا اللقب العلمي (Whitcomb, 2013).

نقَّب ديمتري برامكي في العديد من المواقع الأثرية، مثل تل الحسن وتلول أبو العلايق وخربة المفجر في أريحا، ونشر تقاريره بشكل منتظم في فصلية دائرة الآثار الفلسطينية، وكشف في الفترة ما بين 1935–1946 عن واحد من أعظم القصور الأموية في بلاد الشام، وهو قصر هشام في خربة المفجر. وكرس رسالة الدكتوراه حول موضوع العمارة الإسلامية.

وبعد النكبة مباشرة عمل برامكي ما بين 1948–1949 قائمًا بأعمال مدير متحف الآثار الفلسطيني الواقع في الشطر الشرقي لمدينة القدس. وما لبث أن عاد إلى أريحا مع المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية، للتنقيب في خربة النتله وتلول أبو العلايق حتى سنة 1951 (Whitcomb, 2013). وفي نفس السنة انضم برامكي إلى الجامعة الأمريكية في بيروت. ورغم انتقاله إلى لبنان والعمل أمينًا لمتحف جامعة الآثار الأمريكية، لم يفقد –برامكي–

اهتمامه بفلسطين، فقد نشر عام 1969 مقدمة حول آثار فلسطين باللغة الإنكليزية بعنوان «الفن والعمارة في فلسطين القديمة» (Baramki, 1969)، صدر عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية.

ولم تكن المشاركةُ في العمل الأثري في فترة الانتداب البريطاني قصْرًا على الرجال، فقد شاركت المرأةُ الفلسطينية في العمل الأثري في هذه المرحلة المبكرة، وتوثق تقاريرُ التنقيبات الأولى مشاركةَ المرأة في العمل الأثري الميداني، ومن بين النساء اللواتي عملن ضمن فريق جارود (Garrod and Bate, 1937) كانت الشابة الفلسطينية يسرا (Challender and Smith 2007)، وعملت معها في تنقيبات مغاور الطابون والواد والسخول والكبارا، وفي سنة 1932 وأثناء عملها في مغارة الطابون، عثرت يسرا على سنّ متحجرة، قادت إلى كشفٍ أثري مهم؛ إذ تبين أنها تعود لجمجمة بشرية عُرفت باسم (طابون 1)، وهي أنثى نيندرثال بالغة، عاشت ما بين 120 إلى 50 ألف سنة من الوقت الحاضر (طه، 2018).

ومن الملفت أنه بالرغم من أن اكتشافها كان واحدًا من أهم اكتشافات المتحجرات البشرية، ومَثَّل إسهامًا خالدًا في علم الآثار، فقد طواها النسيان، وبقيت غير معروفة، ولم يُعترف بفضلها كواحدة من رواد علم آثار ما قبل التاريخ، إلى الحد الذي لم يُحتفظ باسمها كاملًا ولم يُعرف مسقط رأسها ولأي بلدةٍ تعود من قُرى الكرمل على وجه الدقة، وذلك نتيجة للنكبة التي حلّت بالشعب الفلسطيني سنة 1948 وتشريده من أرضه (طه، 2018).

لقد طال الغُبن التاريخي أسماءً كثيرة شاركت في الاكتشافات الأثرية المهمة، وتبوأت مراكز مهمة، ولعل أبرز الأسماء في هذا السياق محمد الذويب، من عرب التعامرة، مكتشف مخطوطات البحر الميت، ورغم أن الاكتشاف جرى بالصدفة من قبل هذا الراعي الفلسطيني، لم يحظ بالاهتمام الذي يليق به كواحد من الأشخاص الذين ارتبطت أسماؤهم بأحد أهم الاكتشافات الأثرية في القرن العشرين، والتي أصبحت تشكل فرعًا في الدراسات الفلسطينية الحديثة، وهي دراسة مخطوطات البحري الميت. وحسن حناجرة (Harding 1959, p: xii) الذي شارك في تنقيبات تل الدوير، والباحث يوسف سعد، قيم متحف الآثار

الفلسطيني، الذي شـــارك في العديد من التنقيبات الأثرية، وكتب واحدًا من أوائل الكتب التعريفية بمخطوطات البحر الميت، والذي طبع ست مرات، يعزّ أن تجد حوله أية معلومة.

وبرز من بين الموظفين في دائرة الآثار الفلســطينية، ومتحف الآثار الفلسطيني، والعمال الفلسطينيين المشاركين في التنقيبات الأثرية الأجنبية في عهد الانتداب البريطاني، فنّيو تنقيب وترميم مرموقين، تركوا بصمات مهمة في تاريخ البحث الأثري في فلسطين، ولكن قلّما جرى الاعتراف بدورهم وفضلهم، وأحيانًا جرى ذكرهم على هامش التقارير، ولم يكن هناك من يقتفي أثر هؤلاء الرواد ويوثق أعمالهم بشكل منهجي.

وفي هذا الســياق، تأسست جمعية الاستشراق الفلسطينية سنة 1920، بمساعدة من عالِم اللغات القديمة الأمريكي أ. ت. كلاي، وفي أوج نشــاطها سنة 1932 كان ينتمي للجمعية 191 عضوًا، منهم (10) فلسطينيين فقط، ولم يتجاوز عدد الفلسطينيين في السنوات اللاحقة الـ(19) عضوًا (Glock, 1999, p: 309). وصدرت عن الجمعية «مجلة جمعية الاســتشراق الفلسطينية»، ورغم أن الإســهام الفلسطيني فيها كان قويًا جدًا في السنوات الأولى، إلا أنه أخذ في الانحسار في عقد الثلاثينيات، مع اشتداد السيطرة الاستعمارية البريطانية والصهيونية على مرافق الحياة الثقافية، وملاحقة المثقفين الفلســطينيين المناهضين للمشروع الصهيوني، وســد الأبواب أمامهم وإيداعهم في السجون، ومن بين 335 مقالًا نُشرت في المجلة ما بين 1921–1948، كُتِب خمســون فقط من قبل باحثين فلســطينيين (Glock, 1999)، ويعود الكثير منها إلى توفيق كنعان، وأسطفان أسطفان، وعمر البرغوثي، وإلياس حداد، وعارف العارف في توثيق جوانب الثقافة المحلية الفلســطينية والريفية على وجه الخصوص، انطلق هذا الجيل من نظرة شمولية للثقافة الفلســطينية بمكوناتها العربية والكنعانية والفلسطينية والعبرية والنبطية والآرامية السورية (Tamari, 2004).

لقــد تبوأ توفيــق كنعــان (1882–1964) مكانة مهمــة كباحث في مجال الدراســات الإثنوغرافية والدراسات الفلسطينية عموما (Nashef 2002;Bourmaud, 2012)، وكان كنعان مهتمًّا بالدراسات التوراتية، وخصوصًا العهد القديم الذي شكّل أحد مصادر دراساته

لماضي وحاضر الثقافة الفلسطينية، وتوافق مع فكرة دالمان بأنه لا يمكن فهمُ العهد القديم دون دراسة الفلكلور الفلسطيني (Tamari, 2004) انطلاقًا من فهم شمولي للحضارة الفلسطينية، مقارنة بأبحاث زملائه اليهود أمثال أليعازر بن يهودا ويتسحاق بنتسفي عن الدلائل اليهودية الحصرية بوجه خاص.

أكد كنعان على عنصر الاستمرارية الحضارية، وكانت التوراة أحد مصادره، وتعرض كنعان للاضطهاد والسجن، وكتب عن القضية الفلسطينية وتلمس النوايا البريطانية في تدمير مقومات الحياة الفلسطينية على هذه الأرض، وفي عام 1948 كان شاهدًا على النكبة التي حلّت ببلاده، وفقد كنعان بيته في الشطر الغربي من مدينة القدس المحتلة، ومكتبته وثلاثًا من مسوَّدات كتبه المُعدَّة للنشر، وشاهد بأم عينه من سور مدينة القدس عملية نهب بيته ومكتبته من قبل العصابات الصهيونية (Nashef, 2002).

دائرة الآثار والنكبة

في سنة 1948، انسحبت قوات الانتداب البريطانية بعد تمكين العصابات الصهيونية وتسليحها، والتي قامت بتنفيذ سلسلة من المجازر وطرد نحو مليون فلسطيني من مدنهم وقراهم، وتدمير ما يزيد على (650) قرية ومدينة، إضافة إلى مئات التجمعات السكانية، ليتحولوا إلى لاجئين في فلسطين والدول العربية المجاورة (Pappe, 2006)، وأتبع ذلك بعمليات استيلاء على ممتلكاتهم وإسكان مستوطنين في مدنهم وقراهم (Hadawi, 1963).

توقفت دائرةُ الآثار الفلسطينية عن الوجود، وعلى أنقاضها تم تأسيس دائرة آثار إسرائيلية داخل الخط الأخضر (Kletter, 2006, Rapaport, 2007, Heacock, 2008)، على الجزء الأعظم من فلسطين التاريخية، وأُتبعت الآثار في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الإدارتين الأردنية والمصرية. وكان هذا إيذانًا بإنهاء السيادة الوطنية الفلسطينية مؤقتًا على الآثار (Taha, 2019).

تحرير الرواية الأثرية الاستعمارية

تتحمل بريطانيا المسؤولية التاريخية عن المأساة التي حلّت بالشعب الفلسطيني، جراء

سياستها الاستعمارية، التي بدأت بوعد بلفور الإجرامي، واحتلال فلسطين، تحت ذريعة الانتداب، دون موافقة السكان، لوضع هذا الوعد الاستعماري موضع التنفيذ، من خلال فتح الأبواب للهجرة الصهيونية، وتمكين العصابات الصهيونية من السيطرة على الأرض، والتي أفضت لنكبة الشعب الفلسطيني وتهجيره من أرضه وتجريده من ممتلكاته.

إن تقييم دور البريطانيين في هذه الفترة، لابد وأن يقود إلى تحرير الرواية التاريخية، وتوخّي الحقيقة عبر مراجعة سياستها الاستعمارية، باعتراف بريطانيا بالمسؤولية التاريخية عن جرائمها في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني، خصوصًا وعد بلفور، ووضع آلية تنفيذية لهذا الوعد من قبل الحكومة البريطانية بقيادة ونستون تشرشل، عبر حكومة الانتداب البريطاني وفرضه عنوة على الشعب الفلسطيني. وقد فوتت بريطانيا عام 2017 لحظة تاريخية، بمناسبة مرور قرن على صدور هذا الوعد الاستعماري المشؤوم، للاعتراف بالجرم الذي ارتكبته بحق شعب فلسطين، وتحمل المسؤولية التاريخية، وتقديم اعتذار تاريخي للشعب الفلسطيني، والعمل على جبر الضرر الذي لحق بالشعب الفلسطيني نتيجة السياسات التي انتهجتها في فلسطين منذ بداية الانتداب، وفي مقدمتها الاعتراف السياسي بدولة فلسطين، والكف عن تقديم الدعم اللامشروط للكيان الصهيوني وأنشطته الاستيطانية الاستعمارية في فلسطين. لتكرر، على النقيض من ذلك، خطأ تاريخيًّا آخر باحتفائها بهذا الوعد الاستعماري دون أي قدر من المراجعة التاريخية، بما يستوجب المزيد من الجهد والنضال لتحقيق هذا الهدف، وربما تشكل حركة التضامن البريطانية على حرب الإبادة في غزة بداية أولى لهذه التحولات.

المصادر والمراجع

- البرغوثي، عمر الصالح، وطوطح، خليل.(1923). **تاريخ فلسطين**. القدس: مطبعة بيت المقدس.
- الجزيرة نت. (09/ 03/ 2024). ناشـــطة تتلف صورة صاحب «وعد بلفور» ببريطانيا احتجاجًا على حرب غزة. يُنظر الرابط:

ناشـــطة-تتلف-صورة-صاحب-وعد-/ / 3/ 20249 /news /www.aljazeera.net / /: https بلفور-بجامعة

- أبو غزالة، عدنان. (1971). المؤرخون الفلســطينيون العــرب خلال فترة الانتداب البريطاني. **مجلة شؤون فلسطينية** العدد: 2. ص: 113-122.
- طه، حمدان. (2021). متحف الآثار الفلسطيني في القدس. **مجلة المقدسية**. العدد (10). ص: 169-196.
- طه، حمدان. (27/ 04/ 2019). في الذكرى المئوية لتأسيس دائرة الآثار الفلسطينية. **جريدة الأيام**.
- طه، حمدان. (12/ 05/ 2018). يسرا الكرملية رائدة العمل الأثري النســوي في فلســطين. **جريدة الأيام**.
- طه، حمدان. (2009). التراث الثقافي والهوية الفلسطينية. في «الهوية الفلسطينية إلى أين؟ البيرة: **جمعية إنعاش الأسرة، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني**. ص: 85-99».
- مرقطن، محمد. (2020). ذاكرة المكان: أســماء المدن والقرى الفلسطينية ما بين الاستمرارية التاريخية والطمس الصهيوني. **تبين**: فصلية محكَّمة تُعنى بالدراســات الفلسفية والنظريات النقدية. المجلد (9). العدد (33). ص: 31-54.

References

- Abu El-Haj, N. (2001). Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-fashioning in Israeli Society. Chicago: University of Chicago Press.
- Abu-Ghazaleh, A. 1972. «Arab Cultural Nationalism in Palestine during the British Mandate». JPS13 /. pp: 37-63.
- Baramki, D. (1969). The Art and Architecture of Ancient Palestine. Beirut: PLO Research Centre.
- Benvenisti, M. (2002). Sacred Landscape: The Buried History of the Holy Land since 1948. Berkeley and L.A.: UCP.
- Bourmaud, P. (2012). «A Son of the Country». Dr. Tawfiq Canaan. Modernist Physician and Palestinian Ethnographer. In Struggle and Survival in Palestine /

Israel. M. Levine and G. Shafer (eds.), Berkeley and L.A.: UCP. pp: 104–124.

– The British Academy, 1997, Robert William Hamilton, 19051995–, Proceedings of the British Academy, 94: pp: 491509–

– Callander, J. and P. J. Smith. (2007). «Pioneers in Palestine: The Women Excavators of El–Wad Cave, 1929». In Archaeology and Women: Ancient and Modern Issues. S. Hamilton, R. D. Whitehouse and K. I. Wright (eds.), London: Left Coasress: 76–82.

– Conder, C. R. and H. H. Kitchener. (1882) The Survey of Western Palestine: Memories of the Topography, Orography, Hydrography, and Archaeology, Vol. 2, London: Palestine Exploration Fund.

– Corbett, E. D. (2014). Competitive Archaeology in Jordan: Narrating Identity from the Ottoman to the Hashemites. Austin: University of Texas Press.

– Doumani, B. (1992). «Rediscovering Ottoman Palestine: Writing Palestinians into History». JPS. 212 /. pp: 5–28.

– Foster, Z. (2011). Arab Historiography in Mandatory Palestine 1920–1948. M.A. Thesis. Georgetown University. Washington.

– Garrod, D. A. E. and D. M. A. Bate. (1937). The Stone Age of Mount Carmel I. Oxford: Clarendon Press.

– Glock, A. E. (1999). «Archaeology as Cultural Survival: The Future of the Palestinian Past». In Archaeology, History and Culture in Palestine and the Near East. Essays in Memory of Albert Glock. T. Kapitan (ed.), Atlanta: Scholars Press. pp: 302–23.

– Hadawi, S. (1963). Palestine: Loss of a Heritage (2nd ed.). New York: World Press.

– Harding, G. L. (1959) The Antiquities of Jordan, London: Lutterworth Press.

– Hawari, M. (2023). The Palestine Archaeological Museum in Jerusalem, 19261938–, Essays in Honor of Jonathan Tubb. (Archaeopress 2023). pp: 179–182.

– Heacock, R. (2008). «Whitewashing: Everybody Does It. Review of Raz Kletter, Just Past? The Making of Israeli Archaeology». Palestine Quarterly 33. pp: 71–75, London: Equinox.

– Irving, Sarah. (2021). «Palestinian Christians in the Mandate Department of Antiquities: History and Archaeology in a Colonial Space.» In European Cultural

Diplomacy and Arab Christians in Palestine, 1918–1948, edited by Karene Sanchez Summerer and SaryZananiri, 161–185. Cham: Palgrave Macmillan. DOI: https: / / doi.org /10 , 10079_5–55540–030–3–978 /

– Keith, Alexander. (1844). The Land of Israel according to the covenant with Abraham, with Isaac, and with Jacob. New York: Harper & Brothers.

– Khalidi, T. (1981). «Palestinian Historiography: 1900–1948». Palestine Studies. 103 /. pp: 59–76.

– Kletter, R. (2006). Just past? The Making of Israeli Archaeology. London: Equinox.

– Laurent, B. St. (2017). «Reconciling National and International Interests: The Rockefeller Museum and Its Collection». Journal of Eastern Mediterranean Archaeology and Heritage Studies. 5. pp: 35–57.

– Laurent, B. St. with H. Taşkömür. (2013). «The Imperial Museum of Antiquities in Jerusalem, 1890–1930: An Alternative Narrative». Jerusalem Quarterly. 55. pp: 6–45.

– Maidrand, J. 2021, Understanding the Promised Land of the Bible, Christians fro Social Actions.Understanding the Promised Land of the Bible – Christians for Social Action.

– Makhouly, N. (1941). Guide to Acre. Jerusalem: Department of Antiquities.

– Mayer, L. A. and Pinkerfeld, (1950). Some Principal Muslim religious Buildings in Israel. Jerusalem: Government Printing Department (English, Hebrew and Arabic).

– Masalha, N. (2012). The Palestine Nakba: Decolonising History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory. London: Zed Books.

– Nashef, Kh. (2002). «Tawfik Canaan: His Life and Works». Jerusalem Quarterly. 16. online: http: / /www.palestine–studies.org /jq /fulltext /78010

– Nassar, N. G. 1948. «The Arabic Mints in Palestine and Trans–Jordan». QDAP 13.

– Nassar, I. (2019). The Palestinian Identity, The Question of historiography. In In: A New Critical Approach to the History of Palestine, edited by I. Hjelm, H. Taha, I. Pappe and Th. Thompson, Routledge, London and New York. pp: 4359–.

– Pappe, I. (2006). The Ethnic Cleansing of Palestine. Oneworld

Rosner, Chloe. (2024). Tracking Local Employees of the British Mandate Department

of Antiquities in Palestine. Bulletin of the History of Archaeology, 34 (1): 8, pp. 1–16. DOI: https: / / doi.org /10 , 5334 /bha–710.

– Rapoport, M. (2007). «History Erased». Haaretz: July 5.

– Sherrard, B. (2011). American Biblical Archaeologists and Zionism: The Politics of Historical Ethnography. Florida State University Libraries. Electronic Thesis.

– Silberman, N.A., 1982. Digging For God and Country: Exploration, Archaeology and the Secret Struggle for the Holy Land 1799–1917. New York: Alfred A. Knopf.

– Taha, H. (2022). «Jerusalem's Palestine Archaeological Museum.» Jerusalem Quarterly. no. 91 pp: 56–78.

– Taha, H. (2019).Palestinian Historical Narrative. In: A New Critical Approach to the History of Palestine, edited by I. Hjelm, H. Taha, I. Pappe and Th. Thompson, Routledge, London and New York. pp: 1742–.

– Tamari, S. (2004). «Lepers, lunatics and saints: the nativist ethnography of Tawfiq Canaan». Jerusalem Quarterly 20. pp: 24–43.

– Thompson, Thomas L. (1999). The Bible as History: How Writers Create a Past. London: Jonathan Cape.

– Wasserstein, B. , 1991The British In Palestine: The Mandatory Government and the Arab–Jewish Conflict, 19171929–, Balckwall

– Whitelam, K. W. (1996).The Invention of Ancient Israel: The Silencing of Palestinian History. London. Routledge.

– Whitcomb, D. (2013). «Dimitri Baramki: Discovering Qasr Hisham». Jerusalem Quarterly 55: 78–82.

– Whitcomb, D. and H. Taha. (2013). «Khirbet el–Mafjar and its Place in the Archaeological Heritage of Palestine». Journal of Eastern Mediterranean Archeology 11 /. pp: 54–65.

القدس في البرامج التعليمية التونسية التعليم الثانوي مثالًا

أ.د. محمد نجيب بوطالب

أستاذ علم الاجتماع - جامعة تونس

الملخص

نتيجة للسياسات والمواقف التي اتخذها الشعب التونسي ونخبه الثقافية والسياسية، خلال نضاله وبناء دولة الاستقلال، بعد دحر الاستعمار الفرنسي، كان من الطبيعي أن يكون للقضية الفلسطينية حضورها بتطوراتها وتأثيراتها على جماهير الأمة العربية في مختلف الساحات. كما كان من الطبيعي أن تواكب البرامج التعليمية في تونس هذه التوجهات المرتبطة بمختلف النشاطات السياسية، والثقافية، والتربوية، والاجتماعية في تونس وفي المنطقة العربية. فهل كانت مناهج التعليم التونسي بعد الاستقلال تجسد المشاعر التونسية الشعبية نحو أخوتهم في فلسطين، بعد أن تعرضت للاحتلال في 1948؟ وهل واكبت مناهج التربية والتعليم في تونس الحديثة مختلف الأحداث والتطورات والنضالات التي خاضها الشعب الفلسطيني على امتداد ساحات نضاله في فلسطين وفي خارجها، حيث مخيمات اللجوء والشتات التي تسبب فيها الاحتلال؟ لذلك سوف يتم التركيز في هذه

الدراسة على متابعة مستويات الحضور الفلسطيني عامة والمقدسي خاصة في برامج ومناهج التعليم والتربية في تونس بعد الاستقلال.

المقدمة

بسبب العوامل التاريخية والحضارية والقومية تحظى فلسطين بمكانة خاصة في وجدان الشعب التونسي منذ القدم. ومنذ فترات ما قبل الاحتلال عام 1948 كان التونسيون يزورون فلسطين لأسباب مختلفة كالرحلة، والتجارة، والدراسة، والنضال، والحج وغيره. يشهد على ذلك اليوم مواقع وتسميات وألقاب وأحداث ووقائع وفعاليات تتلخص في مجملها في رمزية «باب المغاربة» بالقدس، وأسماء عديد العائلات المقدسية خاصة والفلسطينية عامة.

فالقدس في حد ذاتها مدينة عريقة تحتضن المسجد الأقصى وعديد المعالم التاريخية الدينية والثقافية الإسلامية والعربية، بنيت في سياق بناء حضاري تليد يربط بين المشرق والمغرب العربيين، ويحفل بالبطولات، ويوشّى بالرموز التي خلّدها الأجداد لبناء أحد المراكز الحضارية العربية والإسلامية البارزة التي يفاخر بها أبناء الأمة، رغم كل المحن والشدائد التي مرت بها خلال العصر الحديث.

أولا: فلسطين - تونس، علاقات وطيدة عبر التاريخ

كمثال على هذه العلاقة الفلسطينية التونسية، وتأكيدًا لهذه المكانة التي يوليها الشعب التونسي ونخبه لمدينة القدس، نشير منذ البداية إلى الدور الذي لعبه أحد قادة الإصلاح العربي في العشرينيات من القرن الماضي، وأحد رواد النضال الوطني التونسي باعتباره مؤسس الحركة الدستورية في عشرينيات القرن الماضي ممن قادوا عملية الكفاح الوطني ضد الاحتلال الفرنسي، وهو الشيخ عبد العزيز الثعالبي. فكان من أهم العلامات المضيئة في تاريخ النضال التونسي من أجل فلسطين (الثعالبي، 1998)[1].

(1) تضمن الكتاب وثائق مهمة عن مؤتمر القدس سنة 1931، وأهمها تقرير في شكل مسودة بخطه تحت عنوان: «الغاية الباعثة على عقد المؤتمر الإسلامي والمحاولات الفاشلة لإحباطه».

برز دور الثعالبي عندما انعقد مؤتمر القدس في بداية الثلاثينيات، حسبما ذكره سماحة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، الذي دعا إلى ذلك المؤتمر «من أجل إثارة اهتمام الرأي العام الإسلامي، وكسب عطفه، وتأليف جبهة إسلامية قوية تستطيع الوقوف في وجه الصهيونية العالمية». وكان المؤتمر قد تعرض لعمليات تشويه ممنهجة من قبل الحركة الصهيونية ومن والاها؛ لمنعه وإفشاله من خلال صنع إشاعة، كونه سيبحث شأن الخلافة وسيختار خليفة جديدًا، الأمر الذي أثار ردود فعل عنيفة جدًّا، خاصة في بعض البلدان العربية والغربية، ومنها بريطانيا.

ويعدّ مؤتمر القدس أول المحاولات التاريخية الكبيرة الوحدوية للدفاع عن فلسطين، حيث حضر إلى الجلسة الممتازة المنعقدة يوم 7 كانون الأول/ ديسمبر 1931 أكثر من 153 مندوبًا، وحضر من بينهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي من تونس، وهو أحد القائمين على نجاح المؤتمر بمعية قادة فكر وسياسيين آخرين، على امتداد الساحتين العربية والإسلامية.

وكان لانتفاضة 1929 في فلسطين تداعيات كبيرة على مواقف التونسيين في مواجهة النشاط الصهيوني بالبلاد، عندما أصبحت قضية تحرير فلسطين قضية وطنية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقضية تحرير تونس وبلدان المغرب العربي. وكان للشيخ عبد العزيز الثعالبي الدور الأبرز، خاصة بعد مشاركته في مؤتمر القدس وعضوية أمانته بعد عام 1931، وتفعيل المؤسسات المتفق عليها في المؤتمر، وتشكّل «لجنة إغاثة فلسطين» و«جمعية الشباب المسلم» في منتصف الثلاثينيات، وما تبعها من عمليات تطوع في المقاومة.

أما في المرحلة الراهنة، فلفلسطين ونضالها من أجل التحرير والبناء الوطني، وللقدس الرمز والقدس العاصمة، مكانة عالية في وجدان الشعب التونسي ونخبه بمختلف شرائحها وتوجهاتها؛ إذ تجمع مكونات المجتمع المدني في تونس، من نقابات وروابط وأحزاب، على تقديم الدعم غير المشروط للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وعلى سبيل الذكر، لا الحصر، وخاصة خلال الفترة الأخيرة لعب النشطاء في المجتمع المدني التونسي أدوارًا فعالة في هذا

الاتجاه، ومن أهم هذه المنظمات: الائتلاف التونسي لمناهضة التطبيع والصهيونية، وجمعية تونس لأجل القدس وفلسطين، والجمعية الخيرية التونسية لدعم الصمود الفلسطيني، والاتحاد العام التونسي للشغل، والجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات، وجمعية القضاة التونسيين، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، واللجنة الوطنية لدعم المقاومة في فلسطين، هيئة دعم المقاومة العربية، والاتحاد الوطني للمرأة التونسية...

ثانيًا: فلسطين والقدس في المنظومة التربوية التونسية، التعليم الثانوي مثالًا

كنتيجة للتوجهات والسياسات التي مرت بها القضية الفلسطينية وتطوراتها وتأثيرها على جماهير الأمة العربية، في مختلف الساحات، كان من الطبيعي أن تواكب البرامج التعليمية في تونس هذه التوجهات المرتبطة بمختلف النشاطات السياسية، والثقافية، والتربوية، والاجتماعية في تونس وفي المنطقة العربية. فهل كانت مناهج التعليم التونسي بعد الاستقلال تجسد المشاعر التونسية الشعبية نحو أخوتهم في فلسطين، بعد أن تعرضت للاحتلال في 1948؟ وهل واكبت مناهج التربية والتعليم في تونس الحديثة مختلف الأحداث والتطورات والنضالات، التي خاضها الشعب الفلسطيني على امتداد ساحات نضاله في فلسطين وفي خارجها، حيث مخيمات اللجوء والشتات؟

سنركز في هذه الدراسة على متابعة مستويات الحضور الفلسطيني عامة، والمقدسي بشكل خاص، في برامج ومناهج التعليم والتربية في تونس بعد الاستقلال، معتمدين على منهجية علمية. مع الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات المنهجية الآتية:

1- لا نستطيع أن نعد القارئ بتغطية كل المراحل وتحليل كل المعطيات المبثوثة في ثنايا المراجع وأدبيات البحث؛ بسبب اتساع مجال البحث وصعوبة الإلمام بمختلف جوانب الموضوع. فالأمر يتطلب دراسة مستفيضة ومتابعة مطولة، تستوجب وقتًا أطول وجهدًا أوسع. ولكننا سنعتمد على الدراسة الاستطلاعية، وفق مقاربةٍ كيفيّة

لموضوع الدراسة، تمكننا من إعطاء فكرة عامة حوله.

2- إن منظومـــات التربية والتعليم في البلاد التونســـية عرفت تغـــيرات كثيرة ومراحل مرتبطة بتوجهات سياســـية مختلفة باختلاف مراحل التطور، الذي عرفته تونس منذ الاستقلال في عام 1956. كما ارتبطت باختلاف توجهات وإصلاحات الشخصيات السياسية القيادية وتوجهاتها الفكرية والأيديولوجية (الحناشي، 2007).

3- إن مكانة الحضور الفلســـطيني، كموضـــوع تربـــوي دراسي، في المناهج والبرامج التونســـية كان يتأثر، كمًّا وكيفًا، بالتطورات التي عرفتها مســـيرة النضال الفلسطيني مثل الحرب عـــلى بيروت في الثمانينيـــات، وانتقال منظمة التحرير الفلســـطينية من بـــيروت إلى تونس، وانتقال الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس، ثم مرحلة اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، وصولًا إلى أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر عام 2023.

1-2 منهجية الدراسة

اعتمدت دراستنا لموضوع مكانة فلســـطين عامة، والقدس خاصة، في المناهج الدراسية التونســـية بمراحل التعليم الثانوي على منهجية كيفية تقوم على أخذ عينات من مادة البحث المتمثلة أساسًـــا في النصوص التوجيهية، التي تصدرها وزارة التربية بتونس، خلال العقود الثلاثة الأخيرة. بالإضافة إلى مجموعة من الوسائل البيداغوجية المتمثلة في الكتب الدراسية، والوسائط التعليمية، وكل ما يمكن أن يفيد في إجلاء صورة الحضور الفلسطيني في المنظومة التربوية التونســـية المعاصرة. كما اعتمدنا على إجراء مقابلات ميدانية مع أهل الاختصاص، وخاصة من القائمين على الشـــأن التوجيهـــي والمتفقدين في مـــواد الاجتماعيات والآداب والإنسانيات. كما تمت الاستفادة من مادة البحث في النواحي النظرية، وخاصة في مستويات التحليل التاريخي والسوسيولوجي، من مجموعة من الدراسات والأبحاث العلمية المتعلقة بواقع وتطور النظام التعليمي، والمسائل التربوية والفكرية والسياسية بتونس، التي لامست، بشكل أو بآخر، القضية الفلسطينية والتي صدرت خلال العقود الماضية.

2-2 فلسطين في البرامج والأنشطة

بدأ تناول هذه المسألة ضمن برامج المواد الاجتماعية، وبصفة خاصة بمادة التاريخ، منذ اعتماد التعليم الزيتوني، وبروز تحركات الطلاب الزيتونيين المساندة لحقوق الشعب الفلسطيني، أما بعد استقلال تونس -سنة 1956- فقد اهتمت البرامج الرسمية والكتب المدرسية التونسية في المؤسسات التعليمية الرسمية بالقضية الفلسطينية مع اعتماد التعليم العصري، ولكن بشكل بطيء ومحتشم في العقود الأولى؛ بسبب عوامل أيديولوجية ومواقف سياسية، كانت تضع الحبيب بورقيبة في موقف مختلف مع مواقف الزعماء العرب في المشرق العربي. أما خلال العقود الأخيرة، وخاصة بعد الانتفاضة، فقد ازداد الاهتمام، وخاصة في المواد الاجتماعية وفي التاريخ، وكان الحضور الفلسطيني في البداية محتشمًا في البرامج التعليمية بعد تأثره بالخلاف البورقيبي- الناصري خلال العقود الأولى من الاستقلال، ثم سرعان ما تميزت القضية الفلسطينية بالحضور المكثف، وخاصة في مناهج المرحلة الثانية من التعليم الثانوي، مع تنزيلها في إطار نضالات الشعوب المستعمرة من أجل التحرر والانعتاق. ويمكن التمييز بين المواد حسب أولوية اهتمامها بموضوعات حول فلسطين في العناصر الآتية:

1) **البرامج الأدبية واللغوية وبرامج مواد الاجتماعيات**: وتشمل الأدب الفلسطيني والعربي حول القضية الفلسطينية؛ إذ نجد نصوصًا لكتاب وأدباء وشعراء فلسطينيين، ضمن مواد اللغة والأدب العربيين بمختلف أجناسهما (الزوابي، 2023).

2) **البرامج التاريخية وبرامج التربية الوطنية**: وبها إشارات وتعريجات على تاريخ احتلال فلسطين، وفي سياق التقسيم، الذي فرضته الاتفاقيات والتدخلات الاستعمارية بالمنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص.

فقد نوّهت المتفقدة العامّة في مادّة التاريخ والجغرافيا في وزارة التربية، بحضور القضيّة في المدرسة التونسية، وفق معالجة نقديّة علميّة قائلة:

«إن حضور القضية الفلسطينية في البرامج الرسمية لمادّة التاريخ يستهدف جملة من القدرات التي تساهم في تعزيز الوعي بالقضية وأهميتها التاريخية والسياسية ويمَكِّن المتعلمين من اكتساب معارف تتعلّق بالصّراع الصهيوني الفلسطيني وتأثيره في المنطقة والعالم. بالإضافة إلى التشجيع على تنمية التفكير النقدي والنقاشات البناءة حول حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وتعزيز الوعي السياسي لدى الناشئة بقضايا العصر»(الزوابي، 2023).

3) **برامج التربية التشكيلية والفنية**: للقضية الفلسطينية حضور في دروس التربية التشكيليّة، من خلال الصور الجادّة واللوحات العارضة لمشاهد طبيعية، تبين الثراء الطبيعي لفلسطين طبيعة وتراثًا معمارًا وزراعة، والكاريكاتوريّة الفاضحة لبشاعة الاحتلال، فضلًا عن حضور صور الزعماء والفدائيين، والقصائد، والأغاني الوطنية، وأناشيد المقاومة الفلسطينية والقومية العربية، التي كانت تستنهض الهمم وتغذي مشاعر الارتباط بالأرض وبالوطن وتذكي قيم الممانعة والمقاومة.

4) **نوادي الإبداع والتنشيط الثقافي والاجتماعي في المعاهد الثانوية وفي الإعداديات**: في إطار سياسة وبرمجة موجهة متفاعلة مع تطورات القضية الفلسطينية في السنوات الأخيرة، يتم تكييف نوادي الأدب والشعر والإبداع، بما يجعلها حاضنة للقضيّة الفلسطينية، وذلك بارتفاع حيّز النشاط الموجه للتعريف بالقضية الفلسطينية، وتحفيز الطلاب على التفاعل معها ودعمها عبر رفع العلم الفلسطيني وتحيته كل صباح إلى جانب العلم التونسي، وتنظيم مظاهرات مساندة في ساحات المدارس وفي الشارع، حسب تطورات الأحداث، وهو ما لوحظ بعد أحداث السابع من تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، وقد تم ذلك بدعم وتوجيه من وزارة التربية والنقابات. ويمثل اهتمام «ملتقى معلمي تونس العربي الدولي» المنعقد في 27 تشرين الأول/ أكتوبر عام 2023 علامة مضيئة في سياق تطور الحضور

الفلسطيني لدى القائمين على الشأن التربوي؛ بإدراج نشاط بيداغوجي معبر هو «درس قراءة: القدس عاصمة فلسطين».

لكن التسلسل الزمني لحضور القضية وتحليل الأحداث المرتبطة بها والبحث في جذورها، يتمّ عادة وفق منهجيّة علميّة تتّسم حسب مسؤولي الإرشاد والتوجيه البيداغوجي بالموضوعية والنزاهة، في إطار معرفة مدرسيّة خاضعة للنّقل التعلّمي، تراعي عدّة جوانب، أهمها: قدرات المستهدفين بالتدريس، ومستوى المتعلّمين، وملامح المتخرج، وغايات النّظام التّربوي التّونسي (مقابلة مع متفقدة التعليم الثانوي الأستاذة فائزة علوش مقابلة في موقع «ألترا تونس» (الزوابي، 2023).

ثالثا: مكانة القضية الفلسطينية في تفاصيل البرامج والمناهج الدراسية

سنعرج، فيما يأتي، بشيء من التفصيل، على بعض المحاور كشواهد عن إدماج النصوص والقضايا الفلسطينية، ضمن المناهج الدراسية للمتعلمين في بعض المستويات في التعليم الثانوي التونسي، ومنها:

المستوى الأوّل: التاسعة من التعليم الأساسي

يتناول المحور الثاني من هذا المستوى، المهيأ للدخول إلى المرحلة الثانوية، بالدرس أهم التطورات التي عرفها العالم والبلاد التونسيّة، خلال الفترة المعاصرة، حيث تدرج القضيّة الفلسطينية في الدّرس الثالث ضمن محور «العالم بعد الحرب العالمية الثانية»، وتأتي مباشرة بعد أن يتعرض التلميذ إلى درس تحرر الشعوب المستعمرة. كما تنصّ التوجيهات في البرامج في شأن هذا الدّرس على ضرورة الإشارة في المقدمة إلى «جذور القضية الفلسطينية»، ثم يتمّ التطرق، فيما بعد، إلى المراحل الكبرى بدءًا من 1945 وصولًا إلى اتفاقية أوسلو، وذلك بالاعتماد على سلم زمني محدد.

المستوى الثاني المتّصل بالسنوات الثالثة ثانوي (شعب علمية)

في إطار دراسة أزمات القرن العشرين وتحولاته، ترد القضيّة الفلسطينيّة في الدّرس الرابع والأخير من البرنامج، وتنصّ التوضيحات على التّركيز على «الأطوار الكبرى من الانتداب البريطاني إلى اتفاقية أوسلو». التّعليمية بالنّسبة لهذا المستوى مفتوحة؛ إذ تعطي مجالًا للأستاذ كي يتصرف في المحتوى مع التّركيز على الأطوار. المؤسف أنّ هذا الدّرس لا يتناوله إلّا قلة من المدرسين ممّن يحرصون على إتمام البرنامج الرّسمي في الآجال، باعتباره الدّرس الأخير في البرنامج.

بعد بحث وتحقيق، نجد أن فلسطين تكاد تغيب عن المدرسة التونسية في المراحل الوسطى من التعليم الثانوي، حيث تمثل تلك المرحلة من العمر مرحلة بناء مرتكزات الشخصية. فعدا درس يتيم ومختصر في مستوى البكالوريا في اختصاص الآداب، لا يوجد ذكر للقضية الفلسطينية بوضوح واستفاضة، وحتى النصوص الشعرية والأدبية المدرجة في بعض المحاور لكتّاب فلسطينيين لا يتجاوز مدى شرحها الجوانب الفنية والجمالية.

بخلاف الجامعات التونسية، نلاحظ أن المدرسة التونسية لا تحتفي بالمواعيد والتواريخ المهمة التي تهم القضية الفلسطينية، مثل: يوم الأرض، ويوم الشهيد وغيرها، إذ يبقى التلميذ التونسي بعيدًا عن القضية الفلسطينية إلى حدود ذهابه إلى الجامعة، حيث تتكفل بتثقيفه وتأطيره النقابات الطلابية بمختلف أجنحتها غالبًا، والتي لا تزال إلى اليوم تحمل الحق الفلسطيني بين جنباتها جيلًا بعد جيل. ولكننا نلاحظ أن سنة 2023 شكلت منعطفًا مهمًّا في المدرسة التونسية، في جانب الاهتمام بالقضية الفلسطينية، بشكل موجه ومدعم من وزارة التربية ومن الإدارة المدرسية.

المستوى الثالث: السنوات الرابعة ثانوي (شعب الآداب)

تدرّس القضيّة الفلسطينيّة ضمن تاريخ العالم المعاصر، بعد 1945، في محور «تحرّر الشّعوب المستعمرة» في الدّرس الّثالث، وتنصّ التوجيهات البيداغوجية المتعلقة بهذا

الدّرس على ضرورة الإشـــارة إلى «جذور القضية الفلســـطينية، مـــع التّركيز على المراحل الكبرى من الانتداب إلى اتفاقية أوسلو».

فلسطين لدى طلاب البكالوريا التونسيين

بالإضافـــة إلى ما تتضمنه برامج التعليم في الســـنة النهائية من التعليـــم الثانوي، المؤدية إلى الحصول على شـــهادة البكالوريا التي تؤهل للدخول إلى التعليم العالي، من مواد تتعلق بالقضية الفلســـطينية، مثل: إدراج مواضيع ذات علاقة بالقضية الفلسطينية بمواد الفلسفة، واللغـــة العربية، والتاريخ، وكثيرًا ما يكون الاختبار فيها في شـــكل كتابة مقالة تولي الأهمية للجانب التعبيري، وتدفع الطالب على التفكير وإبداء الرأي في موضوع أدبي، أو فلسفي، أو تاريخي، أو سياسي، انطلاقًا من برامج دراسية، تتفاوت في مستويات إعطاء المكانة لفلسطين والقدس والمقاومة، ولكنها في عمومها تستند إلى نصوص ومعطيات تاريخية، وأدبية، وفنية، وفكرية، وحضارية تتعلق بفلسطين كوطن وكثورة.

بالإضافة إلى ذلك، تعطي المعاهد الثانوية في مســـتويات البكالوريا، بمختلف شـــعبها الأدبية والعلمية، مكانة خاصة في نهاية كل ســـنة للقضية الفلسطينية وللقدس ولغزة بشكل خاص. ذلك ما عرفته المعاهد من تظاهرات ما يســـمى بـ«أيام البكالوريا»، التي أصبحت من عـــادات طلاب هذه المرحلة في الأيام الأخيرة من العام الدراسي، حينما يحتفل الطلبة في مؤسساتهم، وبالاعتماد على أنفسهم، بما يســـمونه بـ«الدخلة» من إقامة احتفالات جماعية. وأصبح الحضور الرمزي الفلســـطيني بها أمرًا ملحوظًا باختفـــاء مظاهر الرقص والفرح، مقابل ارتفاع المظاهر الاحتفالية الجادة الملتزمة بمساندة الشعب الفلسطيني والتضامن معه؛ عبر رفع الأعلام والشـــعارات واللافتات، وترديد الأغاني والأناشـــيد الثورية والوطنية، وتمثيل المشـــاهد المســـاندة والدافعة إلى الارتقاء بالوعي الطلابي والشبابي، باتجاه التضامن والمساندة للقضية الفلسطينية.

من مظاهر تطور الحضور للقضية الفلسطينية، في اهتمامات المنظومة التعليمية التونسية،

نجد أنــه بين ســنتي 1998 و2023 طرحت القضية الفلســطينية أربع مــرّات في امتحان البكالوريا (1998 بالنسبة لشعبتي الآداب والاقتصاد والتصرف، و2012 و2018 و2022 بالنسبة لشعبة الآداب).

القضيّة الفلسطينيّة في برامج العربيّة بتونس

يعدّ الأستاذ قصي المليح (المليح، 2024)، متفقد التعليم الثانوي، أن للقضيّة الفلسطينيّة في برامج العربيّة حضورًا مميّــزًا، يشي بالعلاقة التّاريخيّة والوجدانيّة بين الشّــعب التّونسيّ والشّعب الفلسطينيّ، علاقة يجلوها على نحو بليغ نصّ «صديقة من فلسطين»، مقتطف من رواية «دروب الفرار» للرّوائيّة التّونســيّة حفيظة قارة بيبان. كما يجسدها نصّ مندرج ضمن محور الأطفال في العالم» في كتاب الأنيس لتلاميذ السّنة السّابعة من التّعليم الأساسيّ.

ورد في كتاب «أنــوار، وزارة التربية» (2024)، الذي نشره المركز الوطنيّ البيداغوجيّ، نــصّ يحكي قصّة التّلميذة «ليلى غسّــان»، القادمة من الوطن المحتلّ فلســطين، لتشــارك «شرود» قســمها ومقعدها وحكايات التّشريد والتّهجــير، إذ حلّت عائلتها بتونس قبل أن يحصل والدها على تصريح لزيارة فلسطين ورؤية أمّه هناك بعد عشر سنين من الغياب، قبل أن ترحل ليلى ولمّا تكمل امتحاناتها، ولتظــلّ شرود «تذكر صديقتها طفلة جميلة لا تكبر... وجرحًا موجعًا لا يندمل». كما تحضر فلســطين في نصّ «طباق» للشّاعر الفلسطينيّ المقاوم محمــود درويش، مقتطف من ديوانه «كزهر اللّوز أو أبعــد»، ضمن محور «تفاعل الثّقافات والحضارات» في كتاب «أنوار» لتلاميذ السّنة التّاسعة من التّعليم الأساسيّ.

إشراف وزارة التّربية ونشر المركز الوطنيّ البيداغوجيّ بتونس، وفي النصّ يطرح سؤال الوطن والهويّة، وسؤال الشّرق والغرب، وسؤال المنفى والانتماء، على النحو الآتي:

«منفى هو العالم الخارجيّ

منفى هو العالم الباطنيّ،

فمن أنت بينهما؟

ففي السّفر الحرّ بين الثّقافات

قد يجد الباحثون عن الجوهر البشريّ

مقاعد كافية للجميع...

كما تحضر القضيّة الفلسطينيّة، ضمن محور الشّعر الوطنيّ، في كتاب «آفاق أدبيّة» لتلاميذ السّنة الأولى من التّعليم الثّانويّ: كتاب»آفاق أدبية: وزارة التربية (2024)؛ إذ أُدرج نصّان في المقاومة ونداء الحريّة للشّاعرين الفلسطينيّين: محمود درويش من ديوانه «آخر اللّيل»، وفدوى طوقان من ديوانها «اللّيل والفرسان».

وضمن محور الشّعر الحديث في كتاب النّصوص لتلاميذ السّنة الثّالثة من التّعليم الثّانويّ، أدرجت خمسة نصوص: للشاعر الفلسطينيّ محمود درويش في المرأة واقعًا ورمزًا، وفي النضال والالتزام، وفي نشر الذّات (ريتا والبندقيّة، مطر ناعم في خريف بعيد، أحمد الزّعتر، سأصير يوما ما أريد، من تعاليم حوريّة).

رابعًا: خاتمة

يمكننا اعتبار أنّ دعم الدّولة والشعب التونسيين المتواصل للقضيّة الفلسطينية قد أعطى صورة مشرفة لشعب يتطلع للكرامة والانعتاق، وهو ما يعكس وجود انسجام بين الجانبين الرسمي والشعبي في مناصرة حق الشعب الفلسطيني في نضاله لإقامة دولته، وتحرير أراضيه كافة من الاحتلال، هذا الدّعم بدأ يترجم إلى إجراءات عملية، من بينها: سعي النخب ومكونات المجتمع المدني نحو تمرير مشروع قانون «تجريم التطبيع» بمجلس النواب، رغم الضغوط الخارجية، ومن مظاهر ذلك تعزيز إدراج القضية الفلسطينية في برامج التعليم بمختلف مستوياته، وخاصة في مواد التاريخ، والمواد الاجتماعية والإنسانية، كالتّربية المدنيّة، والفلسفة وغيرها.

إن التزام تونس بدعم القضية الفلسطينية وتعزيز الوعي الثقافي والتاريخي للأجيال القادمة من شأنه، وفق ما تراه فائزة علوش متفقدة التعليم الثانوي بوزارة التربية الوطنية،

أن يولّد لديها الشـــعور بالمسؤولية تجاه هذه القضية، مما يساهم في تشكيل جيل واع ومستعد لتحمل دور إيجابي في بناء عالم أفضل وأكثر عدالة. على أنّ التركيز على الجانب الكرونولوجي في تدريس القضية (التّركيز على الأطوار)، لا يشـــجّع كثيرًا المتعلّمين على البحث والتّفكير النّقدي حول دوافع ومخاطر الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وتداعياته.

لـــذا، يتعين عـــلى البرامج مســـتقبلًا، الإلمام بمختلـــف الجوانب التّاريخية والسياســـيّة والاجتماعيّة للقضيّة، ممّا يســـاعد الناشـــئة على تطوير مهارات البحـــث والتّحليل، وفهم القضية بشـــكل أفضل، والمساهمة في دعمها بالشـــكل الأنسب. ومن المهمّ أيضًا العمل على مراجعة البرامج التعليمية، وتحيينها، وتطوير الجهود في هذا الاتجاه، لضمان حضور القضيّة الفلســـطينيّة في برامج التاريخ بشـــكل أنسب في جميع المســـتويات الدراسيّة»، وخاصة بعد التطورات الراهنة وتحقق الإجماع العالمي على حق الشـــعب الفلســـطيني في استعادة أرضه، وفي بناء دولته وعاصمتها القدس.

خامسًا: توصيات

- مراجعة وزارة التربية التونسية لبرامج التعليم ومناهجه بخصوص المستوى الضعيف لحضور القضية الفلسطينية، من مختلف الجوانب التاريخية، والسياسية، والجغرافية، والثقافيـــة، والدينية، بحيـــث يقتضي التطور والمنطق التفاعل مع مشـــاعر المواطنين ومواقفهم السياســـية الداعمة للشعب الفلســـطيني في نضاله المشروع، حتى تكون المنظومـــة التعليمية التونســـية أكثر اهتمامًا وتركيزًا وشـــمولية في تناولها لفلســـطين والقدس، بما ينســـجم مع جملة التطـــورات والتحولات الخطيرة التـــي تمر بها هذه القضية عربيًّا ودوليًّا.

- إعطاء القدس، كمركز ثقافي وكرمز حضاري عربي إســـلامي، المكانة التي تستحقها، وفق خطة إستراتيجية متعددة المراحل ومتدرجة الجوانب، في برامج التعليم بمختلف مراحله، دفعًا لتصحيح وتمتين علاقة الطلاب التونسيين بالقضية، وإثراء رصيدهم

الثقافي، وتطوير مستويات اطّلاعهم على تاريخ فلسطين ونضال شعبها، من أجل دعمه في مختلف المواقع التي سيكونون فيها مستقبلًا، من أجل نيل استقلاله، وبناء دولته وعاصمتها مدينة القدس.

- يتطلب بناء هذه الخطة المستقبلية تنسيقًا محكمًا بين وزارة التربية التونسية ووزارة التربية الفلسطينية، من خلال تفعيل اتفاقيات التعاون والعمل المشترك بين البلدين الشقيقين.
- تنظيم لقاءات دورية مشتركة بين هيئات التدريس في المعاهد الثانوية والمدارس الثانوية والابتدائية، من خلال ورشات العمل، والزيارات المتبادلة.

المراجع

- بوحليلــة، دنيا الســماعلي. (20/ 04/ 2021). التعليم في تونس: المنجــز الماضي والانحدار الحاضر وتحديات المستقبل». موقع الباروميتر العربي. يُنظر الرابط الآتي (شوهد في 15/ 09/ 2024):

https: / /www.arabbarometer.org /ar /202104/ / التعليم-في-تونس-المنجز-المــاضي-/ / والانحد

- الثعالبي، عبد العزيز. (1988). خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الحناشي، عبد اللطيف. (2007). «موقف بورقيبة من القضية الفلســطينية (1965 – 1946)». مجلة الدراسات الفلسطينية. المجلد (18). العدد (69). ص: 52-74.
- الزوابي، أحمد. (1/ 11/ 2023). «القضية الفلســطينية في برامج التعليم في تونس.. حضور ضعيف يقتضي التعزيز والتحيين». موقع ألترا تونس. يُنظر الرابط الآتي (شوهد في 20/ 10/ 2024):

https: / /ultratunisia.ultrasawt.com/ القضية-الفلســطينية-في-برامج-التعليم-في-تونس-/ حضور-ضعيف-يقتضي-التعزيز-والتحيين/ أحمد-الزوابي/ مجتمع

- وزارة التّربية. كتاب «آفاق أدبيّة» لتلاميذ السّــنة الأولى من التّعليم الثّانويّ، الكتاب المدرسيّ.. نشر المركز الوطني البيداغوجي. ص: 207-213.
- وزارة التّربية. كتاب «أنوار» لتلاميذ السّنة التّاسعة من التّعليم الأساسيّ.. المركز الوطنيّ البيداغوجيّ. تونس.

- Sraieb, Noureddine. (1968). «Mutations et réformes de structures de l'enseignementenTunisie, Annuaire de l'Afrique du Nord», Centre national de la recherchescientifique; Centre de recherches sur l'Afriqueméditerranéenne (CRAM), Paris, Editions du CNRS, pp. 45114-.

من أعمال سامية حلبي

القدس في برامج ومناهج التعليم ما قبل الجامعي جدلية الحضور والغياب «تونس مثالاً»

أ. منال قادري

باحثة علم اجتماع، جامعة تونس

المقدّمة

ارتبطت القضيّة الفلسطينية، التي هي حكاية صمود وبحث عن الحقوق، بمجموعة من الأحداث والمستجدّات التي شهدتها المنطقة على مرّ العقود، على اعتبار أنّها كانت -ولا زالت- محور صراع دموي أثّر في حياة ملايين الناس سواء بالقتل أو بالتهجير.

هي قضية، عاشت تطورات وواجهت تحديات لحلّها، ولا ننسى أن لها جذورًا وأسسًا قامت بها وعليها، وهي: نشأة الصهيونية وأجهزتها، ومرحلة الانتداب البريطاني، والنكبة الفلسطينية ومأساة الفلسطينيين، واليوم العصيب بإعلان قيام دولة إسرائيل رسمياً في فلسطين، ومجزرة دير ياسين، والانتفاضات الفلسطينية في وجه العدوان، وأبرزها: انتفاضة الحجارة، وانتفاضة الأقصى، وآخرها طوفان الأقصى 7 اكتوبر/ تشرين الأوّل 2023.

حروب قائمة، تهجير، قتل وترويع، هدم للمنازل وللمؤسسات وحتى للمستشفيات، صور يتم بثها تتجاوز العقل البشري وفيها من البشاعة واللاإنسانية الكثير.

أمام هذه الصور القاتمة، ربما المطلوب من العربيّ اتخاذ موقف عربي موحّد لإنقاذ الإنسان من المأساة الإنسانية، التي باتت واضحة للجميع، من خلال النقل المباشر لكل تفاصيل الحرب.

هو موقف عربي يتراوح منذ الأزل بين التضامن والخذلان إلى حدّ أنّ الفلسطينيّ بات يواجه العدوّ في صمت، مرارة صمت توارثها، لأن بات للعربيّ أيضاً مصالحه الخاصّة أمام تأجيل دائم لظهور الرأي العربي الموحّد في خلق سياسة عربية تقول بالسلام الدائم لفلسطين ولكل الأراضي الفلسطينية وللإنسان الفلسطينيّ، الذي بات وحقوقه البسيطة خطّان متوازيان لا يلتقيان.

خلافاً لذلك، فإنّ بعض الدول العربية سعت وتسعى إلى إدراج القضية الفلسطينية بكل محطاتها التاريخية في برامج ومناهج التعليم، بغية نحت تاريخية هذه القضية، وما تحمله من خصال إنسانية عند الفلسطينيّ كالصمود، والغيرة على الأرض، والمطالبة بالحقوق بل وافتكاكها، كما واعتبار الأرض عِرض الإنسان وشرفه، في شخصية الناشئة، ليكون العربيّ أينما كان فخورًا بتلك التفاصيل ويعتبرها تجارب حيّة، تشكّل وتنحت شخصيته العربية المؤمنة بالحق والعدالة، لا الظلم والاستيلاء على ملك الآخر.

وعليه، فإنّ بحثنا هذا هو عبارة عن قراءة حول مكانة القدس وصدى القضية الفلسطينية في البلاد التونسية، كإحدى البلدان العربية التي تعتبر أنّ القضية الفلسطينية هي قضيتها وقضية مواطنيها جيلاً بعد جيل، ومهما تغيرت الأنظمة السياسية فيها.

وفي هذا السياق، لعلّ الإشكالية الأبرز والأعمق والتي تراودنا دائما هي كالآتي: «إلى أيّ مدى يصحّ القول اليوم بأنّه لإدراج القدس في مناهج وبرامج التعليم في البلاد التونسية دور مهمّ في تواصل تبنّي القضية الفلسطينية، واستدامتها لدى كل الفئات المجتمعية التونسية – كباراً وصغاراً، واعتبارها قضية عربية إنسانيّة، وليست فلسطينية فقط؟

أوّلاً: القضيــة الفلســطينية: ثنائيــة الهجرة والاندمــاج الاجتماعي بالداخل والخارج

وقع الفلسطينيون تحت وطأة العديد من موجات التهجير القسري؛ وذلك لعدّة أسباب، حيث أجبر كثير من الســكان على الخروج من بيوتهم ومناطقهــم الأصلية، ووصل الأمر كذلــك لعمليات التهجير القسري في البلاد، التي اســتقروا فيها بعد نكبة 1948 ونكســة 1967 وكذلك طوفان الأقصى 7 أكتوبر 2023.

فالمنفى، بالنســبة لهم، جــرح لا يندمل، وحزن مبرح أو حياة مشــوّهة، لكنّه يغدو أداة مقاومة وتحرّر، كما أنّه عالم خصوبة للإنســان الذي يتحرّر مــن ضيق المكان، ومن لزوم ما لا يلزمه من إكراهات التصرف بشــكل مخصوص، اســتجابة لشروط مقررة يمليها الفكر والهويــة. بل يتحرر من كل ما هو جاهز أو مصنوع مســبقاً على مقــاس أمّة، أو مجتمع، أو مكان، أو ذاكرة، أو سردية معيّنة.

إنّهم نســبة كبيرة يقيمون في المنفى والأغلبية الســاحقة تقيــم في البلدان العربية، حيث تختلف ظروفهم حسب سياسات الدول المضيفة والمستجدات السياسية، والبنية الاجتماعية والظروف الاقتصادية، والأهم قرارات صناع القرار.

كما ويعبّر المنفــى دوماً عن حالة انقطــاع ونبذ وإنبات وانفصال بــين الكائن ووضعه الطبيعي كوصف، ويحمل معنى الاقتلاع أشــد العقوبات قســوة كإجراء، ويشير إلى البعد المعنــوي والمادي عندما يتعلق الأمر بالمســافة، أمّا كمكان فهو مجال ما أو أي مجال ســوى المجال الأصلي للإنسان (الجويلي، 1992، ص: 23).

إضافــة إلى أنّ الهجرة واللجــوء والتهجير القسري والنزوح، الذي يعاني منه الشــعب الفلســطيني، تمثل صــوراً متعددة لوجــه واحد، وتنعكس ســلباً على البنيــة الاجتماعية والديموغرافية والسياسية. بناءً على هذه الظروف، يمكن النظر إلى التهجير القسري بوصفه انتهاكاً فظًّا لأمن الإنســان، بكل ما يتضمنه من عناصر، فهو يحرم الإنســان حقه في الأمن

والخصوصية في السكن، مكاناً وملكية ونسيج علاقات اجتماعية، وتاريخًا من الخبرات والمصالح المشتركة، وانتماء للمكان بكل ما تعنيه من رموز وذكريات، تشكل جميعاً رصيد الإنسان الثقافي والروحي (ياسين وعطوان، 2010، ص: 6-43).

فالثقافة الفلسطينية وحدة واحدة، هي في ذات الوقت تراعي الخصوصية المكانية، باعتبارها ضمانة للحفاظ على الشخصية الوطنية التي ما زالت تكابد وتتحدى وتقدم الأجوبة اليومية لأسئلة الحاضر والمستقبل، في مواجهة المشروع الصهيوني القائم على الاحتلال والتذويب والإبادة. فلا بد من مواصلة الإضاءة والتنوير على المسألة الثقافية (القلقيلي، 2004، ص:1) والاجتماعية ذات الخصوصية الفلسطينية.

الذاكرة الجماعية هي النمط الحاسم لسيرورة المعرفة، بهذا المعنى هي ليست مجرد حالة من الإبداع الخيالي الهادف لتحقيق عناصر التوازن الحضاري المفقود وتجسيدها، بل إضافة لذلك فهي تشكل قيمة حقيقية واقعية انطلاقاً من وظيفتها المميزة، القائمة في المحافظة على العادات والقيم والمعتقدات. (دكروب، 1984، ص:120).

فالذاكرة الجماعية تمتلك القدرة على التأثير في التاريخ والكيفية التي يتناول فيها التاريخ الماضي، وخاصة تلك المحطات التاريخية التي تستهوي الذاكرة الجماعية، وبالتالي فإنه يمكن لهذه الذاكرة أن تتدخل في صياغة بعض الأحداث التاريخية، بالشكل الذي يناسب المضمون الفكري والسياسي والأخلاقي لتلك الذاكرة.

ويبقى حق العودة هو الأساس في ذاكرة الفلسطينيين الذين يعيشون الشتات والتهجير، كما أنّ حق العودة يحتاج إلى ثقافة خاصة به، ليورّث من جيل إلى جيل، ولعلّ من أشكال تلك الثقافة الناجعة: التواصل بين الداخل والخارج، في شكل جهود دؤوبة وصادقة وشعبية، ممّا يعطي نتائج إيجابية.

من جانب آخر نسجّل، وبوضوح، عملية الاندماج الاجتماعي الذي عاشه الشعب الفلسطيني في عدّة بلدان عربية، وهنا نخصّ بالذكر البلاد التونسية، فرغم الاختلاف في

العادات والتقاليد حصل الاندماج وفق بعض التشريعات والقوانين.

فالإندمـــاج الاجتماعي هو الـــذي يتكامل فيه أعضـــاء المجموعة الواحـــدة من حيث الوظائف التي يؤدونها لبعضهم البعض، مثلهم في ذلك مثل تكامل الجســـد السليم في أداء وظائفـــه، وبعبارة أخرى فإنّ الاندماج الاجتماعي يمكن أن نعرّفه بأنه الإدغام، أو هو تماثل واتساق في الفكر والعمل بين الأفراد. (بلقاسم، 2015، ص: 6).

إضافة إلى أنّ قضية اللاجئين والنازحين تكتسب، جرّاء الصراع العربي الإسرائيلي، أهمية خاصة من عدّة جوانب، ولا تقتصر على بعدها الإنساني، بل هي قضية شعب شرّد قسرًا من أرضه تحت وطأة الســـلاح والقتل والتدمير للمنازل والأراضي. ناهيك عن كونها أصبحت محورًا رئيسًـــا ورمزًا لا يمكن المساومة عليها في نضال الشـــعب الفلسطيني، الذي استطاع أن يحيي هذه القضية في المحافل الدوليـــة والإقليمية والعربية، ونجح فعلاً في إخراجها من إطارها، كونها قضية عربية وإســـلامية فقط إلى قضية دولية لها حضورها الفعّال في المحافل الدولية (الجبوري، ، 2008، ص: 37-53).

فمع الحرب الأخيرة نلاحظ أنّ المحتل يزداد بطشـــاً، ويزداد وحشية، أمام صمت عربيّ رهيب جدّاً ولا مبرّر له سوى إثبات فرضية أنّنا في زمن الفردانية بامتياز ولا غير. وعليه فإنّ مـــا يحدث هو عبارة عن ضرورة مؤلمة، بالمعنى التاريخـــي يعني هناك احتلال وتفاصيل غير معهودة في بشاعتها، وأنه من الحتمية أن يطرد هذا المحتل، أي أن تتحرّر الأرض.

وتتعـــدّد القراءات حول هذا التوحّش في صورته غير المعتـــادة، فالبعض يرى أنها دليل على قرب نهايته، وفنائه؛ ذلك أنّ المسألة الفلسطينية، بشكل عام، لا تُفهم إلا إذا أدرجت في سياق عام، وهو: نظام عام رأسمالي مهيمن، صنع أو أوجد محمية عسكرية أو معسكر محميّ لحمايـــة مصالح القوى الإمبريالية في منطقة الشرق الأوســـط، مقابل ذلك، لكي يحمي هذه المصالح يجب أن يحمى، فهو إذن محمية حامية.

وتطور الأوضاع وظهور نوع من المقاومة التي يبدو أنها فاجأت هذا المحتل، بل فاجأت

كل العالم، بفعلها وبما قامت به، واجهها المحتل بوحشية غير مسبوقة وكأنّه يريد أن يشعر الآخرين أيضاً وليس فقط الفلسطينيين، بل الآخر بصفة عامة بقدرته على شنّ حرب في أبشع صورها، كما نراها اليوم ويراها كل العالم عبر الإعلام المجتمعي، وليس كالمعتاد. اليوم هي حرب من نوع آخر، حرب يتابعها الجميع في كل ركن من هذا العالم كل تفاصيلها وحيثياتها من قتل، وتهجير، وموت، وهدم منشئات ومنازل، وجامعات، ومستشفيات، كأنها أحداث قصة-رواية- فيلم ملطخة بدماء الفلسطيني من إخراج محتلّ إسرائيلي.

كما وأنّنا سجّلنا، ولاحظنا جميعاً، هبّة غير مسبوقة من العالم، في شكل تظاهرات خاصة بالجامعات، بالأساتذة، بالطلاب، في الدول العربية وحتى الأوروبية وأيضاً جامعات بأمريكا، لولا ذلك لكنّا نتحدث اليوم عن عالم يبرّر القتل ويبرّر الوحشية ويبرر الإبادة، باستثناء هؤلاء؛ لأن العالم في الجهة الأخرى -الرسمية والحكومية- معظمه يصطف إلى جانب القاتل وليس إلى جانب القتيل.

هو مشهد تراجيدي، بالمعنى اليوناني القديم، يعني هناك مشهد، هناك رقع تجري فيه الأحداث، وهناك مشاهدون على المباشر، ومتفرجون في مدرج بمسافات مختلفة من هذا المشهد، وهناك من لا يريد أن ينتهي هذا المشهد؛ لأسباب كثيرة منها الجيوسياسي، والمصالح الخاصة وغيرها، لكن الجانب المؤلم أو المأساوي في هذه التراجيديا، هو المتفرّجون العرب، في حين أنه -وهذه قناعة- من هؤلاء العرب من أراد إسدال الستار على هذا المشهد، يعني وقف الحرب، وهذا معلوم ونقرأه بين سطور كل القراءات العلمية والسياسية والعسكرية وحتى الأمنية، التي برزت مع الانتفاضة الأخيرة، انتفاضة الأقصى، والتي نعيش أحداثها وآلامها ومخاضها العسير إلى يومنا هذا.

في السبعينيات أو الستينيات كان الصراع يسمّى الصراع العربي- الإسرائيلي، وهذا النعت جعل الرأي العام العربي والأوروبي والأمريكي ينظر إلى إسرائيل وكأنها الضعيفة المحاطة بـ (21) دولة، والمهددة في وجودها، وهناك إرادة لرميها في البحر. بعد ذلك، أصبح

الصراع الفلســطيني -الإسرائيلي وكأن الفلسطيني جعل من القضية خاصة به فقط، وليس بكل العرب، ليتدبّر أمره بنفسه في مواجهة العدوّ، وتقرير المصير. لكن اليوم، أصبح الصراع إسرائيلي مع كل جزء من الأجزاء الفلســطينية، بانفصال نسبي عن الأخرى، وكل نوع من الصراع فيه إحالة إلى مرحلة من مراحل القضية الفلسطينية.

كما أنّنا نشهد هذه الأيام ما يلفت للانتباه مع هذا الصراع، وهو أن الشباب والطلاب في العالم أجمع رفعوا العلم الفلســطيني، كما لم يرفع أي علم في العالم، وهذا الوعي المستجد قد يحدث تغيّراً كبيراً لأنه مرتبط بجيل كامل، انه هذا الجيل الصاعد الذي سيحكم قريبا، طلبة ســيحكمون سياسيا في الفترات القادمة، ســيكون القرار السياسي بين أيديهم، سيحكمون بلدانهم سياسياً، سيقررون السلام الذي ينادون به الآن في الساحات العامة، وفي الشوارع، رافعين العلم الفلســطيني مناصرة للحقّ والعدالة واسترداد حقوق المظلوم ومحاسبة الظالم على ما فعله.

مــع العلم أنّ الطالــب الأوروبي أو الطالب الأمريكي ليس أكثــر معرفة ولا وعياً ولا إحساساً بما يحدث، لكن الشباب العربي، وحتى الفئات الشعبية، محاصرة نوعا ما؛ لأن حرية التعبير في الفضاءات العمومية شبه ممنوعة أو مراقبة، باعتبار -ضمنياً- أن الفضاء العام هو ملك للســلطة. كما أن فكرة الرأي العام في العالم العربي، بشكل عام، ليس له أهمية، لأنه لا يُأخذ بعــين الاعتبار، هو له وزنه ويؤثر في القرار الســياسي في بلدان أخرى «ديمقراطية»، لكن في البلدان العربية المبدأ معروف «صِح كما شئت، اصرخ كما شئت، وأنا أفعل ما أشاء». هي مسلّمة عربية طرفاها الحاكم والمحكوم.

الملاحظ أيضــاً أن المصطلحات في هذه الحــرب قد تغيرت، فلا توجد تســمية بريئة، وهذا هو دور الإعــلام المتراوح بين نشر الحقيقة وبين تزييفها لأغراض خاصة، ففي بعض القنوات الإعلامية يقال طوفان الأقصى، يقال الشــهداء، يقــال ارتقوا إلى مثواهم الأخير، وقنوات أخرى تضلل الحقيقة بأن لا شهداء مثلا ولا قتلى، هو فرق متعمّد ووليد سياسات

خاصة. فالتسميات والمصطلحات مهمة، بأن نقول مثلاً هناك احتلال، هناك قتلى، هناك مقاومة، لأن لذلك تأثير كبير على الناشئة مثلاً في معرفة الحقائق دون تزويرها، ما يخلق جيلًا بل أجيال عربية واعية بكل حيثيات القضية الفلسطينية كقضية عربية بدرجة أولى ودولية بدرجة ثانية.

ثانياً: العلاقة بين فلسطين وتونس: ترابط أبدي تجاوز الرمز

كان الدعم الرسمي والشعبي للقضية الفلسطينية، على الأصعدة كافة، واضحاً لسنوات طوال، بما فيها السياسي والمالي والأكاديمي؛ إذ قدمت العديد من المنح الدراسية لأبناء فلسطين، بالإضافة إلى انخراط العديد من التونسيين في المقاومة الفلسطينية بمختلف فصائلها، كما أنّ الدولة التونسية عملت على تناول القضية الفلسطينية وتدريسها في المناهج الدراسية التونسية.

على اعتبار أنّ أغلب الدراسات تؤكد بأنّ الاندماج في المجتمع يمكن أن يتحقق عندما توفر الدولة المضيفة التسهيلات للحصول على مستوى معيشي يلبّي مطالبه الاجتماعية والثقافية، وعندما يتمكن الاسهام في اقتصاد الدولة المضيفة بما يتلاءم مع ثقافته ومهاراته (أبو جابر، 2002، ص:130).

وتتضح لنا طبيعة العلاقة بين الدولة التونسية والقيادة الفلسطينية من خلال فتح تونس أبوابها لمنظمة التحرير الفلسطينية، بعد أن فرض عليها الخروج من بيروت، وكان لحفاوة الاستقبال الرسمي والشعبي أثر كبير في تغيير نفوس الفلسطينيين وعائلاتهم مما وجدوه في نفوس التونسيين من حب للقضية الفلسطينية. ولا تزال صورة الاستقبال في ذاكرة الفلسطيني ولم يشعر أحد من الفلسطينيين، منذ قدومه إلى تونس، بأي ضغوطات من قبل الدولة؛ فقد عملت على منح كل التسهيلات للفلسطيني، وزادت اللحمة بين الفلسطيني والتونسي حينما حطت الغارة الإسرائيلية في حمام الشط، لتنفيذ عمليتها العسكرية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية، ما أدى إلى استشهاد عدد من المقاتلين الفلسطينيين والتونسيين

الذين كانوا يحرصون المنظمة آنذاك.

ولم يتأخر رد الفعل التونسي عن التحرك بقوة على المستويين السياسي والدبلوماسي، حيث أحدث واقعاً كبيراً بالمنتظم الأممي، وحقق أول إدانة صريحة في مجلس الأمن لإسرائيل، كان لها الأثر الملائم على صعيد تفعيل القضية الفلسطينية، وحثّ الدول الراعية على إقامة أرضية للتفاوض الفلسطيني الإسرائيلي (فرج، 2007، ص:25).

مدينة حمام الشط، تلك المدينة التونسية الهادئة التي تقع في الضاحية الجنوبية للعاصمة على بعد حوالي (22) كيلومتراً، ترقد اليوم بها جثامين فلسطينيين وتونسيين في مقبرة خاصة، وتمتزج أرضها بدمائهم إلى الأبد، نتجت عن أعنف قصف تعرضت له تونس في تاريخها من طرف طيران أجنبي. يعود تاريخ الحادثة إلى يوم الثلاثاء 1 أكتوبر/ تشرين الأول من سنة 1985، عندما كانت القيادة العامة لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي أجبرت على النزوح من بيروت باتجاه تونس عقب اجتياح اسرائيلي سنة 1982، تستعد لعقد اجتماع بإشراف الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات. إذ تمكنت المخابرات الإسرائيلية، التي قرّرت تعقب القيادات الفلسطينية التي استقرت في تونس، بطريقتها الخاصة، من رصد هذا الاجتماع ومعرفة تفاصيله كافة، ولذلك قررت مهاجمته؛ بهدف القضاء على قيادات المنظمة وعلى رأسهم رئيسها ياسر عرفات، إلا أنّ قرار تأجيل الاجتماع أفشل خطتها.

هكذا، فإنّه يصعب الجزم بتميّز التزام مواطني بلد عربي ما بالقضية الفلسطينية أكثر من مواطني بلد عربي آخر. فحسب الاستطلاع السنوي لسنة 2023 للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فالرأي العام العربي شبه متوافق بنسبة 76 % على أنّ القضية الفلسطينية هي قضية كل العرب وليست قضية الفلسطينيين فقط، وهو موقف الرأي العام التونسي بزيادة 10 % عن المعدّل العربي أي بنسبة 86 %. كما يرفض 84 % من الرأي العام العربي اعتراف بلدانهم بإسرائيل، لكن يتعزّز رفض التونسيين بزيادة عن المعدل العام أيضاً ليبلغ 90 % (عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تونس، في علاقة بقضايا الرأي

العام وعملية الاستطلاع السنوي لسنة 2023).

إنه تقــارب وليس تميّز، هو توافق وليــس تعارض، لكن تبقى العوامــل الكامنة وراء ذلك، سياســية أو مجتمعيــة أو لها صلة بالمصالح الخاصة لبلد دون غــيره، نحن أمام قضية عربية فلســطينية، لكن دولية بامتياز تدار بعقول شبابيّة طلابيّة، مكتسحة للميدان، وتنادي بالسلام لغزة، لفلسطين ولكل العالم بل للإنسانية جمعاء.

ثالثاً: القدس في مناهج التعليم ما قبل الجامعي: حضور يقتضي التعزيز والتحيين

تشكّل المدرســة أو المعهد الحجر الأساس في بناء شــخصية الطفل والمراهق والشاب، من خلال برامجها ومناهجها التعليمية، بما تشــتمل عليه من منطلقات وتســعى إلى تحقيقه من أهداف، في بيئة اجتماعية وتربوية مناســبة لنمو الفرد نفسياً واجتماعياً ومعرفياً، فلا أحد يســتطيع تجاوز أهمية دور المدرسة في بناء شــخصية الطفل والفرد والطالب والمراهق، بل المتعلّم عموماً.

فتعرّف المدرســة على أنها تلك الخلية الأساسية في النســيج التربوي وهيكلاً بيداغوجيا قائماً بذاته، وهي تعمل كذلك على المحافظة على الذاكرة التربوية وإحيائها وتعريف الناشئة بها، إضافة على وظائف التربية والتعليم والتأهيل.

إنها بناء أساسي من أبنية المجتمع وأعمدته أوجدها لتقوم بتربية أبنائه وتنشئتهم وصبغهم بصبغة مستظلة ومسترشدة بالفلســفة، وبالنظم التي رسمها وحدّدها بدقة متناهية. وتتأثر بكل كبيرة وصغيرة تجري في هذا المجتمع وتخضع للدوافع والمواقف الســائدة فيه والمسيّرة له (ابراهيم، 1996، ص:11)، وكذلك تتأثر بكل ما يحدث على المستوى الدولي والعالمي.

فهي في وضــع تمثل للمجتمع، ولهذا فعلاقاتها مع النظــام الاجتماعي وقوانين المجتمع وثيقة الصلة، شديدة الارتباط وتظهر هذه العلاقة في تعاون الأسرة مع المدرسة وبهذا تصبح المدرســة مركز إشــعاع ثقافي وتثقيفي في مجتمعها المحدود والمجتمع الأكبر من حولها. كما

تصبح المدرسة مركزًا أساسيًّا لتنمية المجتمع وتقدمه وتطوره (ابراهيم، 1996، ص:12)، وحتى إلمامه بكل ما يحدث من حوله أمنيّاً وسياسيّاً، كيفية مساندته وكيفية ترجمة إنسانيته في قوانين وسياسات، أو حتى في شكل برامج ومناهج تعليمية تعمل على خلق جيل واعٍ بكل ما يحدث في العالم، ليكون واعياً مبادرًا وحاملاً راية السلام ومساندة المظلوم أمام الطعن في الظالم ووصمه بجرائمه المتتالية في حق الإنسان والإنسانية.

والمدرسة، بالتالي، الأداة والآلة والمكان التي بواسطتها ينتقل الفرد من حياة التمركز حول الذات إلى حياة التمركز حول الجماعة. إنها الوسيلة التي يصبح من خلالها الفرد إنسانًا اجتماعيًّا وعضوًا عاملًا وفاعلاً في المجتمع (ابراهيم، 1996، ص:13).

وعليه، فإنّ المدرسة التونسية أو المعاهد التونسية، كانت ولا زالت، حريصة من خلال مناهجها التعليمية على إنشاء جيل -بل أجيال- واعية مؤمنة بالقضايا الإنسانية، متمتعة بالحقوق، ملتزمة بالواجبات، راعية للآخر الذي يحتاجها في إطار القانون، حاملة رسالة سلام دائم على المستوى الوطني أو الدولي. وفي ذات السياق، معلوم أنّ القضية الفلسطينية تحتلّ حيزا مهمًّا في وجدان التونسيين وتربطهم بها صلة قوميّة ودينيّة متينة، يشتدّ هذا القرب ويتوهّج ويقوى، كلّما تجدّد العدوان الإسرائيلي على هذه المنطقة العربيّة المحتلّة، ذات المقام المقدّس الجليل في النفوس والأذهان التونسية وكذا العربية.

فالتعدّي على الحق الفلسطيني لا يقتصر على العدوان العسكريّ الذي بلغ ذروته بعيد عمليّة طوفان الأقصى، إنّما يتخطّى ذلك في فترات التهدئة إلى ألوان من التطبيع، فبالآلة الحربيّة يقتّل الصهاينة الأطفال والنساء والشيوخ والفتيان وكذلك تهدّم الجامعات والمباني والمؤسسات والمدارس والمستشفيات، وبالتطبيع يعدم المحتلّ الذاكرة وكلّ توق إلى التحرّر والثأر واسترداد الحقوق المسلوبة أمام صمت عربيّ مخجل.

ولا شكّ في أنّ أجساد الفلسطينيين وأرواحهم في أمسّ الحاجة إلى سواعدنا وعقولنا وأموالنا ومهاراتنا مساعدةً وإسعافاً وإغاثةً، لكن ذاكرة الحقّ الفلسطينيّ لا تقلّ حاجة

إلى الوقاية من التلف والتزييف والتضليل، وذاك أضعف الإيمان، فالنسيان آفة العلم وهو كذلك آفة الحقّ المسلوب، فالذاكرة الجماعية الفلسطينية تصبح ذاكرة جماعية عربية. ذلك أنّ الحقّ يحتاج إلى التوثيق والتسجيل في الكتب والمجلات، ويقتضي تحويله إلى مشغل ثابت قارّ في قاعات الدرس ومدارج المعاهد وكذا الجامعات، وهو ما يجعلنا هنا نتساءل عن مكانة القضيّة الفلسطينيّة في البرامج التعليميّة في تونس، منزلة القدس اليوم في المناهج والبرامج التعليمية.

لقد حظيت القضية الفلسطينية منذ النكبة سنة 1948 باهتمام كلّ شعوب الوطن العربي، واعتبرت قضيتهم المركزية، كما شكّلت أولوية في خطاباتهم السياسية والرسمية، فكان من الطبيعي أن تواكب البرامج التعليمية هذه التوجهات، ويقع تناول هذه المسألة ضمن برامج المواد الاجتماعية وبصفة خاصة مادة التاريخ، وقد اعتنت البرامج الرسمية والكتب المدرسية التونسية في هذا السياق، بهذه المسألة ونزّلتها في إطار نضالات الشعوب المستعمرة من أجل التحرر والانعتاق.

فالمحنة الفلسطينية والمقاومة يمكن أن يكون لها حضور في دروس التربية التشكيليّة، من خلال الصور الجادّة والكاريكاتوريّة، ولا شكّ في أنّ مادّة العربيّة كفيلة كذلك باستيعاب هذه المسألة القوميّة والإنسانيّة، من خلال نصوص من أجناس أدبيّة مختلفة ومتنوعة، كما يمكن تكييف نوادي الأدب والشعر والإبداع، بما يجعلها حاضنة للقضيّة، لكن لا بدّ أن نعترف بأنّ درس التاريخ يظلّ الأقدر على إبلاغ الرسالة وإبلاغ القضية بكل تفاصيلها.

صورة رقم (1):

لمحة عن مبادرات توعوية للتلاميذ في المؤسسات التربويّة، بمناسبة العودة المدرسية للسنة الدراسية (2025-2024)

صورة رقم (2):

لمحة عن مبادرات توعوية للتلاميذ في المؤسسات التربويّة والتثقيفية-التنشيطيّة، بمناسبة اختتام السنة الدراسية (2024-2023)

كما أنّه تتمّ، في المؤسسات التعليمية ما قبل الجامعية في البلاد التونسية، معالجة القضية الفلسطينية معالجة نقديّة علميّة، وهو ما لا يتعارض مع المواقف المبدئيّة المتصلة بالانحياز الصريح والمعلن للحق الفلسطيني، ذلك أنّ حضور القضية الفلسطينية في البرامج الرسمية لمادّة التاريخ مثلاً يستهدف جملة من القدرات التي تساهم في تعزيز الوعي بالقضية وأهميتها التاريخية والسياسية، ويمكّن المتعلمين (التلاميذ) من اكتساب معارف تتعلّق بالصّراع الصهيوني – الفلسطيني وتأثيره فى المنطقة والعالم. إضافة إلى ذلك الهدف الضمني، وهو التشجيع على تنمية التفكير النقدي والنقاشات البناءة حول حقوق الإنسان بصفة عامة، والعدالة الاجتماعية، وتعزيز الوعي السياسي لدى الناشئة بقضايا العصر، وأهمها القضية الفلسطينية، كقضية عربية ذات أولوية في التشخيص، وتمريرها للأجيال جيلًّا بعد جيل.

وعلى الرّغم من أنّ هذه البرامج والمناهج التعليمية صيغت في عهد النظام البورقيبي والنوفمبري (نظام الرئيس بن علي ما قبل أحداث 2011)، فلا يمكن الحديث عن وجود تطبيع في البرامج التعليمية التونسية، فالتسلسل الزمني للقضية وتحليل الأحداث والبحث في جذورها، قد تمّ وفق منهجيّة علميّة، اتّسمت بالموضوعية والنزاهة في إطار معرفة مدرسيّة خاضعة للنّقل التعلّمي، تراعي عدّة جوانب، أهمها: القدرات المستهدفة بالتدريس، مستوى المتعلّمين، ملامح المتخرج وغايات النّظام التّربوي التّونسي، ومؤكد أنها تختلف عن المعرفة الأكاديمية المفتوحة والمحيّنة، لكنّها تبقى في كل الأحوال بعيدة كلّ البعد عن شبهة التّطبيع.

منذ 2011 إلى اليوم، أي منذ تاريخ اندلاع الثورة التونسية في كانون ثاني 2011، نؤكد بأنّ برامج التاريخ المعمول بها حالياً تمّت صياغتها في عهد النّظام السّابق (العهد النوفمبري)، مع بعض التحويرات الطفيفة في إطار ما يسمّى بـتخفيف البرامج، ولم تتم مراجعتها على الرغم من مرور أكثر من 10 سنوات على اندلاع الثورة، باستثناء بعض التعديلات الجزئية التي أدخلت على هذه البرامج، فرضتها جائحة كوفيد 19 (كورونا)، والتي تواصل العمل بها إلى حد الآن في إطار ما يسمّى منذ سبتمبر/ أيلول 2021 بـ«الصيغة الخاصة»، وتمثلت هذه التعديلات في حذف بعض الدروس من البرامج الرسمية، لكن هذه العمليّة لم تؤثر في

مسألة تناول القضية الفلسطينية وتواتر الدّروس الخاصّة بها ضمن هذه البرمجة.

خلافاً لذلك، ما يذكر بكل حيادية هو أنّ تناول القضية الفلسطينية يشوبه بعض التقصير الكمّي والنوعي والمهني أحياناً، فهي تُدرّس في مادّة التّاريخ بالنّسبة إلى ثلاثة مستويات فقط تهمّ المرحلتين الإعداديّة والثانويّة.

فالمستوى الأوّل، وهو في السنة التاسعة من التعليم الأساسي، تحديدا في المحور الثاني، الذي يتناول بالدرس أهم التطورات التي عرفها العالم والبلاد التونسيّة، خلال الفترة المعاصرة، حيث تدرج القضيّة الفلسطينية في الدّرس الثالث ضمن محور «العالم بعد الحرب العالمية الثانية»، وتأتي مباشرة بعد أن يتعرض التلميذ إلى درس تحرر الشعوب المستعمرة، كما تنصّ التوضيحات على دور البرامج في شأن هذا الدّرس على ضرورة الإشارة في المقدمة إلى «جذور القضية الفلسطينية»، ثم يتمّ التطرق فيما بعد إلى»المراحل الكبرى من 1945 إلى اتفاقية أوسلو وذلك بالاعتماد على سلم زمني، علما بأنّ التطرق إلى المسألة يعني أن العملية التعليمية مغلقة تفرض على الأستاذ التقيّد بها بدون زيادة أو نقصان.

أمّا **المستوى الثاني**، فهو الذي يتصل بالسنوات الثالثة ثانوي (شعب علمية)، في إطار دراسة أزمات القرن العشرين وتحولاته، إذ ترد القضيّة الفلسطينيّة في الدّرس الرابع والأخير من البرنامج، وتنصّ التوضيحات على التّركيز على «الأطوار الكبرى من الانتداب البريطاني إلى اتفاقية أوسلو».

العملية التّعليمية، بالنّسبة لهذا المستوى، مفتوحة تعطي مجالاً للمدرّس كي يتصرف في المحتوى مع التّركيز على الأطوار. لكن المؤسف هنا أنّ هذا الدّرس لا يتناوله إلّا قلة من المدرسين، ممّن يحرصون على إتمام البرنامج الرّسمي في الآجال، باعتباره الدّرس الأخير في البرنامج.

في حين أنّ **المستوى الثالث**، والذي يخصّ السنوات الرابعة ثانوي (شعبة الآداب)، فتدرّس القضيّة الفلسطينيّة ضمن تاريخ العالم المعاصر بعد 1945، محور»تحرّر الشّعوب

المســتعمرة» في الدّرس الّثالث، وتنــصّ التوضيحات المتعّلقة بهذا الــدّرس على ضرورة الإشارة إلى «جذور القضية الفلســطينية مع التّركيز على «المراحل الكبرى من الانتداب إلى اتفاقية أوسلو.

هكذا، فإنّ القضية الفلســطينية تُدرّس في البلاد التونســية ضمن نتائج الحرب العالمية الأولى أو في علاقة بمحور تحرر الشعوب المستعمرة من أجل الاستقلال، ويتمّ التركيز فيها بالخصوص على مسألتي الجذور والأطوار والمنعرج الذّي اتّخذته القضيّة بعد الحرب العالميّة الثّانية.

كما أنّ البرامج الرســمية عموما، لا تركّز كثيراً على القضية الفلسطينية، وتدرّس في مادّة التاريخ بالنسبة إلى ثلاثة (03) مستويات فقط تهمّ المرحلتين الإعدادية والثانويّة.

عموماً، يمكننا التأكيد على أنّ البرامج الرسمية لا تركّز كثيرا على الموضوع الفلسطيني، خاصة بعد حذف المحور المتعلق بتاريخ المشرق العربي، الذّي يحيل مباشرة على جذور هذه القضيّة، كذلك على الرغم من التشــابه بين برنامجي شعبتي الآداب والاقتصاد (مع فارق في عدد حصص تدريس المادة) يعفى تلاميذ هذه الشّــعبة من دراســة هذه المسألة، في الوقت الذّي ســجلت فيه القضيّة الفلسطينيّة حضورها المهم واللافت للانتباه في الثورة التونسية، من خلال رفع العلم الفلســطيني في المسيرات الشــعبية والشعارات المرفوعة، التّي تعكس تبنّي الرأي العام التّونسي للقضيّة الفلســطينيّة، ومســاندته لها وتعاطفه معها، بالإضافة إلى حجم حضور القضيّة في الخطاب الرّسمي بعد الثورة؛ لأنّ الطريق إلى فلسطين يمرّ حتما عبر التحــوّل الديمقراطي في أغلب الدّول العربية؛ نظراً للعلاقة المتلازمة بين التطبيع والأنظمة المستبدة، وتلقّي الدّعم من جميع أحرار العالم.

كما أنّ القضية الفلسطينية موجودة في الامتحانات الوطنية؛ لأنّ إدراجها يساهم في تعزيز الفهم والوعي السياسي والتاريخي لهذه المسألة، كما يعكس التزام المنظومة التربويّة التّونسيّة بتوفير تعليم شــامل يتناول القضايا الدوليّة الهامّة. كما أن طرح مواضيع تهمّ هذه القضية في امتحان وطني من شأنه أن يعزز الوعي بأهمية هذه القضية وتحدياتها الراهنة والمستقبليّة.

فبين سنة 1998 وسنة 2023 طرحت القضية الفلسطينية أربع مرّات في امتحان البكالوريا (1998 بالنسبة لشعبتي الآداب والاقتصاد والتصرف، 2012 و2018 و2022 بالنسبة لشعبة الآداب)، وكثيرًا ما تثير المواضيع المطروحة جدلاً في صفوف الأساتذة نظراً لحساسيّة المسألة.

ذلك أنّه بالارتقاء في هذه الامتحانات الوطنية يكون التوجه للصفوف الجامعية، ليكون التلميذ آنذاك مشروع طالب جامعي واعٍ ومهتم بقضايا مهمّة وعربية كالقضية الفلسطينية، وما مرّت به من مراحل وتحديّات إلى حد يومنا هذا.

لكن في السنوات الأخيرة، أصبح هذا الحضور يقتصر على امتحان البكالوريا فقط بالنسبة إلى شعبة الآداب، بعد أن تمّ حذف مادتي التاريخ والجغرافيا من مناظرة الدخول إلى المعاهد النموذجية بالنسبة إلى تلاميذ السنوات التاسعة أساسي.

هكذا فإنّ وجود القضية الفلسطينية في المناهج والبرامج التعليمية التونسية هو حتمية تعليمية منهجية منذ القدم، وبرغم تغير الأنظمة السياسية، ورغم وجود عدّة تحولات سياسية عاشتها البلاد، جاءت محمّلة بعدّة تغيرات جذرية في المناهج العامة لسير القطاعات الكبرى، فإنّ مسألة إدراج القضية الفلسطينية والقدس في المناهج التعليمية، كانت تلك المسألة التي لا ولم ولن تغيّر ولا تحذف، لكن هو وجود ينقصه التحيين، هو وجود يتطلب أهمية أكبر من خلال الترفيع في ساعات تدريس محور القضية الفلسطينية مثلا، هو إدراج للقضية يتطلب منهاجًا واضحًا محايدًا وموضوعيًّا في طرحه؛ لأنها تمرّر إلى ناشئة ستحمل القضية، اليوم وغداً، وستعمل على تمريرها للأجيال اللاحقة لها، هي قضية فلسطينية، عربية ودولية-إنسانية، تتطلب الإيمان بها قلبًا وقالبًا، ثمّ تمريرها، جيلًا بعد جيل. لذا، يجب تحيينها في مناهج التعليم والبرامج التعليمية اليوم.

الخاتمة

إنّ دعم الدوّلة التونسيّة وشعبها المتواصل للقضيّة الفلسطينية قد أعطى صورة مشرفة لشعب يتطلع للكرامة والانعتاق، وهو ما يعكس وجود انسجام بين الجانبين الرسمي

والشـــعبي في مناصرة حق الشـــعب الفلســـطيني في إقامة دولته وتحريـــر أراضيه كافة من الاحتلال، هذا الدّعم يجـــب أن يترجم في أقرب وقت إلى إجراءات عملية، من بينها: تمرير مشروع «تجريم التطبيع»، وضرورة تعزيز إدراج القضية الفلسطينية في برامج التاريخ وبقية المواد الاجتماعية والإنسانية كالتّربية المدنيّة، والفلسفة أيضاً. فذلك هو السبيل الأمثل حتى يتمكن المتعلمون من إدراك معنى الظلم والقهر الذّي يتعرض له الشعب الفلسطيني، وهذا من شأنه أن ينمّي لديهم التشبث بقيم العدالة والمساواة، ويشجعهم على المشاركة الفعالة في المناقشات السياسية، ويطوّر وعيهم التاريخي والسياسي، بدل اللّامبالاة المجتمعية.

ثمّ إن التزام تونس بدعم القضية الفلسطينية، وتعزيز الوعي الثقافي والتاريخي للأجيال القادمة، من شـــأنه أن يولّد لديها الشعور بالمسؤولية تجاه هذه القضية، مما يساهم في تشكيل جيلٍ واعٍ ومستعد لتحمل دور إيجابي في بناء عالم أفضل وأكثر عدالة.

وحول تطوير منهجية تناول القضية الفلسطينية، يجب وقف التركيز على الجانب الكرونولوجي في تدريس القضية فقط (التّركيز على الأطوار والمراحل)، فهو لا يشجّع كثيرًا المتعلّمين على البحث والتّفكير النّقدي حول الصّراع الإسرائيلي الفلسطيني وتداعياته، لذا يتعين على البرامج مستقبلًا، الإلمام بمختلف الجوانب التّاريخية والسياســيّة والاجتماعيّة للقضيّة، ممّا يساعد الناشئة على تطوير مهارات البحث والتّحليل وفهم القضايا الدوليّة بشكل أفضل.

كـــما يمكن الإقرار بأنّ حضور القضيّة الفلســـطينيّة في برامج التّاريخ بالبلاد التونســـيّة يعكس التزام المنظومة التربويّة التونســـيّة بمعالجة القضايا الإنسانيّة العادلة، وهذا من شأنه أن يدعم اهتمام النّاشـــئة بالأحداث التاريخية والسياســـية الكبرى في العالم، ويوفر الفرصة للمتعلمين لدراسة هذا الصّراع وفهمه المعقّد، ويعزّز مشاركتهم المستقبلية في تحقيق العدالة والسلم في المنطقة وفي العالم.

ومن المهـــمّ أيضًا، ونحن بصدد مراجعـــة البرامج التعليمية، أن نطـــوّر الجهود في هذا الاتجاه لضمان حضور القضيّة الفلسطينيّة في برامج التاريخ بشكل أنسب في جميع المستويات الدراسيّة.

توصيـــات البحث

هكذا، يخلص بحثنا إلى مجموعة توصيات، ارتأينا بأن اتباعها وتطبيقها سيكون ذو أهمية كبيرة لمزيد إدراج القدس والقضية الفلسطينية، بكل أطوارها ومراحلها، في برامج ومناهج التعليم ما قبل الجامعي في البلاد التونســية، وربّما ذات التمشّي يطبّق في باقي الدول العربية، لأن بتشابك المناهج التعليمية وتماثلها وبتشــابك الآراء والمواقف، نكون قد حقّقنا الهدف الأول جرّاء هذه الحرب، وهو خلق ناشــئة مؤمنة بالقضية، وحاملة لرسالة القدس للعربيّ أينما كان؛ فالقدس يجب أن تكون محميّة بنا حامية لنا.

وهذه التوصيات هي كالآتي:

- توحيد مقررات التربية على المواطنة في علاقة بالقضية الفلسطينية كقضية أمة بأكملها، وليست قضية دولة بعينها، في كل الدول العربية.
- تقنين مسألة وجود القضية الفلسطينية في مناهج التعليم والتربية.
- العمــل، مع كل الناشــئة، على مزيد توعيتهــا بالقضية الفلســطينية، كل تفاصيلها وحيثياتها، منذ 1948 إلى يومنا هذا بعد طوفان الأقصى 7 أكتوبر 2023.
- ضرورة تحيين المعطيات المتعلقة بالقضيّة الفلسطينيّة، حتّى لا تقف عند حدود بعض الدراسات أو المواقع على الإعلام المجتمعي.
- ضرورة الأخذ بعين الاعتبار المستجدات العالمية والإقليميّة؛ لأنه، وبعد مرور سنوات عديدة على إبرامها، بدأت تبرز التداعيات الســلبيّة لهذه الاتّفاقية على الفلســطينيين وعلى السّــلم في المنطقة ككلّ. ذلك أنّ مسألة التّحيين هذه لا تهمّ القضيّة الفلسطينيّة فحســب بل كلّ برنامج التّاريخ بدون اســتثناء، فمن غير المعقول أن يتوقف تاريخ تونس المعاصر مثلًا عند حدود ســنة 1987، وتاريــخ العالم عند حدود نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي سنة 1990.
- على اعتبــار أنّ المظاهرات الداعمــة لغزة في الفترة الأخيرة كان لها دور أســاسي في

الدفع نحو مراجعة حضور القضية الفلسطينية، كمّيًّا ونوعيًّا، في المناهج والبرامج التعليمية، فيجب تحييين البرامج والمناهج التعليمية؛ لأننا أمام مرحلة تغيير جذري في أطوار القضية الفلسطينية، التي عادت بقوة إلى الواجهة الدولية.

- إن اختراق اللّوبي الصهيوني اليوم لوسائل الإعلام ولوسائل التواصل الاجتماعي وتبريره للقتل اليومي للأبرياء وتدنيسه للمقدّسات، جعل النّاس، وخاصة التلاميذ، ينبشون أكثر من أي وقت مضى في تاريخ القضية وفي جذورها وفي أسباب الصّراع العربي الصّهيوني، ويطرحون تساؤلات لن يجدوا الإجابة عنها إلّا في دروس التّاريخ، المؤهّلة أكثر من غيرها، للقيام بهذه المهمّة، فلهذا يجب أن تكون هناك مراجعة جذرية لما يقدّم من برامج تعليمية في مادة التاريخ ذات صلة بالقضية الفلسطينية وبكيفية تدريسها، من خلال المحتوى والساعات المخصصة للمحور ومنهج وبيداغوجيا تلقين الناشئة.

-التأكيد دائما مع الناشئة على أنّ طوفان الأقصى (2023) قد ساهم في التذكير بمركزيّة القضية بالنسبة للتونسيين، فهي حاضرة لدى مختلف الأجيال، وخاصّة منهم الشباب الذّي برهن على أن فلسطين قضيته أيضاً، وليست قضيّة الشّعب الفلسطيني فحسب، ومن ثمّ يصبح التّعامل مع الكيان الصهيوني بوصفه كياناً محتلًّا مستحيلًا، والتّطبيع معه أمرًا مرفوضَاً وغير مقبول على الإطلاق.

قائمة المراجع والمصادر

- ابراهيـــم، ناصر. (1996). **علم الاجتماع التربوي**، الطبعة الثانية، بيروت: دار الجيل، ص: 11، 12، 13.
- أبو جابر، إبراهيم. (2002). **مستقبل اللاجئين الفلسطينيين وفلسطين الشتات**. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ص.130.
- بلقاســـم، نور الدين. (2015). «الإدماج والاندماج المفهوم والدلالات والشروط الموضوعية». في «**الندوة العلمية الدولية الإدماج والاندماج الرهانات والاستراتيجيات والمرجعيات**، منصة المنهل الالكترونية ، ص: 6.
- بن فرج، المنصف. (2007). **ملحمة النضال التونسي الفلسطيني: الدولة الفلسطينية من خلال الغارة الإسرائيلية على حمام الشـــط**. تونس: مطبعة فنري، مركز البحوث والدراسات والتوثيق والإعلام حول المرأة (الكريديف)، ص. 25.
- الجبوري، قحطان عدنان أحمد. (2008). قضية اللاجئين والنازحين في الاتفاقات الفلسطينية- رؤية تحليلية. **مجلة مركز الدراسات الفلسطينية** -جامعة بغداد. العدد (01)، ص: 37-53.
- الجويلي، محمد. (1992). **الهوية والاندماج**. تونس: جامعة تونس، الطبعة الأولى، ص: 23.
- دكروب، محمد حســين. (1984). **الانثروبولوجيا: الذاكرة والمعاش**. بيروت: معهد الإنماء العربي، ص: 120.
- القلقيلي، عبد الفتاح. (2004). **الأرض في الذاكرة الفلســطينية**. فلسطين: المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين بديل، ص: 1.
- ياســين، مصطفى عدنان، وعطوان، فنار. (2010). التهجير القسري والأمن الإنســاني: دراســة اجتماعية للأسرة العراقية المهجّرة إلى ســوريا. **مجلة دراســات اجتماعية** تصــدر عن بيت الحكمة. العدد 23. ص: 6-43.

لوحة الحمام يطير – من أعمال الفنان اسماعيل شموط

سارتر وفلسطين
في الفكر العربي المعاصر

أ.د. أحمد عبدالحليم عطية

أستاذ دكتور الفلسفة في جامعة القاهر ورئيس تحرير أوراق فلسفية

قبل أن نتناول الموقف أو المواقف المختلفة التي اتخذها سارتر تجاه القضية الفلسطينية والتي أحدثت تحوّلًا جذريًّا في تعامل المفكرين العرب معه بسبب تردده وحياده، وتعاطفه وانحيازه إلى الموقف الصهيوني المغتصب لفلسطين، نستعرض الحماس السابق للمثقفين العرب تجاه صاحب فلسفة المواقف، الذي اختلطت في كتاباتهم حوله أمانيهم وطموحاتهم مع كتاباته وآرائه. ونتج عن ذلك صورة يمكن أن نسميها «**سارتر العربي**»؛ حيث ظهر سارتر فيما قدم عنه في العربية باعتباره صورة «**للضمير الإنساني**» و«**عاصفة على العصر**». ودبجت حوله المقالات وفتحت معه الحوارات وتوجهت إليه الخطابات وكثرت الدراسات وقدمت الملفات التي لا تحتوي فقط على فلسفته، بل على حماسنا الشديد لها وأملنا الكبير فيها. لقد ظللنا ما يقرب من ربع قرن نحيا مرحلة سارتر التي بدأت في حياتنا الثقافية بعد الحرب العالمية الثانية وسيطرت سيطرة طاغية على كتاباتنا حتى حرب يونيو/ حزيران 1967.

ويمكن استقراء ما حدث من فصله الأخير، حين نشر إبراهيم عامر مقالًا في مجلة

الهــلال كانون الثاني/ يناير «1968» بعنوان «**ما بعد ســارتر**»، وتعني هذه الدراســة –من حيث موضوعها وتاريخ نشرها– نهاية مزدوجة لفلســفة سارتر بظهور البنيوية وصعودها وتجاوزها للوجودية وســجالاتها المتعددة مع ســارتر، من جانــب، كما تعني توقف حماس المثقفين العرب بعد حرب يونيو/ حزيران 1967 مع إسرائيل، التي انحاز سارتر إلى جانبها بعد زيارته الشــهيرة لمصر في مارس/ آذار من العام نفسه من جانب آخر[1]، حيث توقفت أو قلّــت ترجمة أعماله واقتصرت على بعض كتاباته الفنية والأدبية، مما أدى إلى تحول الاهتمام به إلى الدراســة الأكاديمية البحت على أســاس أنه أصبح جزءًا من تاريخ الفلسفة بعدما كان جزءًا من الثقافة العربية الحية التي تسهم في صياغة فكر العرب الحديث ووجدانهم.

وهــذا يعني تميز مرحلتين في تعامل المثقفين العرب مع ســارتر وكتاباته ومواقفه يفصل بينهما التاريخ السابق، مرحلة تنامي أفكار الحرية والاستقلال والتقدم والعدالة الاجتماعية؛ التي لم تُؤســس في وعينا نظريًا، فكان سارتر بالنســبة لنا أملًا في تدعيم وبلورة هذه الرؤية وتوضيحها وتأســيس طريق الحرية والتقدم ومرحلة الهزيمة والانكســار وحساب ونقد الذات والغرب؛ الذي يعد ســارتر جزءًا منه، وكما يتخذ مواقف مؤيدة يمكن أن ينحاز أو يقــع تحت تأثير القوى الصهيونية، كما يتضح من كتاباتنا حوله، التي تعبّر عنّا مثلما تعبر عن فلسفته. سوف نتوقف أولًا عند مجموعة من الاستشهادات من الكتّاب العرب حول سارتر توضح لنا الصورة التي رسمت له في الوجدان والعقل العربي. ثم نعرض للمواقف العربية المختلفــة؛ المتعلقة بكتاباته ومواقفه من القضية الفلســطينية والمســألة اليهودية في الصراع العربي الإسرائيلي.

أولًا: صورة سارتر عند العرب:

I – «كلما كتب ســارتر يكتب عنه، وكلما زاد سعينا للإمســاك به انفلت، وها هو يحلق مثل طائر ثمل قضي عليه بأن يطير في الســماء مثلما حكم عــلى آخرين بأن يحفروا الأرض. هكذا كتب المغربي عبد الكبير الخطيبي بالفرنسية، لنستمع إلى ما كتبه تصويرًا لصدى مواقفه

فينا، يقول: «كان بعض قدماء المحاربين قد صاحوا خلال الستينيات في قلب الشانزليزيه «اعدموا سارتر» وذلك **لموقفه من القضية الجزائرية**[2]، **فمن منا لم يكن يحس في أعماقه بتضامن مع سارتر**؟ لقد كنّا نحلّق معه عندما يحلّق ونهيم عندما ما يهيم، يا لها من لذة؟ كانت تلك اللحظات الممتازة التي نستشعر فيها ذبذبة التاريخ في جسمنا تجعلنا نبذل ما يفوق طاقتنا. كم كان الفرح الذي يبعثه فينا هذا الوجد الثوري عظيمًا. أما الغرب مرتاح الضمير فكان يرتعد خوفًا. **إنه معنا ومنا يهزنا ويطربنا، وينشينا، تزيدنا مواقفه حماسًا ولذة**»[3].

وتحت عنوان «**نحن وسارتر**» صدر سهيل إدريس افتتاحية أحد أعداد مجلة الآداب البيروتية، والتي ساهمت مثلما أسهمت دار الآداب في التعريف بفلسفة سارتر وترجمة كتاباته، كما يتضح من «**رسالة إلى سارتر**» التي قدمها في العدد الخامس من الآداب «1965» وهو يرفق بهذه الرسالة نسخة من المجلة صدرت منذ حين، خصصت الصفحات الأولى منها للحديث عنه بمناسبة رفض جائزة نوبل. يقول له: «إن دار الآداب قد أخذت على عاتقها تعريف القراء العرب بمؤلفاتكم الحرة أعمق الحرية.

أما لماذا هذا الاهتمام الذي نجده لدى سهيل إدريس في هذه اللحظة؟ فإن تفسيره يتضح في أن العرب وجدوا في كتابات سارتر ما يعبّر عن معاناتهم وهمومهم. لقد كان من المفروض أن ينشأ لدينا بعد كارثة فلسطين أدب يعكس أوضاعنا وهمومنا ويعبّر عن أشواقنا لمحو هذه اللطخة من تاريخنا، ولكن أجيالنا الجديدة حين افتقدت هذا الأدب راحت تبحث في الآداب الأجنبية عما يعبّر عن قلقها وتمزقها وضياعها وآمالها كذلك، فوجدت هذا كله في الأدب الوجودي عامة وفي آثار سارتر خاصة»[4].

ولا يختلف ما كتبه الوجودي اللبناني عما كتبه الماركسي المصري أحمد عباس صالح في رسالة وجهها إلى سارتر على صفحات مجلة الكاتب القاهرية في العدد 72 عام 1967 اللهم إلا في أن الأول يرى في كتابات سارتر تعبيرًا عن معاناتنا الماضية والحاضرة والثاني يرى فيها وفي مواقفه مساندة لآمالنا الحاضرة والمستقبلة. وفي الحالتين هو يقوم **نيابة عنا**

في **وصف همومنا وتحقيق آمالنا**. يقول فيها: «ليس جديدًا عليك أن تعرف مدى تأثيرك في الثقافة المعاصرة، ولكن الذي قد تتردد في تصديقه هو أنك لمست شغاف القلب لدى المثقفين العرب... إن تأثيرك في هذا الوطن أعمق وأوسع من تأثير أي كاتب آخر»[5]. وما يضيفه عباس صالح يوضح شعورًا جماعيًّا بأن سارتر هو المفكر الذي ينتظره العرب، والذي سيحقق كل أمانيهم.

كان تعبير كتابات سارتر عن المعاناة، ومواقفه المؤيدة لنضال وكفاح الشعوب هما أساس خطاب المثقف العربي إلى سارتر مناشدة له من أجل تفهم القضية الأساسية التي تشغلهم في 1967 قضية فلسطين مما دفعهم إلى دعوته لزيارة القاهرة وكان قبوله لهذه الزيارة مصدرًا للسعادة التي تتضح فيما كتبه سهيل إدريس: «فهذه الزيارة تثلج صدور جميع المثقفين العرب..... وهذه الزيارة تحمل جانبًا آخر من الأهمية، هو ما يرتبط بإقناع سارتر بعدالة قضية العرب؛ قضية فلسطين»[6].

سرى حماس في كتابات المثقفين العرب، حيث اعتبر الروائي المصري يوسف إدريس في العدد 45 من مجلة الكاتب «1964» أن حادث العام الأدبي هو رفض سارتر جائزة نوبل فيما كتبه عن «**جائزة رفض الجائزة**». وأطلق عليه الناقد جلال العشري في مجلة الفكر المعاصر «**سارتر ضمير العصر**». لقد تكثف الحضور السارتري وبلغ ذروته في الشهور الأولى من 1967، حيث صار الحماس عامًّا بخطابات متعددة وتحليلات متنوعة تظهر العشق الذي سرى في الوجدان، والإقناع الذي ساد العقل تجاه أفكار سارتر. وندلّل على ذلك بمثالين، أولهما كتب بلغة أدبية شاعرية والثاني بلغة تحليلية منطقية.

إن ما أوردناه من استشهادات سابقة يوضح ما سمّاه زكي نجيب محمود «**الجاذبية العقلية**»، وسمّاه الخطيبي «**الوجد الثوري**»، وسمّاه عباس صالح «**لمس شغاف القلب**»، وسمّاه مجاهد عبد المنعم مجاهد «**العشق**»، وهو تعبير عن الحماس الذي سرى في كيان المثقفين العرب، والذي تبدّى في ترجماتهم له وكتاباتهم عنه أو حتى نقدهم لأعماله ومواقفه. ووجد

العرب أنه ربما يكون في فكر سـارتر، التحدي الذي كانوا يرجونه، فكان سـارترهم الذي شـغلوا به، ورسموا له صورة خاصة عبر مئات الدراسات التي قدمت عنه والتي أوجدت حالة ثقافية ندر أن توجد، اسـمها سـارتر، مما لخصه خيري منصور أدق تلخيص في العدد الثالث من «**الفكر العربي المعاصر**» تحت عنوان «**سـارتر والعـرب**» يقول: «لدى قراءة ما يكتبه مثقفو العرب عن سـارتر، نشعر كما لو أنه من اكتشـافنا، وقد لا نبالغ إذ قلنا إنه من صنعنا نحن. منذ اسـتضافته في مكتباتنا أو بلوغه هناك، وهو الأكثف حضورًا في شـؤوننا كلها في الأدب كما في السياسـة، في نمط السلوك كما في النوايا، إنه بهذا المعنى قرين مرحلة، ما إن يرنّ اسمه «ككعكة بروسـت» حتى تضاء ذاكرة جيل يجزم بأفضلية الماضي القريب، برصانة هذا الماضي وجديته على الأقل»[7].

والحقيقة أن اسـتقبال سـارتر في الفكر العربي المعاصر اتّسم بالحدة والجدال والصراع. وتلـك هي الملاحظة الواضحـة، فكما تحمّس المثقفـون العرب لأفكار الحريـة والالتزام والمسـؤولية، فإن هناك من وجد في الوجودية فلسفة رجعية، وكما ترجمت «**الوجودية نزعة إنسانية**» إلى العربية ترجمت أيضًا دراسة جان كانابا، «**الوجودية ليست فلسفة إنسانية**»، وكما ترجم ر.م.البريس «**سارتر والوجودية**» – الذي يعدّ كما جاء في الترجمة العربية وصفًا دقيقًا للفكر السارتري وفيه إنصاف له– ترجم أيضًا كتاب لوك لوفافر «**سارتر والفلسفة**»؛ الذي يواجه بدعة الوجودية ويقدم نقدًا لها، فمع الحماس كان النقد، وإن غلب الحماس، ومع هذا فإننا نستطيع أن نتبين أشـكالًا متعددة من النقد الفلسفي والديني والسياسي لعمل سارتر ودوافع متنوعة لهذا النقد، علينا أن نشير إليها ونحلل دوافعها.

ورغم أن عبـد العظيم أنيس يهاجم الوجودية باعتبارها فلسـفة اجتماعية رجعية؛ فهو يقصد فلسفة سارتر أساسًا، اعتمادًا على ما كتبه جارودي في فترة ماركسيته عن أدب المقابر، وهو يواجه ما كتب في مجلة «الكاتب المصري» منذ فترة هذه الفلسـفة، ويعرض للوجودية كفلسفة اجتماعية يتزعم شرحها والدفاع عنها سارتر الأديب والفيلسوف الفرنسي المشهور، الذي حين يتحدث عن الحرية لا يعني إلا الفوضوية في أجلى معانيها. ويرى أنيس أننا نفهم

موقف الوجودية من جذرين أساسيين للحرية والإرادة البشرية، ألا وهما العلم والتاريخ، فالوجودية تذكر كل محصول البشرية من التجارب في الماضي ولا تأبه به «يجب أن يبدأ الإنسان من اللاشيء» هكذا يقول سارتر.

وفي الفكر العربي المعاصر، هناك من حاول الربط بين «**سارتر والماركسية**» مثلما فعل جورج طرابيشي؛ الذي ترجم عددًا من أعمال سارتر، وذلك في دراسته التي تحمل عنوان «**سارتر والماركسية**» الصادرة عن دار الطليعة في بيروت 1964، والكتاب تعبير عن أزمة وتصوير قلق وحيرة جيل الستينيات في البحث عن أساس نظري للاشتراكية العربية، تلك التسمية التي أشار إليها المؤلف أكثر من مرة في المقدمة حين يقول: «كنا نشعر أن الأرض غير ثابتة تحت أقدامنا. كنا نشعر أننا دون نظرية. وكانت النظرية الاشتراكية الوحيدة الممكنة آنذاك تومي إلينا بالخوف. وحين أخذنا بالقراءة لم نقرأ لكي نكون اشتراكيين فعلًا، بل لنستطيع الوقوف في وجه الماركسية المرعبة[8].

ومن خلال هذا الجو الحذر والحيطة من الماركسية اكتشفنا سارتر. وكان سارتر في هذه اللحظة بالنسبة لهم الفيلسوف المنتظر، الذي يلبّي مطلبين في وقت واحد، الرفض اليساري للنظم المسيطرة على الواقع العربي، والثوري اللاماركسي. لقد صنعوا له صورة وفق احتياجاتهم وتصوروا سارتر الذي يناسبهم، ومن هنا كانت صورة عربية لثوري غير ماركسي قبل أن يكتب «**نقد العقل الجدلي**». لقد كان أمام هؤلاء الفتية العروبيين اليسار خطوة تجاه الماركسية، فكان سارتر هو هذه الخطوة[9].

لقد كان سارتر في الخمسينيات والستينيات المفكر الأكثر فاعلية في الثقافة والفكر العربي، حيث ربط المثقفين العرب فلسفته الوجودية، والإنسانية بالتراث والتصوف الإسلامي بحثًا عن مذهب فلسفي يكون أساس النهضة المعاصرة، وأكد مثقفون آخرون على الصلة بين وجودية سارتر والماركسية تلبية للرغبة في إيجاد طريق ثوري لمشكلات الواقع العربي في مسألتين شغلتا العرب في هذه المرحلة هما: التأكيد على الاستقلال القومي والرغبة في

التحول الاجتماعي؛ لذا ظهر سـارتر وكأنه فيلسوف عربي وبدت أعماله تعبيرًا عن معاناتنا وواقعنا وطموحاتنا، وكانت مواقفه وكتاباته حلولًا للمشكلات التي تأخذ بحياتنا وإجابة للتساؤلات التي يقدمها الواقع المأزوم، لقد كان سارتر هو الحل أو هو الأمل في حل القضايا الأكثر إلحاحًا، قضية الصراع العربي- الإسرائيلي أو بمعنى أدق القضية الفلسـطينية. وهنا حدث التحول عن سـارتر وتوقف الحماس الجارف لفلسـفته، وتحولنا إلى الذات ومحاكمة الذات، سواء في علاقتها بنفسها أو علاقتها بالآخر.

وقد شـهد العام 2005 احتفالًا متعدد الأوجه بمئوية سـارتر، حيث أصدرت جريدة أخبار الآداب ملفًا مهمًّا حول سـارتر، كذلك فعلت جريـدة القاهرة التي تصدرها وزارة الثقافة المصرية فأصـدرت عددًا حوله في 12 تموز/ يوليو من نفـس العام، وأقام المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ندوة دولية كبرى له. تحت عنوان «**وجوديون، ويساريون وصهاينة**» كان ملـف جريدة القاهرة؛ الذي تصـدره حوار مع محمود أمين العـالم تحت عنوان «**هذا تفسـيري لخيانة سـارتر للعرب وانحيازه لإسرائيل**». وهو يرجع ذلك لتأثير سيمون دي بوفوار ولاينزمان بأصولهما اليهودية ونجاح الدعاية الصهيونية في تسـويق المأساة اليهودية. بينما كتب كامل زهيري أن تأييد سـارتر للدولة العبرية لم يكن أكبر أخطائه، بل كان تصوره أن اليسار العربي هو الفرصة الوحيدة للصلح مع إسرائيل أفدح هذه الأخطاء. ويحلّل مجاهد عبد المنعم مجاهد؛ الذي ترجم لسارتر وعنه عدة أعمال أسباب هذا الولع العربي بـ«سارتر»، كما ضمّ الملـف أيضًا عددًا من المقالات والحوارات والدراسـات، من أهمها الفصل الذي نشرته الجريدة من كتاب علي السمان «**أوراق عمري**» عن زيارة سارتر لمصر.

2- المسألة اليهودية وتناقضات سارتر

يُحلل كتاب سارتر «تأملات في المسألة اليهودية» مُعاداة السامية ويدعّم الصهيونية، لكن ذلك يتم على حساب حقوق الشعب الفلسطيني[10] يُحلل سارتر في هذا الكتاب ما يميز ظاهرة «معاداة السامية» سلوكيًّا واجتماعيًّا وتاريخيًّا. وما يميز اليهود ما بين العرق والتاريخ. ورغم

أهمية النقد في التحليل الفلسفي الوجودي للمسألة اليهودية، فإن سارتر، كما يذكر محمد الهلالي تخلى عن سلاح النقد في التعاطي مع الفلسطينيين؛ فهو لا ينتقد المشروع الصهيوني. بل يدافع على أن «الصهيونية هي الجواب عن مشكلة اليهودي المضطهد». وهكذا قدم تبريرًا نظريًّا وفلسفيًّا للصهيونية لا مثيل له. مؤكدًا أن كتاب سارتر عن المسألة اليهودية هو من أهم الكتب المساندة فلسفيًّا للصهيونية.

ينطلق سارتر من أن أساس المسألة اليهودية هو غموض الهوية اليهودية. فالتهوّد (الانتماء لليهودية) يصاحبه انزعاج اجتماعي. «فاليهودي هو من يعتبره الآخرون يهوديًّا»؛ يقول: إنه «إنسان في موقف»؛ أي فرد واقعي ملموس في وضعية اقتصادية واجتماعية وسياسية محددة. ولذلك فمميزاته الجسدية ليست إلا عاملًا من بين عوامل أخرى، فليس جسده هو الذي يجعله يهوديًّا. فالمسألة ليست مسألة عرق، فاليهود مختلفون فيما بينهم في مكوناتهم الجسدية. أما من الناحية التاريخية فهم فقدوا تدريجيًّا مميزاتهم الوطنية والدينية حتى صاروا «جماعة تاريخية مُجردة». لذلك من الصعب أن يكون لهم مرجع تاريخي موحد. فما يجمعهم هو «ذاكرة حزن طويل» وعداء المسيحيين لهم. ومن هنا يرى أن الفشل في تحديد هوية اليهودي اعتمادًا على عرقه ستقود إلى الاعتماد على دينه أو على «المجتمع الإسرائيلي». ومن الملاحظ أن الأمم المعاصرة لا ترغب في استيعاب اليهود لأنها ترى فيه مصدرًا لمجموعة من الشرور[11].

يؤكد «الجوهري» مترجم هذا الكتاب أن من أهم أسس جان بول سارتر في مقاربته لوجود دولة إسرائيل في فلسفته «**الصهيونية الوجودية**»، هو التعامل مع المشكلة كواقع موجود بالفعل وأمر مسلّم به، بغض النظر عن تاريخه، مع تهميش أو إنكار ما نتج عنه من مشاكل تخص وجود الشعب الفلسطيني؛ الذي قام سارتر باضطهاده ونفيه ومصادرة حريته الوجودية؛ مساويًا بين المعتدي والمعتدى عليه، حيث يرى سارتر النزاع العربي- الإسرائيلي صراعًا بين مضطهدين يصعب حله، إذ يستوجب -حسب رأيه- التسليم بحقيقتين متضادتين: فمن ناحية لابد من كيان وطني لضحايا اللاسامية القدامى، ومن ناحية أخرى، لابد من تمكين الفلسطينيين من حقهم في الرجوع إلي الوطن الأم، وفى سعيه لدعم حرية

اليهودي صاحب الصورة النمطية في أوروبا.

عند سارتر وجود الكيان الصهيوني في فلسطين؛ معطى تاريخي لا يمكن الطعن فيه، وأن المشكل الذي ما زال معلقًا هو وجود اللاجئين الفلسطينيين، لا وجود الشعب الفلسطيني. يذهب «الجوهري»، إلى أن جان بول سارتر كثيرًا ما تحدث عن اللاجئ الفلسطيني في الشتات وحقه، لكنه سكت طويلًا عن الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال في أرضه؛ تحدث عن الحقوق والأوضاع الإنسانية لكنه أبدًا لم يرد في ذهنه أن يتحدث عن الدولة، عن ذلك الكيان السياسي للفلسطينيين، ربما كان سارتر في وعيه الباطن يعلم حتمية الصراع بين الكيانين، **لذا اختار الانحياز لمنطقه الفلسفي المزعوم عن «الوجودية اليهودية» وتمثلها الصهيوني على أرض فلسطين**[12].

وهنا، فإن سارتر متناقض ويظهر تناقضه في رفض تسلم جائزة نوبل التي مُنحت له سنة 1964. لكنه مع هذا لم يرفض تكريم جامعة أورشليم الإسرائيلية له بقبوله الدكتوراه الفخرية منها. وهو مدرك دلالة هذا القبول. ولقد برّر تصرفه هذا بقوله: «قبلت هذه الدكتوراه الفخرية لخلق روابط بين الشعب الفلسطيني الذي أتبناه وإسرائيل صديقتي». بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك لمّا قال عن دولة إسرائيل: «قيام الدولة اليهودية هو أهم حدث عرفه هذا العصر».

3- سارتر والحق الفلسطيني

ويتجلى هذا التناقض، الذي يمثل حيرة وجودية زعم سارتر؛ أنها تعبير عن موقف الحياد التي يتخذه من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وهذا الحياد المزعوم يتأكد عدد من المواقف التي اتخذها من كانوا أكبر مؤيدي سارتر لموقفه الجريء من قضايا الحرية والتحرر ويورد لنا Reda Merida بعض الأمثلة على ذلك.

ففي حزيران/ يونيو 1967، وبعد مُضي سنوات خمس على الاستقلال، أضرم طلاب جزائريون النار في كتب جان بول سارتر، سارتر الذي كان صديقًا عظيمًا للثورة الجزائرية،

وفي ذات الفترة الزمنية تقريبًا، طلبت جوزي فانون، أرملة الطبيب النفسي والكاتب المناهض للاستعمار فرانز فانون، من ناشر كتب زوجها الراحل، أن يتخلص من التقديم الذي وضعه سارتر لكتاب زوجها «معذبو الأرض»، وقالت: «**من هذه اللحظة فصاعدًا، لا شيء يجمعنا بسارتر إطلاقًا**»، أمّا في العراق فقد حُظرت كُتب سارتر، وتسابق المثقفون العرب في كل المجالات للتنصّل من تقاربهم مع الفيلسوف القادم من الضفة اليسار لباريس. **وبإعلانه التضامن مع إسرائيل عشيّة حرب الأيام الستة في 1967، وضع سارتر حدًّا للحركة الوجودية العربية، ترتب على ذلك أن تشوّه موقفه الثوري المتعلق بنضال التحرر في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.**

لقد كان سارتر وأغلبيّة المثقفين الفرنسيين يمين ويسار الطيف السياسيّ يؤيدون إنشاء دولة يهوديّة في فلسطين. يقول سارتر: «**لطالما أملت ولا أزال آملُ أن تجد القضيّة اليهوديّة حلًّا جذريًّا راسخًا من خلال الأُطر الإنسانيّة بعيدًا عن أي اعتبارات جغرافيّة. لكن وبما أن التحوّل المجتمعيّ يتضمن حتمًا مرحلة استقلال وطنيّ، فلا يسعنا إلا أن نرحّب بحقيقة أن دولّةً إسرائيليّة تتمتع بالحكم الذاتيّ أعطت الشرعية لآمال ونضالات اليهود في جميع أنحاء العالم**».

وفي أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، دعم سارتر ودي بوفوار دولة يهودية، وكان اليسار الفرنسي متعاطفًا مع الاتحاد السوفييتي الذي كان بدوره داعمًا لإسرائيل في البداية، وفي عام 1947، قدم سارتر دعمه للصهيونية صراحة في محاكمة تلميذه روبرت مصر الذي اتهم بشراء أسلحة لصالح عصابة شتيرن، وهي منظمة عسكرية صهيونية تهدف للاستيلاء على أرض فلسطين بالقوة والتخلص من العرب، وقال سارتر «واجب غير اليهود هو مساعدة اليهود».[13]

ومع ذلك لم يعد السؤال الفلسطيني بالنسبة لسارتر، كما يذكر الباحث، قابلًا للتجنّب بعد استقلال الجزائر في 1962. وجد سارتر نفسه مُمَزّقًا بين قناعاته السياسيّة وبين «التزامه

العاطفـــيّ»، **فاختار الحياد- وهو موقفٌ متناقضٌ حافظ عليه بطرقٍ ملتوية ومتضاربة. فمن جهة، أدان ســـارتر بشكل مســـتمرٍّ الظروف المعيشيّة للاجئين الفلســـطينيين وأيّد حقّهم في العودة؛ ومن جهة أخرى، آزر وجود إسرائيل بوصفها دولةً ذات سيادة. كانت الجهود التي بذلها سارتر للحفاظ على موقفه «المحايد» هي ما آلت به إلى أزمةٍ ثقافيّة.**

أدى تصاعد التوترات بين مصر وإسرائيل إلى تصعيد عســـكري في المنطقة، وحصد هذا التصعيد دعمًا كبيرًا في فرنســـا لصالح إسرائيل بعد وقت قصير من رحلته الشهيرة، إلى مصر وغزة وإسرائيل آذار/ مارس 1967، دعمٌ تحوّل إلى حملة عنصرية مناهضة للعرب. وفي هذا الصدد، نشرت صحيفة لوموند «Le Monde» عريضةً لدعم إسرائيل، كان ســـارتر من بين الموقّعين عليها، معلنًا بكلّ صراحة قطيعة بين الفيلســـوف الفرنسيّ وأصدقائه العرب الذين لم يعلموا إلا فيما بعد أن سارتر كَرِهَ أن يُوقِّع.

وتأكيدًا لبيان حياد سارتر أو تناقضات من أطلق عليه ضمير العصر، نجد هذا التأرجح في موقفـــه، انطلاقًا من الســـبعينيات وتزامنًا مع تكثيف وتصدير النضال الفلســـطيني إلى أوروبا، شـــهدت آراء المثقفين اليساريين بشأن إسرائيل انقلابًا مذهلًا، حتى إن سارتر نفسه وصل إلى حدّ دعم الهجمات الانتحارية. حيث يقـــول: «**لقد دعمت دائمًا الإرهاب المكافح المضاد للإرهاب الراســـخ، ولطالما عرّفت الإرهاب الرّاسخ بأنه الاحتلال، والاستيلاء على الأراضي، والاعتقال التعسّفي، وما إلى ذلك**». **لم يَعد يُنظر إلى إسرائيل بوصفها جزيرة محاطة بمياهٍ عربيّة معادية، بل باعتبارها ترسًـــا في آلة الإمبرياليّة الأمريكية، ترسًـــا كثيف التسليح، يهاجم شعبًا سحقته قرون من الاحتلال العثماني، ثم البريطانيّ لاحقًا.**

لتأكيد حياد سارتر، هناك واقعة أخرى حدثت في يونيو/ حزيران من العام ذاته، خاطب ســـارتر في رسالةٍ والدة أحد معارضي الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، أكد فيها على أنّه «ســـيكون من صالح المحكمة تبرئة [المتّهم] الذي يُحتمل أن يقضي ســـنواتٍ في السجن نظرًا لتصرّفٍ شـــجاعٍ وواقعيّ: رفضُ الخدمة العسكرية في جيش كان في بادئ الأمر جيش

دفاع، لكنّه سرعان ما نفّذ تكتيكاتٍ هجوميّة وصار قوّة احتلال»[14]

قال سارتر، الذي تحصّن بالصمت إثر ما أثاره توقيعه من جدل، أن توقيعه كان موقفًا «ضد حرب الأيام الستة الوشيكة» وليس ضد كفاح العرب والفلسطينيين «من أجل الحريّة والتقدّم». وأدان استخدام إسرائيل للنابالم، واصفًا ذلك «بالعمل الإجرامي»؛ وأوضح لمَ كان الرأي العام الفرنسي ميّالًا لإسرائيل في حرب 1967، مبررًا ذلك بأن الموقف الفرنسي جاء محفوفًا بمخاوف من شهود «محاولة ثانية لتصفية اليهود»، موضحًا أن الموقف الفرنسي كان أيضًا مدفوعًا بالجهل بما يحدث على أرض الواقع فعلًا. وصرّح سارتر أن «**حروب التحرر هي الحروب الشرعية الوحيدة**»، **مدينًا بذلك نوايا التوسّع الإسرائيلية، حيث وصف خُطّة ضم القُدس «بالجنون المطلق». أخيرًا قال إنه يشعر بالأسف حيال تمكن «القوات الرجعيّة القويّة» من الحصول على موطئ قدم في إسرائيل، وهو ما يقوّض كل احتماليات السلّام**[15].

وللعودة إلى تأكيد حياد سارتر، يضيف الكاتب أن سارتر حين حصل في عام 1976 على شهادة دكتوراه فخرية من الجامعة العبرية في القدس. قال في خطاب تسلّم الجائزة إنه سيتشرّف بالحصول على نفس اللقب من جامعة القاهرة. وفي 1979 قام سارتر بتنظيم ندوة من أجل تعزيز السلام في الشرق الأوسط، كان المثقفون الفلسطينيون والإسرائيليون مدعوون لحضور الندوة. توفي سارتر بعد ذلك بعام في 15 أبريل/ نيسان .1980 علينا الآن بعد السماع إلى محامي الدفاع أن ننتقل إلى الشهود، حتى نكمل معرفتنا بما دار في الندوة التي دعا إليها سارتر، وهي شهادة أحد من دعوا إليها وحضرها وهو المفكر الفلسطينى إدوارد سعيد.

وهذا ما يؤكده حسين منصور الحاج فيما كتبه عن سارتر والحق الفلسطيني الذي أوضح أن نزاع الشرق الأوسط الذي يضع الدولة الصهيونية (إسرائيل) في مواجهة الشعب الفلسطيني، هو من أهم المشكلات التي تشغل العالم بأكمله. هذه المشكلة صعبة

ومعقدة أربكت الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر نفسه، الذي يتخذ تجاهها موقفًا حياديًّا وأخلاقيًّا أكثر منه سياسيًّا. ويرى منصور أنه يمكننا الحكم على ارتباك سارتر، الذي لم يتردد طيلة حياته في الانحياز واتخاذ موقف واضح تجاه كل مشكلات عصره السياسية، ما عدا هذا النزاع العربي- الإسرائيلي. نراه مرتبكًا جدًا إلى درجة أن تصريحاته كانت لا تعجب العرب ولا الإسرائيليين أحيانًا كثيرة. هو حاول أن يكون منسجمًا مع نفسه، منطلقًا من التزامه في الدفاع عن قضية المقهورين في أي مكان من العالم. ولكنه لم يكن يرى كيف يمكنه الاحتفاظ بالانسجام مع نفسه وهو يحكم في قضية شعبين تعرّضا، في نظره، للقمع والقهر وهما في حالة نزاع. لقد اختار الحيادية وكانت لديه أسباب معينة كي لا يتخذ موقفًا واضحًا وملتزمًا في هذه القضية؟

كان الوضع شديد التعقيد لدرجة أن سارتر لم يستطع اتخاذ موقف واضح دون أن يستاء منه الطرفان. إن صداقة سارتر لليهود لم تمنعه من أن يكون صديقًا للعرب، وخاصة لأولئك الذين يؤمنون بالتقدم والذين يحاولون إقامة الاشتراكية في بلدانهم. وبالفعل، فإن سارتر قام عام 1967 قبل حرب الأيام الستة بزيارة لمصر، حيث أُعجب كثيرًا بالعمل الذي كان يقوم به جمال عبد الناصر. وفي ختام جولته في الشرق الأوسط قام بزيارة إسرائيل، ويبدو أنه تأثر بعبد الناصر أكثر مما تأثر بالقادة الإسرائيليين. وعلى أثر هذه الزيارة المزدوجة لمصر ولإسرائيل كان سارتر شبه مقتنع بأن حربًا ما ستنفجر بين العرب وإسرائيل. وهذا الشعور تكوّن لديه بناءً على محادثة مع عبد الناصر. ويوجز سارتر وجهة نظر عبد الناصر كالآتي:

«هناك تناقض لا نصل إلى حله. ولكن الحل بواسطة الحرب لا يبدو حلًا جيدًا». بعد كل ذلك يستنتج أن القضية هي قضية حق: «للفلسطينيين الحق القاطع في العودة إلى ديارهم»، وبالتالي «بكل بساطة لأنهم طُردوا يحق لهم أن يعودوا». وإذا كان للفلسطينيين الحق في أن يكونوا في ديارهم وفي أرضهم، فإن اليهود أيضًا لديهم الحق نفسه، ولكن ليس كل اليهود، بل أولئك الذين ولدوا في فلسطين واشتغلوا فيها. يقول سارتر: «إذا كنت أعترف لحفيد أو لابن أحد اليهود الذي أقام في إسرائيل بحق البقاء في وطنه لأنه فيه ولا يجب طرده منه، فأنا

أعترف للفلسطينيين وطبقًا للمبدأ نفسه بحق العودة إلى هذا الوطن»[16].

يعالج سارتر في مقابلة عام 1969 في مجلة «l'arche» النزاع العربي- الإسرائيلي بطريقة حالمة أكثر منها واقعية. في الواقع، هو لا يعتبر أن إسرائيل هي رأس حربة «الإمبريالية الأميركية»؛ بل يعتقد، على العكس، أن إسرائيل والعرب هم ضحايا «الإمبرياليتين الكبيرتين الأميركية والسوفييتية»، وأن النزاع في الشرق الأوسط هو نتيجة للتنافس القائم بين هاتين «الإمبرياليتين». إن سارتر الذي كان يؤمن بنهاية الحركة الصهيونية، وبالنوايا الحسنة لليسار العربي والإسرائيلي، سمح لنفسه بالتعبير عن أمل حالم أكثر منه ممكن التحقق بحلول سلام في الشرق الأوسط، يمكن أن يوحد أولئك الذين يتعرضون للاستغلال، سواء كانوا عربًا أم يهودًا، في الكفاح من أجل الثورة الاشتراكية، وهذا لن يتحقق إلا بدمج الاقتصاد الإسرائيلي في إطار الشرق الأوسط؛ حتى لا يكون هناك أي مبرر للارتياب بين المعسكرين.

بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982؟ وبعد مجازر «صبرا وشاتيلا» التي ارتُكبت بتواطؤ الإسرائيليين مع بعض القوى اليمينية اللبنانية المتطرفة آنذاك، ضد المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين؟ كان من الممكن جدًا أن يغيّر موقفه تجاه إسرائيل، إنه من أجل تماسك الفكر السارتري، ونظرًا لمعطيات المشكلة، كان من الممكن أن يتخذ موقفًا أكثر وضوحًا وأكثر التزامًا، وبالتالي أكثر واقعية، بكلمة، يمكننا القول إن موقف سارتر حول الشرق الأوسط هو المثال النموذجي عن التباس أخلاق الالتزام الفردي[17].

وقد اهتم أحمد بهاء الدين بتوضيح أين أخطأ سارتر, وأين أصاب في كتابه التحليلي عن مشكلة اليهودية؟

حيث رأى:

1- إن سارتر قد بالغ كثيرًا في تحليله. فذهب إلى أقصى الحدود في إلقاء مسؤولية نبذ اليهود على المجتمعات التي ينشأ فيها اليهود. أي على العالم كله.. في حين لم يفكر

لحظة واحدة في أن يكون اليهود أنفسهم مسؤولين -ولو إلى حد ما- عن هذا النبذ الذي يعيشون فيه.

2- يضاف إلى ذلك أن اليهودي دائمًا قلق في أعماقه. إنه لا يطمئن أبدًا إلى استمرار ملكيته لأي شيء. إنه لا يستطيع أن يثق في أن مركزه أو ممتلكاته أو قوته في المجتمع الذي يعيش فيه يمكن أن تستمر غدًا.. تاريخه عبارة عن عشرين قرنًا من التيه والتجوال.. إنه مستعد في أي لحظة لأن يحمل عصاه على كاهله ويرحل. إنه لا يمكن أن يستشعر فعلًا استقرار «الآري» الذي لا يمكن مناقشه التصاقه بأرضه وانتمائه لوطنه, وكل القيم الاجتماعية المعترف بها في بلاده.

على هذا النحو يمضي سارتر في سرد كثير من الصفات التي أصبحت لاصقة بشخصية «اليهودي» في الذهن العام, مبررًا لها جميعًا بأنها رد فعل ونتيجة لمعاملة المسيحية الأوروبية، والقوميات الأوروبية لليهود خلال 2000 سنة مستمرة من الزمان.

3- إن الملاحظة البارزة على هذا الكتاب هي أن سارتر كتبه بلهجة المحامي، الموكل للدفاع عن قضية معينة. فهو يشعر أن من واجبه تبرير كل شيء. والدفاع عن كل شيء. ونفى كل مسؤولية -صغيرة أم كبيرة- عن موكله!

4- بالرغم من أن سارتر أشبع كل شيء يتصل بالمسألة اليهودية عرضًا وتحليلًا، فإنه لم يذكر الصهيونية إلا في سطور تعد على أصابع اليد الواحدة؟.. رغم أن الصهيونية -كدعوة عنصرية- أقدم من النازية نفسها بعشرات من السنين؟.. لأنه لو وضع الصهيونية في مكانها المناسب من الأهمية، فكأنه وضع اليهود أو فئة كبيرة منهم تحت رحمة كل مدافعه الثقيلة التي يصوبها في كتابه إلى النزعات العنصرية وإلى كل أنواع التعصب. ومن المؤكد أن أي دراسة للمسألة اليهودية الآن لا تهتم بالدعوة الصهيونية فكريًّا وسياسيًّا وتاريخيًّا.. تكون دراسة وناقصة ومتحيزة إلى حد كبير؟..[18]

هذا الفيلسوف الملتزم بالحرية ومواقفه ضد الظلم والاضطهاد نفسه في حالة ارتباك تجاه

القضية الفلسطينية، فاليهود يغتصبون فلسطين، وهم أنفسهم عانوا من اضطهاد طويل في الغرب. حاول سارتر (1905–1980) أن يكون محايدًا تجاه الطرفين لأول مرة في حياته، إلا أن رؤية سارتر المحايدة لم تمنعه من القول: إن إسرائيل هي رأس حربة لأميركا، وإن الإسرائيليين والعرب ضحايا الصراع بين أميركا وروسيا. لكن يبقى السؤال الذي يطرحه محسن عبد العزيز: لو كان سارتر يعيش بيننا الآن وشاهد المجازر وعمليات الإبادة التي تحدث يوميًّا في غزة، هل كان سيظل محايدًا؟! بالتأكيد لا.[19]

يمكن أن تكون تقدميًا باستثناء ما يتعلق بفلسطين

تشير رقية زروق في مقالها في مجلة Current Affairs تحت عنوان: «Jean–Paul Sartre and the Problem of Being Progressive Except for Palestine» إلى أن العديد من التقدميين المزعومين يهدفون أن يظلوا «محايدين»، محاولين السير على حبل مشدود لإرضاء المؤيدين على جانبي الصراع؛ وتستعين بعبارة أحد الأشخاص المطلعين على الحملة من أجل حقوق الإنسان الفلسطيني؛ التي تقول «**تقدمية باستثناء فلسطين**» كوصف عام للشخصيات اليسارية داخل السياسة الأمريكية؛ الذين يبدون أنهم يدعمون العدالة العرقية والعدالة الاقتصادية ويميلون إلى اليسار، ولكنهم في طرفة عين، يصيبهم بعض الذهول عندما يطلب منهم توسيع سياساتهم لتشمل قضية فلسطين[20].

لقد اعتقد العديد من العرب أن سارتر «يتاجر بالتعويضات الأخلاقية لأجل الصهاينة»، حيث امتنع عن إبداء رأيه لأطول فترة ممكنة. نظرًا لكونه قد كان أبرز محلل أوروبي لسياسات التحرير المناهضة للاستعمار في ذلك الوقت، شعر بضغط متزايد للدخول علانية في المعركة. **بالنسبة للعديد من العرب الذين أيدوا تحرير فلسطين، كان موقف الحياد موقفًا غير معقول**– وكان البعض يأمل في أنه قد يتغير بعد أن شاهد الفقر المدقع في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، في جباليا ودير البلح. أنه بعد زيارة سارتر لهذه المخيمات، صرح علنًا: «بفضل مساعدتكم، تمكنت من مشاهدة الواقع الفلسطيني»، قال «أود أن أعرب

عــن تعاطفي معكم... أود أن أؤكد لكم أنني أعــترف تمامًا بالحق الوطني لجميع اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى بلادهم.»[21]

توقع العرب اتساقًا فكريًّا وسياسيًّا من سارتر. لقد توقعوا منه أن يستخدم اللغة الوجودية والإنسانية التي استخدمها في كثير من الأحيان كسلاح ضد القوى القمعية الأوروبية لصالح قضية فلســطين. إلا أن الحصاد كما ترى كان الفاكهة المرة، ففــي عام 1967، عندما وقفت المنطقة على شــفا الحرب، وضع حكم ســارتر المتعاطف في الميزان. في المحطة الأخيرة من رحلته إلى إسرائيل، كان كل من ســارتر وشريكته دي بوفوار «يخجلان من مصير اليهود في أوروبا ويسعدان برؤية أنهم يبنون حياة اشتراكية جديدة لأنفسهم» في إسرائيل. تركهم هذا اللقاء متأثرين بشدة، وغادر ســارتر إسرائيل برأي أكثر تعاطفًا مما كان عليه عندما وصل. لكن هيئة المحلفين ما زالت بانتظاره: فقد رفض ســارتر اختيــار جانب، قائلًا إنه لا يزال يشغل منصب «الغياب»، وبعبارة أخرى، لا رأي على الإطلاق.

إن سياسة الحياد التي التزم بها سارتر، ستدفعه إلى إدارة ظهره للمثقفين العرب. تبلور هذا «الفعل الخائن الأيقوني» في أذهانهم بعد أن وقع ســارتر ودي بوفوار، بيانًا مؤيدًا لإسرائيل أكد ســيادة إسرائيل وحقّها في الوجود. في الوقت الذي كان فيه سارتر يأمل أن يظل محايدًا تقريبًا بشــأن النزاع، فُسّرت هذه البادرة عــلى أنها دعم صارخ لإسرائيل، ودمرت أي وهم بأنه لم يتخذ جانبًا. عندما اتهمه لطفي الخولي بالتخلي عن نضال الشــعب العربي بعد التوقيع على البيان قبل حرب الأيام الستة، أجاب سارتر: «كل ما فعلته هو اتخاذ موقف مبدئي ضد الحرب. لم أغير دعمي للنضال العربي والفلسطيني من أجل الحرية والتقدم».[22]

لقد تغاضى المفكّر الذي أطّر للوجودية كمذهب إنســاني عن فكرة «العدل الوجودي» و«الحريــة المتبادلة»، وتعامى عــن الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلســطين. لم يتطرق لمنطق العدل وحرية الفلســطينيين في الوجود. لقد ســلبهم وجودهم في منهجه الظاهري، ودون أن يســتخدم منهجًا تاريخيًّا لمقاربة المشــكلة وتحليل جوهرها، بــل اعتمد على مجموعة من

الانطباعات الذاتية لمجموعة من الناس جمعها في مقابلات خاصة.

لقد قفز فيلسوف الحرية الإنسانية، عاصبًا عينيه، على خطيئته في حق الإنسان الفلسطيني الذي سلبه حريته الوجودية، معتبرًا أنّ العلاقة بين الاحتلال الإسرائيلي والفلسطينيين هي علاقة متساوية بين طرفين مظلومين. وهناك إزاحة في الزمان والمكان والتاريخ في تبرير سارتر لدعمه للحق الإسرائيلي على حساب الحق الفلسطيني، كما يوضّح الدكتور حاتم الجوهري. فعلى الصعيد المكاني، ظُلِم اليهود في أوروبا فكيف يكون الحل في فلسطين؟ أما الزماني، فقد ظلمت أوروبا اليهود على مدار العصور الوسطى، كيف يجيء الحل في القرن العشرين على حساب الفلسطيني؟ وعلى الصعيد التاريخي، فقد انتهى وجود الجماعات اليهودية في المنطقة كسلطة سياسية منذ فترة تزيد على الألفي عام، فكيف يستخدم ذلك لتبرير سلبهم لحق الفلسطيني؟[23]

وقبل شهر من حرب يونيو/ حزيران 1967 وقّع الثنائي سارتر وبوفوار بيانًا ضمن 66 مثقفًا فرنسيًّا دعا الفرنسيين إلى دعم إسرائيل، معتبرًا أن إسرائيل «**الدولة الوحيدة التي يجري التشكيك في وجودها، والتي يجري تهديدها من القادة العرب**»، **رفض البيان فكرة أن إسرائيل أمة إمبريالية. وتابع البيان «إنه من غير المفهوم تحديد هوية إسرائيل بكونها ضمن معسكر إمبريالي وعدواني**». قرئ البيان في العالم العربي باعتباره خيانة للقضايا العربية والفلسطينية. وعلى الرغم من هذا الرفض من قبل المثقفين العرب؛ سعى سارتر للحفاظ على موقفه الحيادي المزعوم من إسرائيل والفلسطينيين، وأثار ذلك غضب مضيفيه الإسرائيليين، ولم يرض قرّاءه العرب الذين اعتبروه خائنًا لقضية معاداة الاستعمار، وعندما اندلعت الحرب كانت الوجودية تتراجع بقوة في العالم العربي بسبب تأييد سارتر لإسرائيل.[24]

5- إدوارد سعيد وسارتر

يذكر إدوارد سعيد أنّ المناقشات مع ميشيل فوكو – *Michel Foucault تجعله يشعر بخيبة أمل، لقد كان ودودًا مع الشّخص الذي ألهمه في تأمّلاته في الخطاب» يقول: أدركت

سـبب تردّد ميشيل فوكو في الحديث معي عن سياسـات الشّرق الأوسط [...] بعد وقت قصير من نشر بعض مـن مقالاته حول الموضوع، نأى بنفسـه بسرعة عن الحديث في هذا الموضـوع في نهايّة الثمانينيات أخـبرني جيل دولوز Gilles Deleuze، كما يذكر سـعيد أن فوكو، وهو من أصدقائه المقرّبين، أنّه حدثت بينهما قطيعة بسـبب خلافاتهما حول فلسطين، فلقد دعّم فوكو إسرائيل، بينما وقف دولوز في صفّ القضيّة الفلسطينيّة، لا عجب إذًا أنّه لا يريد مناقشة قضيّة الشّرق الأوسـط مع سعيد أو أي شخص!، إن موقف ميشال فوكو من القضيّة الفلسطينيّة ليس خاصًا به فقط، حيث يشاطره العديد من المثقفين الفرنسيين الرّأي، وإن كانت هناك بعض الاستثناءات ملحوظة، مثل، المؤرّخ بيير فيدال ناكيه –Pierre Vidal Naquet، جيل دولوز، جين جينيه Jean Genet الذي أقام بين الفلسـطينيين، ويعتبر نصّه «أربع ساعات في شاتيلا» من أجمل ما كتبه عن القضيّة الفلسطينيّة[25].

إن هذا النوع من النّدوات وما شـابهها فيما يرى سعيد، هي وسيلة لإحداث اختراق في صفوف النخبة المناهضة لفكرة الاسـتعمار، وكسر الحصار المضروب على دولة إسرائيل، إن هذه الفعاليات »غير البريئة» تهدف بالأساس استغلال انتقاد المواقف السّياسيّة التّي اتّخذها المثقفون الشّيوعيون لدفن الجدل حول قضيّة فلسطين، وهذا خلّف ابتزازًا كان من الصّعب تجنّبه، دعم الفلسطينيين هو علامة على التطرّف الأيديولوجي.

كان سـعيد ناشـطًا جدًا في السياسة الفلسـطينية: أصبحت عضوًا في المجلس الوطني الفلسطيني في عام الصراع مع إسرائيل. يؤكد سعيد في حديثه عن اللقاء الذي حضره بدعوة سـارتر أن الموضوع الحقيقي للاجتماع؛ هو توطيد إسرائيل (التي تسمى اليوم «التطبيع»)، وليس الفلسطينيين أو العرب. لقد وجدت نفسي بالضبط في موقع العديد من العرب قبلي، الذين رأوا أنه من المناسـب محاولة إقناع مفكر رائد (مثل سارتر أو غيره) بأهميته، على أمل أن يصبح أرنولد توينبي جديدًا.

إلا أنه حين طلبوا من سـارتر الحديث، جاء في اليوم التالي بنص مكتوب من صفحتين.

لا يحتوي أي كلمات للإشـــارة إلى الفلسطينيين أو ماضيهم المأساوي، الأراضي المحتلة. ولم تكن هناك إشارة إلى الاســـتعمار الاستيطاني الإسرائيلي يمكن مقارنتها في كثير من النواحي بالممارسات الفرنسية في الجزائر. يعلّق سعيد: لقد اندهشت تمامًا عندما رأيت أن هذا البطل الفكري قد استسلم، في سنواته الأخيرة، لمعلم رجعي، وأن موضوع فلسطين، وهي مسألة ذات إلحاح أخلاقي وسياسي- على نفس المستوى. مثل الجزائر وفيتنام.

إن ســـارتر لم يتنازل أبدًا عن مواقفه تجاه إسرائيل. لقد ظل ســـارتر ثابتًا بشكل فعال في محبته للصهيونية الأساسية. الخوف من أن يُنظر إليه على أنه معاد للسامية، والشعور بالذنب تجاه الهولوكوست، ورفض السماح لنفسه بفهم عميق للفلسطينيين كضحايا في النضال ضد ظلم إسرائيل، أو لســـبب آخر؟ لن أعرف أبدًا. كل ما أعرفه هو أنه في شيخوخته كان مختلفًا قليلًا عما كان عليه في السابق[26].

يتناول عبد الوهاب البراهمي في دراســـته الإتيقا في اختبار السياسة عدة فلاسفة غربيون في مواجهة «النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني».. بين الالتزام الخجول و«فلسفة الحياد» المزعوم والدعم الســـياسيّ «الخفيّ» لحقّ الأقوى». موضحًا أننا كثيرًا ما نجد أن هناك «مسافة»، بين أفكار الفيلســـوف وأقواله وبين «مواقفه» من قضايا الإنســـان. وتمثّل «القضية الفلسطينية» أبرز القضايا المعاصرة التي ما تزال تشكّل «اختبارًا حقيقيًّا» «لالتزام الفيلسوف» الأخلاقي، لأفكاره حول «الإنسان». ذلك أن القضية الفلسطينية هي قضية «الحريّة» في أعمق معانيها، قضية «الإنســـان المضطهَد»، وهي «قضية تحرّر الإنســـان من أشكال اضطهاد التي يمارسها الإنســـان على الإنســـان». من هنا، فلا مناص للفيلســـوف من أن «يفكّـــر فيها» ويضطلع بمسؤوليته الفكرية تجاهها، بل وبمسؤوليته «السياسية والإيتيقية» تجاهها.

ويتناول «ســـارتر» على أنه أوضح مثال على ذلك بحكم ما عرف عنه من نزعة «إنسانية» و«التزام» فكري وســـياسي» وانتصار لقضايا «التحرّر». بيد أن التزامه هذا، يجد نفسه أمام اختبار عسير، حينما يتعلّق الأمر «بالقضية الفلسطينية»، لينكشف «السياسي» حدًّا «للإيتيقي»

يحمل سارتر على ضرب من «الحياد الزائف» والمقنّع، فيصبح «صديق الجميع» (الفلسطينيين والإسرائيليين على حدّ سواء) هكذا دون أن يحسم موقفه بوضوح تجاه «الكيان الإسرائيليّ» بوصفه محتلًّا.[27]

الهوامش

1- انظر عن زيارة سارتر لمصر: عايدة الشريف «سارتر في القاهرة» أوراق فلسفية، العدد 14 ص87-108 وأيضًا هدى وصفي بالفرنسية «سارتر في مصر».

2- انظر عبد المجيد عمراني: جان بول سارتر والثورة الجزائرية مكتبة مدبولي، القاهرة د.ت ودراستنا، سارتر والمقاومة الجزائرية من أعمال ندوة «خمسون عامًا على انطلاق ثورة الجزائر»، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية قسنطينة، الجزائر 2004 ونشرت بالملف الخاص عن سارتر أخبار الأدب، القاهرة.

3- عبد الكبير الخطيبي: دموع سارتر، أوراق فلسفية العدد 13، ص45.

4- سهيل إدريس: رسالة إلى سارتر، مجلة الآداب البيروتية، العدد الخامس 1965.

5- أحمد عباس صالح: الكاتب القاهرية العدد 72 عام 1967.

6- سهيل إدريس: الآداب البيروتية، عدد شباط/ فبراير 1967.

7- خيري منصور: سارتر والعرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد الثالث.

8- جورج طرابيشي: سارتر والماركسية، دار الطليعة، بيروت 1964.

9- (فهموه في البداية بديلًا للماركسية «فهمنا سارتر في البداية فهمًا خاطئًا». ذلك أننا لم نقرأه هو، بل قرأنا لديه ما كنا نريد أن نقرأه وتحول الحماس العربي لسارتر لدى هذا الفريق إلى سبب في إعادة النظر في كل من سارتر والماركسية، وبفضل سارتر اكتشف هؤلاء عبر التجربة ماركسية جديدة حية، قريبة الشبه بماركسيات القرن العشرين، لدى جارودي -قبل تحوله- ولوكاش وأدم شاف وغيرهم، لقد أدى بهم سارتر في لحظة إعادة النظر إلى اكتشاف ماركسية مغايرة للماركسية التقليدية، الماركسية كما يفهمها الأرثوذكسيون، يسميها طرابيشي «الماركسية الحية» لقد حقق لهم الفكر الوجودي السارتري إعادة الاكتشاف هذه والتي حصيلتها دراسة طرابيشي، التي يهدف منها كما يخبرنا تحقق هدفين هما: إعادة اكتشاف الماركسية وإعادة اكتشاف الفكر السارتري، الذي أسيء فهمه في البداية يقول: «لقد وجدنا فيه ذلك الفكر النقاد الذي يسدد ضربات إلى الماركسية دون أن يقع مع ذلك في أحابيل اليمين. وجدنا فيه ذلك اليساري الذي نطمح أن نكونه، اليساري الذي يحافظ على يساريته دون أن يكون شيوعيًّا، بل دون أن يكون ماركسيًا. لقد لبي سارتر -إن بشكل مؤقت- مطلبًا لدى أبناء هذا الجيل، الرافضين المتمردين، على غير طريق محدد، الذين يبحثون عن طريق للثورة والتغيير، الرافضين للنظم السائدة (اليمينية) من جهة والخائفين من الماركسية من جهة ثانية.

10- يحمل كتاب سارتر العنوان التالي «Réflexions sur la question juive»، ترجمه إلى العربية د.حاتم الجوهري تحت عنوان «تأملات في المسألة اليهودية»، روافد للنشر والتوزيع، 2016 .m. / / :https. ahewar.org /s.asp?aid=719575&r=0

11- https: / /m.ahewar.org /s.asp?aid=719575&r=0

12- نضال ممدوح، رغم انخراطه في المقاومة الفرنسية هذا موقف سارتر من القضية الفلسطينية، الدستور، 22 تشرين الأول/ أكتوبر/ 2023: https: / /www.dostor.org /4532163/ ومن بين مؤلفات جان بول سارتر، يأتي كتابه «تأملات في المسألة اليهودية»، كيف أن سارتر وظّف فلسفته لصالح تأكيد أوهام صهيونية، بذَرِيعة الاضطهاد الذي لاقاه اليهود في تاريخ العالم.

13- علي المجيني، عن جان بول سارتر وفلسطين

https: / /www.alfalq.com /%D8%B9%D9%86-%D8%AC%D8%A7%D9%86-%D8%A8%D9%88%D9%84-%D8%B3%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D8%B1-%D9%88%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86 /

https: / /www.middleeasteye.net /opinion /jean-paul-sartre-and-palestine?disableGlobalInfo Collect=false

14- المرجع السابق.

15- نفس الموضع.

16- د. حسن منصور الحاج، جان بول سارتر والحق الفلسطيني، آخر تحديث: 26:14-12 حزيران/ يونيو 2023 م - 22 ذو القِعدة 1444 هـ-

https: / /aawsat.com /%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%82 /%D8%AA%D8%AD% D9%82%D9%8A%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A74793371 /-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D9%85-%D8%AA%D8%B7%D9%88%D9%8A%D8%B1-%D8%AA%-D8%B5%D9%85%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B3%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A9-%D9%84%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AC%D8%AF-%D8-%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%9F

17- نفس المرجع.

18- أحمد بهاء الدين: جان بول سارتر ومشكلة اليهودي.

https: / /group194.net /article /18299

19- محسن عبد العزيز، سارتر وقضية فلسطين، الثلاثاء 23 كانون الثاني/ يناير 2024

https: / /www.albiladpress.com /news /20245579 / /columns /846477.html

ذاق فيلســوف الوجودية جان بول سارتر مرارة الاســتعمار النازي لبلاده فرنسا، وذاق مرارة السجن أيضًــا، فتحول في نظر الكثيرين إلى بطل من أبطال التحرير في العالم، لديه القدرة على اتخاذ المواقف القوية إلى جانب المضطهدين والأقليات ضد الاستعمار والمستغلين دون أن يهتز.

20- رقية زروق، جان بول سارتر ومشكلة أن تكون تقدميًّا باستثناء فيما يتعلق بفلسطين.

https: / /www.alhadath.ps /article /143395 /%D8%AC%D8%A7%D9%86-%D8%A8%D9%88%D9%84-%D8%B3%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D8%B1-%D9%88%D9%85%D8%B4%D9%83%D9%84%D8%A9-%D8%A3%D9%86-%D8%AA%D9%83%D9%88%D9%86-%D8%AA%D9%82%D8%AF%D9%85%D9%8A%D9%8B%D8%A7-%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AB%D9%86%D8%A7%D8%A1-%D9%81%D9%8A%D9%85%D8%A7-%D9%8A%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%82-%D8%A8%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86

21- نفس المرجع.

22- الموضع السابق.

23- سارتر في «خان الخليلي»... أغلق باب السيارة على أصابع سهيل إدريس وأنكر حق الفلسطينيين.

https: / /raseef22.net /article /1087790-%D8%B3%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%AE%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%84%D9%8A-%D8%A3%D8%BA%D9%84%D9%8-2-%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A3%D8%B5%D8%A7%D8%A8%D8%B9-%D8%B3%D9%87%D9%8A%D9%84-%D8%A5%D8%A-F%D8%B1%D9%8A%D8%B3-%D9%88%D8%A3%D9%86%D9%83%D8%B1-%D8%AD%D9%82-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86

24- سارتر ودي بوفوار.. كيف شكلت القضية الفلسطينية نهاية لثنائي الفلسفة الوجودية الأشهر؟

https: / /www.ajnet.me /culture /202020 /3 / /%D8%B3%D8%A7%D8%B1%D8%

AA%D8%B1-%D9%88%D8%AF%D9%8A-%D8%A8%D9%88%D9%81%D9%88%D8%A7%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9

25- عبد الغني بومعزة، فشل وخيبة أمل: لقاء إدوارد سعيد مع سارتر/ إثارة.

26- الفيلسوف، إسرائيل والعرب، لقاء إدوارد سعيد مع جان بول سارتر، ترجمة د.زهير الخويلدي.

https: / /alrai.com /article /788480 /%D9%87%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9 الإثنين 08 آب/ أغسطس 2022/ 19:03. الأهرام، القاهرة،

13-19 نيســان/ أبريل .2000- إدوارد و. سعيد: مجلة العالم الدبلوماسي، عدد 09، أيلول/ سبتمبر، 2000، ص ص 4-.5 الرابط:

:https: / /www.monde-diplomatique.fr /200009 / /SAID /2409

27- عبد الوهاب البراهمي الإيتيقا في اختبار السياسة.

https: / /www.almothaqaf.com /qadaya /972372-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%87%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D-8%AA%D9%8A%D9%82%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D8%A8%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9

نشر بتاريخ: 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023.

من جدارية ارتجالات الحياة - مصطفى حلاج

إستراتيجية القدس
مخطط 5800 لسنة 2050

أ. إيمان كامل مهنا

باحثة متخصصة في الشؤون الإسرائيلية بجامعة عين شمس

مقدمة

«إذا حصلنا يومًا على القدس، وكنت لا أزال حيًّا وقادرًا على القيام بأي شيء، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدسًا فيها لدى اليهود، وسوف أحرق الآثار التي مرت عليها قرون».

بهذه الكلمات القصيرة، لخّص هرتسل (Theodor Herzl) السياسة الإسرائيلية المنظمة تجاه القدس منذ احتلالها عام 1948م[1].

ولقد اتبعت إسرائيل أساليب شتى لتحقيق هدفها المعلن بتهويد القدس، لعل أبرزها كان الاستيطان من خلال زرع الأحياء الاستيطانية الالتفافية حول القدس والتضييق على الفلسطينيين لتعمل على تقليص عددهم بشتى السبل.

وهكذا، وضعت إسرائيل مخططًا جديدًا لتهويد القدس بالكامل بحلول عام 2050

(1) مركز الحضارة للدراسات والبحوث

https://hadaracenter.com

(مشروع القدس 2050) وقد سُميت بـ«خطة 5800» حيث يوافق عام 2040 العام العبري 5800، وهو العام الذي سيبدأ فيه المشروع،[1] وقد بدأ التحضير له فعليًّا قبل نحو خمس سنوات، واستثمر فيه حتى الآن خمسة ملايين شيكل[2]، ويأتي هذا المخطط استكمالاً لما طرح في خطة2020، باعتبارها خطة حكومية تنفذها سلطة تطوير القدس، سعيًا لتهجير سكان القدس الأصليين وتغيير ديمغرافية المدينة بشكل كلّي، مع بناء الوحدات الاستيطانية الجديدة استكمالًا للخطة الصهيونية القديمة للتهويد[3].

فإسرائيل تعتمد على سياسة محددة لتنفيذ مخططها التهويدي 5800، تتمثل بالتطويق ثم الاختراق وأخيرًا تشتيت المقدسيين لفرض ديموغرافية إسرائيلية قسرية في المدينة بعد جذب مزيد من المهاجرين اليهود إليها وإحلالهم مكان المقدسيين تحت مسمى تبادل الأماكن المأهولة بالسكان.

ويمكن الجزم بأن الوضع العام يشهد مرحلة متقدمة من مخطط القدس 2050، لتهويد القدس بالكامل وإنهاء الوجود الفلسطيني بالكامل. وهذه الخطة الإستراتيجية، ليست مجرد مشروعات سياحية أو تنموية، وإنما إحداث تغيير كامل لوضع المدينة بما في ذلك المقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى وتنشيط الحياة في جبل المكبر وربطه بالقدس بواسطة مبان سكنية، وبناء سور آخر حول القدس كجزء من عمل دفاعي، وتوطين 7 آلاف يهودي كدفعة أولى، إلى جانب الاستيلاء على كثير من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية لكي يتم الإعلان عنها أنها «أراضي دولة» ومن ثم تحويلها لصالح الاستيطان لاحقًا.

كما يتضمن المشروع الذي يعرف باسم مشروع «الأب» توسيع حدود بلدية القدس

(1) חזוןעתידנילמטרופוליניירושלים,עמ'8 ראו:

https://www.jerusalem5800.com

(2) فهمي، طارق: كيف ستعمل إسرائيل على تنفيذ «خطة 2050» في فلسطين؟ راجع
https: / /www.independentarabia.com 12/12/2024.

(3) المرجع السابق.

لتشـــمل المناطق الممتدة من مدينة رام الله شـــمالًا إلى بيت لحم جنوبًـــا، من خلال حزام ثانٍ استيطاني حول القدس، وحزام ثالث يضم 15 مستوطنة إضافية في محيط القدس الشرقية[1].

وتهدف خطة القدس 2050 أيضًا إلى ربط القدس بشـــوارع وأنفاق وســـكك حديدية متطورة تربط المنطقة الساحلية بالقدس، وجعلها منطقة جاذبة للسكان.

ولذلك جاءت هذه الدراسة لتتناول تحليل هذا المخطط الذي وضعته إسرائيل للسيطرة الكلية على مدينة القدس مدعم بالخرائط وبالأرقام.

وتنقسم هذه الدراسة إلى ما يأتي:

المبحث الأول: مخطط الترانسفير لتهويد القدس

المبحث الثاني: آليات البناء الاستيطاني في القدس (مشروع الأب)

المبحث الثالث: إنشاء شبكة مواصلات لربط القدس بالعالم وتطويق مدينة القدس

***

المبحث الأول «مخطط الترانسفير لتهويد القدس»

الترانســـفير أو خطط ترحيل الفلسطينيين: هي مجموعة من العمليات والإجراءات التي قامت بها العصابات الصهيونية، ومـــن بعدها حكومة إسرائيل، من أجل ترحيل أكبر عدد ممكن من السكان غير اليهود في أراضٍ تريد أن تضمها إلى الدولة الإسرائيلية (أو مضمومة سابقًا)، وذلك بهدف الحفاظ على يهودية الدولة الإسرائيلية.

وقد وضعت إسرائيل إجراءات لاستكمال خطة الترانسفير وتهويد مدينة القدس كما يلي:

- مصادرة أراضي الضفة الغربية وبناء المستوطنات الإسرائيلية عليها.
- تشديد القيود على فلسطينيي القدس من أجل دفعهم إلى الرحيل.

(1) חזוֹעתידנילמטרופוליניירושלים، עמ׳20 ראו:

https://www.jerusalem5800.comhttps

- بناء جدار الفصل وتعمد مروره داخل بعض القرى لتقسيمها (بحيث يصبح العيش في الجانب الغربي منها صعبًا) أو فصله لأراضٍ زراعية عن منطقتها السكنية (بحيث لا يصبح لأصحابها المزارعين مصدر دخل).
- دعوة بعض أعضاء الكنيست لترحيل الفلسطينيين قسريًّا إلى الجانب الشرقي من نهر الأردن (إلى الأراضي الأردنية).
- هجمات المستوطنين الإسرائيليين على بعض القرى الفلسطينية المعزولة (بحماية الجيش الإسرائيلي).
- إرهاب السكان الفلسطينيين بواسطة هجمات صاروخية وعمليات قتل وخطف من قبل الجيش الإسرائيلي في داخل إسرائيل.
- عدم الاعتراف بكثير من القرى البدوية وبالتالي عدم إمدادها بالبنية التحتية كالماء والكهرباء.
- عدم إعطاء ترخيص البناء من أجل التوسعة العمرانية الديمغرافية الطبيعية للعائلات العربية، وهدم أي بناء دون ترخيص[1].

وتقوم رؤية «خطة القدس 5800» على تعزيز وضع القدس بوصفها عاصمةً لإسرائيل والشعب اليهودي، كما تشتمل على رؤية جديدة للقدس وتحويلها إلى مدينة سياحية تكنولوجية بأغلبية يهودية، مع الحد قدر الإمكان من الوجود الفلسطيني فيها. أي محو السكان الأصليين وإحلال المستوطنين محلهم.

ومحاولات محو الفلسطينيين لم تبدأ في عام 1967 أو حتى قبل ذلك في عام 1948، بل مع بداية الاستيطان اليهودي في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر. وفي كل مرحلة، يستخدم

(1) مركز الحضارة للدراسات والبحوث

https: / /hadaracenter.com

اليهود ما هو متوافر لديهم من أدوات لتحقيق أهدافهم الاستيطانية في فلسطين. فقاموا بتهجير الفلسطينيين، وذلك عن طريق إرغامهم على المغادرة بالإخلاء القسري والمضايقات عن طريق تضييق الخناق عليهم بحيث لا يعود في إمكانهم العيش في ذلك المكان[1].

كما يجري استخدام وسائل مباشرة وغير مباشرة لإكراه الفلسطينيين على الانتقال لأسباب مختلفة، تمثلت في الضغوطات الواضحة على إجراءات البناء والسكن للفلسطينيين وهدم البيوت؛ ما ساهم في ارتفاع أسعار الأراضي في المدينة ارتفاعًا خياليًّا، ومن ثم ارتفاع تكاليف البناء وارتفاع الإيجارات، وقد دفع هذا كله بعشرات الآلاف من المقدسيين إلى الخروج من وسط المدينة بحثًا عن أماكن سكن أقل تكلفة، وهو ما يمكن اعتباره عملية تهجير للمهمشين[2].

أما عن الوضع السياسي في القدس والوجود الفلسطيني فيها، نجد أن خطة القدس 5800 تعمدت تجاهلهم، فهي تعتمد في مبادئها على ستة بنود أساسية، جميعها تتحدث عن يهودية القدس:

- دولة إسرائيل هي قلب الشعب اليهودي، والقدس هي قلب دولة إسرائيل والشعب اليهودي.
- المبدأ الثاني زيادة سكان القدس اليهود من خلال تشجيع الهجرات إلى مدينة القدس، وهذا الهدف سيتحقق من خلال ربط مدينة القدس بشوارع وأنفاق وسكك حديدية متطورة تربط المنطقة الساحلية بالقدس، وجعلها منطقة جاذبة للسكان وليست طاردة.
- المبدأ الثالث يتحدث على أنها وضعت من أجل زيادة الازدهار للشعب اليهودي والدولة.

(1) أبو هنية، حليمة. 2020. «المخطط الإسرائيلي لبرجزة القدس على ضوء خطة القدس 5800/ رؤية القدس 2010-2050.» مجلة استشراف- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 4، ص 70، 71.

(2) المرجع السابق ، ص 70 ، 71.

أما الهاجس السكاني، فقد وضع في سلم أولويات الخطة، وتشير المبادئ الثلاثة الأخيرة إلى الحاجة للتخطيط الديمغرافي من أجل الحفاظ على أغلبية يهودية في المدينة[1].

وتهدف خطة القدس 5800 إلى تقليص عدد السكان الفلسطينيين إلى ما بين 10 % و12 %، لتصبح مساحة «القدس الكبرى» 10 % من مساحة الضفة الـــــــغربية والتي تبلغ حوالي 600 كم 2، والقدس الشرقية التي كانت تبلغ مساحتها 72 كم2 عند احتلالها عام 1967 يمكن محوها. والمساحة المتبقية للفلسطينيين ستقتصر على 9,5 كيلومتر مربع[2].

ويتوقع واضعو خطة القدس 2050 أنه بحلول عام 2050 سيصل عدد اليهود في القدس إلى حوالي مليون يهودي، بينما يتراجع الوجود الفلسطيني ليقتصر على 100,000 شخص، وليس هذا فحســـب، بل إن هؤلاء الفلسطينيين ســـيتم تجميعهم في «الكانتونات» تجمعات معزولة وفقًا لخطط الاحتلال[3].

(1) קמחי ، ישראל: מאהשנותתכנוןעירוניבירושלים1918 2018- ، מכון ירושלים למחקרי מדיניות ، ירושלים 2021، עמ'45-44

(2) Fahmy، tarek;the israei future plan2050 in the occupied Palestinian territories، national security and strategy، The third issue – the second year – January – 2023، p17.

(3) المرجع السابق ، ص 17.

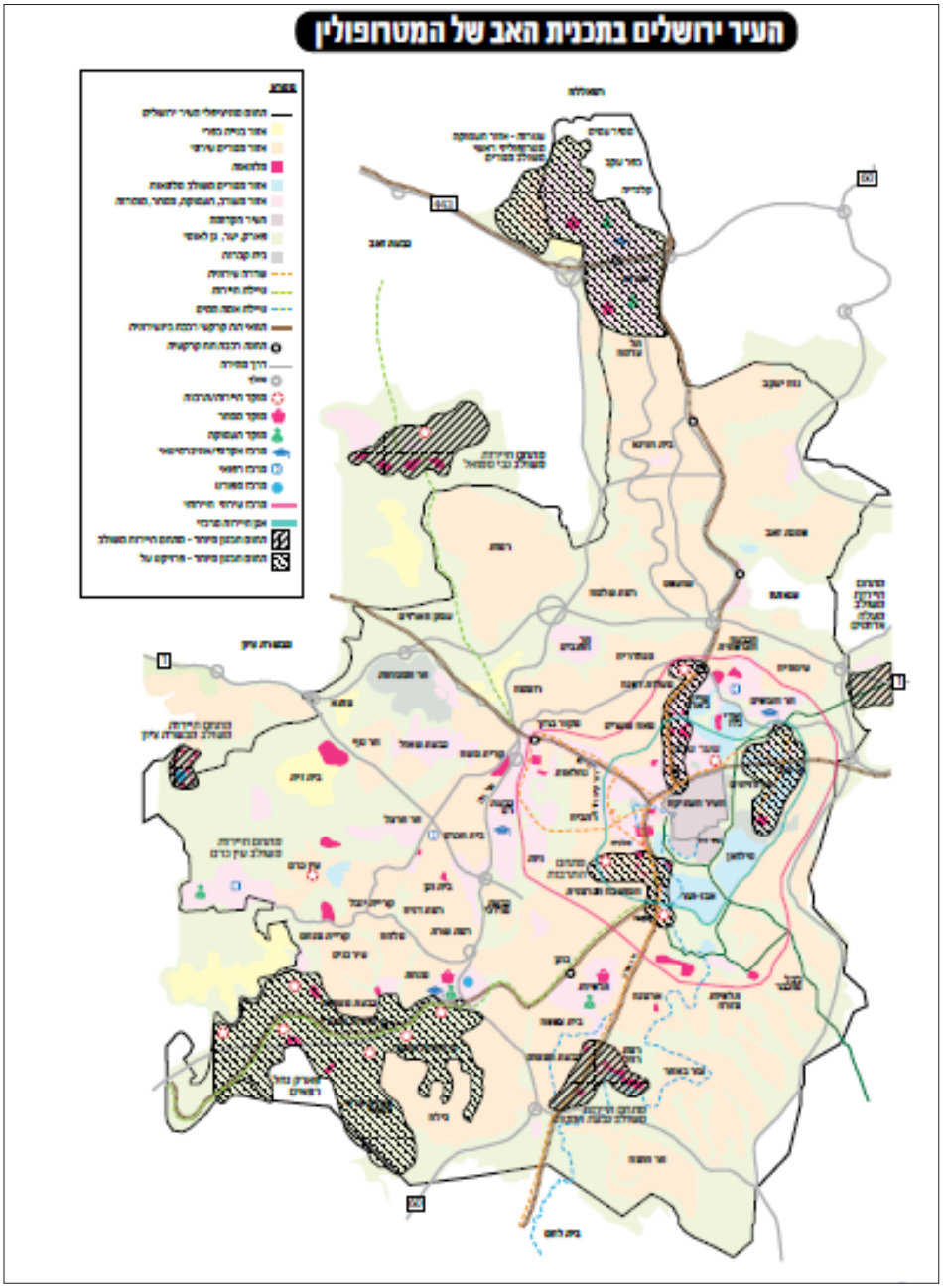

مدينة القدس في المخطط الهيكلي للعاصمة 2050[1]

(1) חזוןעתידנילמטרופולין־ירושלים,עמ'8 ראו::

https://www.jerusalem5800.com/

المبحث الثاني «آليات البناء الاستيطاني في القدس» (مشروع الأب)

شــكل الاستيطان حجر الزاوية منذ نشــأة الفكر الصهيوني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وشكلت السياسة الاســتيطانية للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في فلسطين المحتلة عام 1967م، مظهرًا من مظاهر الاســتمرارية والتغيير بالنســبة لتاريخ الاســتيطان الصهيوني[1]. وتظهر هذه الاســتمرارية في الفكر الاستيطاني الصهيوني في تصريحات وزير الدفاع الإسرائيلي موشــيه ديان الذي يقول: «إن إقامة المستوطنات في الأراضي الفلسطينية المحتلــة هي واحدة من أهم أهداف إسرائيل، خاصة تلك الأجزاء التي لا نســتطيع التخلى عنها»[2]. ولم يقتصر الاســتيطان عــلى الحكومة التي احتلت فلســطين عام 1967م، ولكن أصبح منهج للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، ففي عام 1976م صرح شــمعون بيريز وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك قائلًا: «لليهود الحق في الاستيطان في أي مكان في الضفة الغربية»[3]. وفي عام 1980 قال وزير الخارجية الإسرائيلي يتســحق شــامير: «على إسرائيل أن تواصل المستوطنات في الأراضي الفلسطينية المحتلة وزيادة الوجود اليهودى في هذه المناطق.[4]

(1) هاريس، وليم: الاســتيطان الإسرائيلي في الأراضي العربيــة المحتلة 1967، 1984، نظرة عامة ومنظور تاريخي، في المســتوطنات الإسرائيليــة في الأراضي العربية المحتلــة (ب، ط)، دار الآفاق الجديدة، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، ب.م، ص71.

(2) Jerusalem Post، 7 Dec. 1967

(3) Jerusalem Post، 11Mar. 1976.

(4) 1980.P.15.U.N. General Assembly، Op.Cit.، A /35 /425، 6Oct.

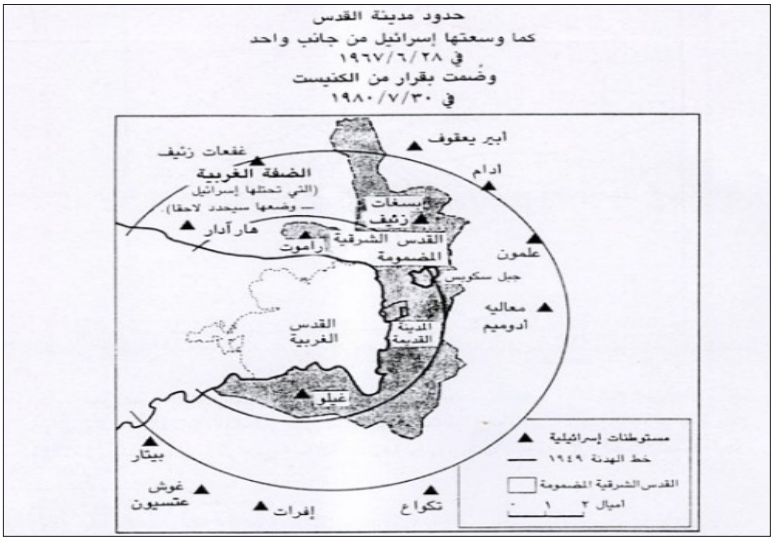

وأصبح هدف الاستيطان الآن السيطرة على أراضٍ جديدة وتفريغ سكانها وتصفية الوجود الفلسطيني من خلال الاستيلاء على أراضيهم والضغط عليهم سياسيًّا واقتصاديًّا بهدف رحيلهم[1].

نتذكر أنه بعد احتلال الجزء الشرقي لمدينة القدس عام 1967م سارعت الحكومة الإسرائيلية إلى تغيير حدود بلديتها، وذلك بضمها ما يقرب من (71كم^2) لحدود بلدية القدس الغربية[2]، لتصبح مساحة القدس الموحدة (108 كم^2)، لكي تتوافق مع المخططات اليهودية التي كانت تنويها للمدينة، لتحويلها من المدينة ذات الطابع الحضاري الفلسطيني الإسلامي إلى الطابع اليهودي من خلال الاستيطان المكثف لمدينة القدس[3]. وذلك بإنشاء حي يهودي على أنقاض جزء من حي المغاربة، وعزل الأحياء العربية بعد إعادة رسم حدود

(1) عبد الهادي، مهدي، المستوطنات الإسرائيلية في القدس والضفة الغربية المحتلة 1967–1977، ط1، جمعية الملتقى الفكري العربي، القدس، 1978، ص97.

(2) أرونسون، جيفري: مستقبل المستعمرات الإسرائيلية في الضفة والقطاع، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1996، ص28.

(3) إيفرات، اليشع: الاستيطان الإسرائيلي جغرافيًّا وسياسيًّا، ترجمة دار الجليل، ط1، دار الجليل للنشر والتوزيع والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، 1991، ص 25.

المدينة، وفي 27/ 6/ 1967م أقرّ الكنيســت ثلاثة قوانين خاصة بالقدس والأماكن المقدسة، وهي:

- تطبيق القانون الإسرائيلي على القدس بكاملها.

- توســيع حدود بلدية القدس، ودمج منطقة القدس الموحدة من شــمال قلنديا وحتى صور باهر جنوبًا ضمن بلدية القدس وحل المجلس العربي للبلدية.

- إصدار قانون حماية الأماكن المقدســة الذي يقرّ بحرية الوصول إلى هذه الأماكن لكل الأديان، لكنه لم يطبق على أرض الواقع.

وقد جرت مناقشة هذا المشروع عدة مرات وأدخلت عليه الكثير من التعديلا تلكنه بقي قائمًا باســم خطة القدس الكبرى. ففي عام 1968م، بدأ تنفيذ الخطة خارج أســوار المدينة القديمة بإنشــاء المســتوطنات على الأراضي المصادرة. وفي عــام 1969م ظهرت تفاصيل مشروع القدس الكبرى بتنفيذ نحو 18 مســتوطنة شــكلت الحزام الاستيطاني الثاني حول القدس[1].

واستندت نسخته اللاحقة إلى ما يعرف بخطة الجيش لإيجال آلون[2] التي ناقشها وأقرها الكنيســت الإسرائيلي عام 1971م، وهي نفس الخطة التي تبناها شــارون في كتابه «تخطيط

(1) الاستيطان بعد عام 1967م في القدس وسياسات تهويد المدينة
https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4078

(2) هــي أول خطــة طرحت على مجلــس الوزراء في أواخر تموز 1967، أي بعد حوالي ســتة أســابيع من التوصل إلى وقف لإطــلاق النار. وخلافًا لهدف الحكومة القديم وهو الحفــاظ على خياراتها الإقليمية في ســيناء والجولان، ركزت خطة إيجال آلون على الأرض الفلسطينية المحتلة. وقد تطورت الخطة وتوسعت، حتى أصبحت هذه الخطة مشروعًا نموذجيًّا شــاملًا وفضفاضًا لمنهج الســيطرة على الأراضي الفلسطينية أخذته بعين الاعتبار جميع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة. وقد بدأت في عملية منظمة لإقامة مســتوطنات مدنية ومواقع عســكرية على تلك الأراضي كوسيلة لإحكام قبضة السيطرة الإسرائيلية عليها. وقد وفرت خطة إيجال آلون الحدود والأولويات للشروع في الاستيطان. للمزيد راجع / www.passia.org/ / :http 99/ view/ maps الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية.

القدس». وفي عام 1974م تم إقرار توحيد القدس تحت السيادة اليهودية، وكذلك توسيع حدود المدينة وتقسيمه إلى ثمانية أحياء، بحيث يكون للأحياء اليهودية ما يشبه الحكم الذاتي، كما منعت تراخيص البناء أو الترميم للفلسطينيين. وفي عام 1976م، أنشأت مستوطنة معاليه أدوميم كمستوطنة كبرى تسيطر على القدس الشرقية، وتجمع المستوطنات الصغيرة التي أقيمت بين البحر الميت وشمال أريحا. وفي عام 1980م، أقر الكنيست ضم القدس إداريًّا وسياسيًّا باعتبارها عاصمة أبدية لإسرائيل. ثم بدأ في تنفيذ الخطة الجنرال إيلان بيران قائد المنطقة الوسطى وسميت فيما بعد بخطة الانتشار. وتقضي هذه الخطة الأمنية بنقل حدود القدس إلى ماوراء الجبال المحيطة بالمدينة، وإحاطتها بثلاثة أحزمة أمنية بمساحة كلية لهذه الكتل الاستيطانية تقدر بنحو مائتي ألف دونم، وهذه الأحزمة هي:

الأول: حزام قلنديا شمالًا ويضم مستوطنات كوخاف يعقوب وبسجوت وجيفات زئيف.

والثاني: الحزام الشرقي وفيه تقع مستوطنة معاليه أدوميم، والغربي وفيه مستوطنة معاليه هعشميا، بالإضافة إلى مستوطنات أخرى كآدم وعلمون.

والثالث: فحزام بيت لحم جنوبًا ويضم مستوطنتي جبل أبو غنيم وجيلو.

معادلة الديموغرافيا

وتتركز الغالبية اليهودية في حدود القدس الغربية المحتلة عام 1948م، وتبلغ 90 بالمائة، بينما المناطق المحتلة من الضفة الغربية في ضواحي القدس الكبرى تكتظ بغالبية فلسطينية.

خطة إيجال آلون، 1967م.

لم يكن مخطط (تهويد القدس 5800) مرتبطًا فقط بمشروع ممتد على غرار مخطط التهويد لعام 2020، وإنما أيضًا بدعم المخطط الإسرائيلي الطموح بإقامة «الهيكل»، ويستند المخطط الإسرائيلي الجديد 2050 إلى تغيير كامل لوضع المدينة، بما في ذلك المقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى، وذلك عبر فتح الطريق الموصل إلى حائط البراق، وبناء الحي اليهودي في المدينة القديمة، وتنشيط الحياة في جبل المكبر وربطه بالقدس بواسطة مبانٍ سكنية، وبناء سور آخر حول القدس كجزء من عمل دفاعي، وتوطين سبعة آلاف يهودي كدفعة أولى في المنشآت الجديدة. وتركزت عمليات البناء الاستيطانية أخيرًا في محافظات القدس وسلفيت وبيت لحم والخليل ورام الله، وفي هذا الإطار أُقر «مشروع القدس الكبرى» في نطاق استهداف المقدسات الإسلامية عبر توسيع حدود بلدية القدس لتشمل

المناطق الممتدة من مدينة رام الله شمالًا إلى بيت لحم جنوبًا، وقد أطلق على هذا المشروع اسم «مشروع الأب»، وهو يمثل الحزام الاستيطاني الثاني حول مدينة القدس، بعد أن اتضحت معالم الحزام الأول في الأحياء العشرة التي أقيمت ضمن نطاق أمانة القدس لعام 1967، بينما يضم الحزام الثالث 15 مستوطنة إضافية في محيط القدس الشرقية[1].

خريطة توضح حدود القدس بعد حرب 1967م[2]

وقد تم تخصيص مبالغ ضخمة من أجل تهويد القدس الكبرى بتمويل حكومي ومنحة كبيرة من بعض اليهود الأثرياء لتحويله مـــن خطة نظرية إلى إنجاز فعلي على الأرض. أبرز هذه المسارات هي:

أ. مضاعفة بناء المستوطنات اليهودية. وخاصة في مناطق شمال وجنوب القدس المحتلة وضمها للكتل الاســتيطانية اليهودية الكبيرة، بما في ذلك: معاليه أدوميم، جفعات

(1) Fahmy، tarek; the israei future plan 2050 in the occupied Palestinian territories، national ، p 18.

(2) مركز الأبحاث الفلسطيني
https://www.prc.ps/%D8%AE%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B7-%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D9%8A%D8%A9/

زئيف، وجبل أبو غنيم (هار حوما). ووفق الخطة المستقبلية العشرية الشاملة، ستزداد مساحة مستوطنة معاليه أدوميم وتغطي مساحة لا تقل عن 53كم2 (وهي أكبر من مساحة تل أبيب) وسوف تمتد بين مدينتي القدس وأريحا كجزء من خطة القدس الكبرى.

ب. بالإضافة إلى خطة توسيع مستوطنة معاليه أدوميم بمصادرة 12 ألف دونم جديد، وهذا يعني ضم جميع الأراضي التي تفصل بين المستوطنات اليهودية في الوادي الفلسطيني منطقة أبو هندي.

ج – العمل على بناء مستوطنات جديدة قريبة من مطار قلنديا لاستيعاب 11,000 مستوطن ومحاصرة الأحياء العربية وعزلها من بعضها بعضًا، وجعلها محدودة «الجيتو» العربية[1].

د– السعي لإيواء مليون يهودي في القدس الكبرى (عدد اليهود في هذه المنطقة الآن حوالي 500000).

هـ– حفر أنفاق يهودية تحت القرى الفلسطينية والبلدات لربط الكتل الاستيطانية مثل حفر نفق للربط بين مستوطنة قريبة من مطار قلنديا والكتلة الاستيطانية الشرقية (كوخاف يعقوب) ولتقصير المسافة بين مستوطنة بيت إيل شرق مدينة البيرة والقدس المحتلة.

و– إنشاء شبكة السكك الحديدية وتشغيل قطارات بسيطة لتسهيل حركة المستوطنين اليهود في جميع أنحاء القدس الكبرى.

أما بالنسبة لعدد الأحياء والمجتمعات فهي على النحو التالي: 10 أحياء داخل القدس الشرقية تبلغ مساحتها المبنية حوالي 69، 636 دونمًا (الدونم يساوي 1000م2) ويبلغ عدد

(1) المرجع السابق.

المستوطنين فيها 52، 810 مستوطنين. وهذه الأحياء هي:

• الحي اليهودي: تأسس عام 1968 داخل البلدة القديمة على مساحة مصادرة من 116 دونمًا ويحتوي على 468 وحدة سكنية تستوعب 1800 مستوطن.

• حي رمات أشكول: تم إنشاؤه عام 1968 على الأراضي المصادرة من المواطنين العرب، بمساحة تزيد على 600 دونم. إنه يقع في حي الشيخ جراح شمال غربي البلاد، القدس وتضم 2500 وحدة سكنية ويبلغ عدد سكانها حوالي 7500 مستوطن[1].

• امتداد رمات إشكول والمعروفة أيضًا باسم «جفعات هميفتار» تأسست عام 1968 على أرض في الشيخ جراح ومملوكة لعدة عائلات فلسطينية، مساحتها حوالي 270 دونمًا، بني عليها 2400 وحدة سكنية يعيش بها 4500 مستوطن[2].

حى سنهدريا: معروف أيضًا برامات أشكول، وقد أقيم عام 1973م على الأراضي الفلسطينية المصادرة ، يتسع لبناء 1000 وحدة سكنية، ويبلغ عدد سكانه 3200 مستوطن[3].

• حي تل عناتوت: يقع شمال شرقي القدس على أرض قريتي عناتا وشعفاط الفلسطينتين. أنشئت في عام 1974 على مساحة مصادرة قدرها 3650 دونمًا بها 500 وحدة سكنية يسكنها حوالي 2000 يهودي يعيشون هناك.

• حي الجامعة العبرية: تم بناؤه عام 1969م على جبل المشارف بهدف توسيع الجامعة العبرية القديمة والمستشفى التابع لها. ويستوعب هذا الحي حوالي 3150 طالبًا وموظفًا، يعيشون في 109 وحدات سكنية مبنية على الأراضي الفلسطينية المصادرة. وبالإضافة إلى

(1) الجدية، فوزي سعيد: مجلة جامعة الأقصى، المجلد الخامس عشر ، المجلد الثاني، ص.101

(2) Fahmy، tarek;the israei future plan2050 in the occupied Palestinian territories، national ، p 15<w

(3) المرجع السابق

هذه الأحياء، هناك 15 حيًّا لمستوطنات في محيط القدس الشرقية[1].

وقد تم إنشـــاء 15 مستوطنة جديدة تشكل الحزام الثالث من الأحزمة الاستيطانية حول القدس. فيما أقيمت المســـتوطنات في الشـــمال في محيط مدينتي رام الله والبيرة، وفي الجنوب تتمركز المســـتوطنات في المناطق الممتدة من شـــمال مدينة الخليل إلى مناطق بيت لحم وبيت ساحور.

فالهدف من إنشاء الكتل الاستيطانية:

أ. تجزئة الضفة الغربية جغرافيًّا وديمغرافيًّا:

بهدف تطويق الضفة الغربية من الداخل، خاصة المراكز الحضرية اســـتعدادًا لتجزئته إلى منطقتين تحيط بها المستوطنات اليهودية: منطقة الخليل جنوبًا، ومنطقة نابلس شمالًا.

ب. ضم مساحات واسعة من الأراضي غرب الضفة: تتراوح مساحتها بين 400 و500 كم2، بالإضافة إلى المساحات التي تم ضمها إلى القدس الكبرى حسب المخططات الهيكلية، وكان آخرها في تموز/ يوليو 1980. كما تمت الموافقة على ضم 63 كيلومترًا مربعًا من أراضي الضفة الغربية لاستخدامها في الخطة الهيكلية لتهويد المدينة.

ج. تحويل القدس الكـــبرى إلى العاصمة المركزية لدولة إسرائيـــل: تركيز كل العوامل الجذابة لجذب الاســـتثمار والسياحة والصناعة والأنشـــطة الزراعية لليهود من جميع أنحاء العـــالم م. ومن أبرز الأهداف الإسرائيلية لعملية التهويد التـــي كانت ولا تزال يتم تنفيذها في القدس هي:

أ. تركيز الأغلبية السكانية اليهودية في القدس:

• إعطاء المدينة الطابع اليهودي مما يجعل من المستحيل مناقشة المصير ومستقبل المدينة في ظل أي تسوية أو مفاوضات السلام.

(1) Fahmy، tarek;the israei future plan2050 in the occupied Palestinian territories، national

ب. فرض مكاني، ديمغرافي، بنيوي، على الواقع السياسي والحضري:

• جعل من الصعب تجاهل وجود الإسرائيليين في المدينة، وبالتالي منع المراجع الفلسطينية من المطالبة بأن تكون القدس الشرقية هي العاصمة المقترحة للدولة الفلسطينية[1].

ج. عزل القدس الشرقية عن المناطق الحضرية الأخرى والمراكز الريفية في الضفة الغربية وقطاع غزة:

د. الضغط على الفلســطينيين المقيمين في القدس لدفعهم للعيش خارج الحدود البلدية لمدينة القدس الكبرى:

• الالتحاق بالشتات الفلسطيني في الخارج، وهو ما تكشفه خريطة محددة بذلك.[2]

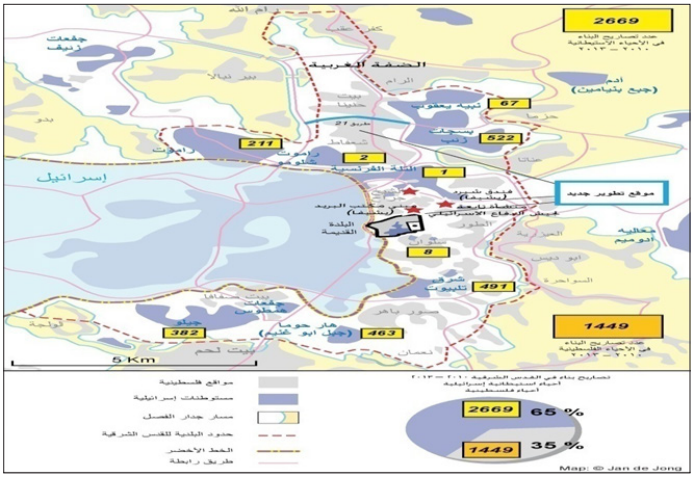

خريطة ترصد بناء مستوطنات في مدينة القدس من عام 2010 – 2013 م[3]

(1) Israel ،Palestine: Statement by the Spokesperson on settlement expansion and the situation in East Jerusale https: / /www.eeas.europa.eu /eeas /israelpalestine-statement-spokesperson-settlement-expansion-and-situation-east-jerusalem_en (15 /5 /2024).

(2) مركز الأبحاث الفلسطيني
https: / /www.prc.ps /%D8%AE%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B7-%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D9%8A%D8%A9 /

(3) المرجع السابق

المبحث الثالث: «إنشاء شبكة مواصلات الربط لتطويق مدينة القدس»

«اليــوم يمكنك الســفر بالقطار إلى دمشــق أو القدس أو بغداد. منــذ بناء الجسر فوق البوســفور، يمكنك السفر إلى القدس مباشرة من سانت بطرسبرج أو أوديسا، من برلين أو فيينا، من أمستردام، كاليه، باريس، مدريد أو لشبونة»[1].

لم يذكر هرتسل شبكة مواصلات داخلية، ولكنه أشار إلى ارتباط إسرائيل بالعالم.

يذكر الكاتب الصحفي الإسرائيلي عمري جلبرت[2]، أن هرتسل حلم بمجتمع مثالي في أرض إسرائيل. مجتمع تكنولوجي حديث، منخــرط في الفضاء ويعزز الأفكار الاجتماعية الرائدة. تناول جزءًا من رؤيته للبنية التحتية المادية، بما في ذلك وسائل النقل أن تكون سريعة وفعالة وصديقة للبيئة. ويقترح هرتســل في كتابه استخدام القطارات والدراجات وغيرها من حلول النقل المتقدمة للتعامل مع الازدحام المروري. بذلك ستكون القدس عام 2050 مدينة خضراء وصديقة للبيئة وتتمتع بشــبكة مواصــلات عامة متطورة. فمن خلال ثلاثة خطوط ســكك حديدية خفيفة يمكننا منع دخول المركبات إلى وسط المدينة وجعل المدينة مكانًا ممتعًا ونظيفًا وآمنًا للمشي. وســيتم ربطها ببقية أنحاء البلاد عن طريق نظام قطار فائق السرعة، وستسمح محطة التلفريك النهائية بالدخول إلى المدينة القديمة[3].

فالهدف المعلن لخطة «القدس 2050» هو زيادة الاستثمار الخاص، وبناء طرق عالية الجودة للمواصلات، بما في ذلك خط ســكك حديدية، وشبكة شــاملة من المواصلات ووسائل النقل العام، واســتحداث طرق سريعة وتوسيع الطرق القائمة، وطرق فائقة السرعة تقطع إسرائيل من الشــمال إلى الجنوب. كما تقترح الخطة أيضًا إنشاء مطار في وادي هوركانيا، بين

(1) ألتنيولاند، هرتسل، ص 67.

(2) הרצל חזה את העתיד: ישראל של שנת 2050 תהיה מדינה עם תחבורה ציבורית מתקדמת:
https://www.calcalist.co.il/local_news/article/hkkrwoy2n

(3) المرجع السابق.

القدس والبحر الميت، لخدمة 35 مليون مسافر سنويًا. وسيرتبط هذا المطار بطرق وسكك حديدية موصلة إلى القدس ومطار «بن جوريون» ومدن أخرى مجاورة. وتسعى الخطة إلى جذب اليهود من شتى أنحاء العالم إلى القدس من خلال تطوير صناعتين متقدمتين: التعليم العالي والتكنولوجيا المتقدمة، ويرتبط تطوير صناعة التعليم العالي ارتباطًا وثيقًا بتطوير التكنولوجيا المتقدمة والمعلومات البيولوجية وصناعة التكنولوجيا البيولوجية، لذا تدعو الخطة إلى إنشاء جامعة للإدارة والتكنولوجيا في مركز مدينة القدس، وإلى مساعدات حكومية للبحث والتطوير في مجالات علمية وتقنية جديدة تخدم المجتمع الصناعي العسكري والشركات الإسرائيلية المتعددة الجنسيات العاملة في مجالات متقدمة[1].

ويسعى الاحتلال لفصل أحياء من القدس الشمالية عن محافظة رام الله والبيرة، وذلك من خلال مخطط «عطروت» لإسكان 50 ألف مستوطن على أرض مطار القدس الدولي في قرية قلنديا، بين القدس ورام الله من خلال مشروع «E1» والذي يستهدف ربط القدس بعدد من مستوطنات الضفة الغربية الواقعة شرقها، مثل «معالية أدوميم»، وبمشروعي القطار الخفيف والشارع الأميركي اللذين يربطان المستوطنات الشرقية والغربية بمدينة القدس. إلى جانب طريق إسرائيلي يمر أسفل حاجز قلنديا شمالًا ويؤدي إلى عزل القدس عن محيطها الفلسطيني وضمّها كمجمع استيطاني كبير وجعلها عاصمة لإسرائيل[2]. وهناك خرائط معدة لذلك.[3]

(1) https://www.ajnet.me/politics/2022/1/10/%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%AE%D8%B7%D8%B7-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF

(2) المرجع السابق.

(3) مركز الأبحاث الفلسطيني
https://www.prc.ps/%D8%AE%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B7-%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D9%8A%D8%A9/

وقــد تم الانتهاء من الخطوات الأولى للمشروع عندما بدأ الاحتلال ببناء الجدار العازل حــول القدس الشرقية وضم مســاحة حوالي 230 كــم2 مأهولة بـ150 ألف مســتوطن، وتهجــير250 ألف مقدسي من المدينة. كما أكملت الحكومة الإسرائيلية تخطيط لبناء نحو 60 ألف وحدة سكنية 85% منها سيتم بناؤها في القدس الشرقية. لتضاف إلى عشرات الآلاف من مســاكن الوحدات التي تم بناؤها في المدينة، لخلق بيئة جاذبة لليهود الذين بنوا 70 بؤرة استيطانية في قلب الأحياء الفلسطينية[1].

وهذه المشروعات ليســت مجرد مشروعات ســياحية أو تنموية كما يــتردد في إسرائيل (فلســطين المحتلة)[2]، بل هي خطة كبيرة تســتهدف إجراء عمليات تهويد وتطويق لمدينة القدس وتفريغها من سكانها الفلسطينيين.

وتستغل إسرائيل الحرب على غزة لاستكمال مشروع القدس 2050، من خلال مصادقة مجلس التنظيم الأعلى في الحكم العسكري على بناء حوالي 3500 وحدة استيطانية جديدة في مستوطنات «معاليه أدوميم»، و«أفرات»، و«كيدار»، حيث ستبنى معظم الوحدات الجديدة في مستوطنة «معاليه أدوميم» المقامة بين القدس وأريحا، وباقى الوحدات السكنية ستبنى في مستوطنات قريبة بالمنطقة ذاتها، وقرب مدينة بيت لحم.

وختامًا

تستخلص الدراســة مما سبق أن مخطط 2050 يســتهدف تصفية الوجود الفلسطيني في القدس وتجزئة الضفــة الغربية ديمغرافيًّا وجغرافيًّا من خلال تطويقها ببؤر اســتيطان من الداخل، حتى يستحيل إقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية.

(1) Claims to Property Rights in the Future Israeli-Palestinian Settlement Published online by Cambridge University Press: 27 February 2017
https://www.cambridge.org/core/journals/american-journal-of-international-law/article/abs/private-claims-toproperty- rights-in-the-future-israelipalestinian-settlement/0F09190EC6C8543A6AE49B9914DE2703

(2) 37חזועתידנילמטרופוליריושלים، עמ'8 ראו: https://www.jerusalem5800.com
86--2/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%%B1%D9%889

قائمة المراجع

مراجع باللغة العربية

• أبو هنية، حليمة. 2020. «المخطط الإسرائيلي لبرجزة القدس على ضوء خطة القدس 5800، رؤية القدس 2010–2050» مجلة استشراف– المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 4.

• إيفرات، اليشـــع: الاســـتيطان الإسرائيلي جغرافيًّا وسياســـيًّا، ترجمة دار الجليل، ط1، دار الجليل للنشر والتوزيع والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، 1991.

• أ. رونســـون، جيفري: مســـتقبل المســـتعمرات الإسرائيلية في الضفة والقطاع، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1996.

• ألتنيولاند، هرتسل

• الجدية، فوزي سعيد: مجلة جامعة الأقصى، المجلد الخامس عشر، المجلد الثاني، ص101.

• هاريس، وليم: الاســـتيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلـــة 1967 - 1984، نظرة عامة ومنظور تاريخي، في المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة (ب، ط)، دار الآفاق الجديدة، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، ب.م..

• عبد الهادي، مهدي، المستوطنات الإسرائيلية في القدس والضفة الغربية المحتلة 1967–1977، ط1، جمعية الملتقى الفكري العربي، القدس، 1978.

مراجع باللغة العبرية

• הרצל חזה את העתיד: ישראל של שנת 2050 תהיה מדינה עם תחבורה ציבורית מתקדמת:

https: / /www.calcalist.co.il /local_news /article /hkkrwoy2n

• חזוןעתידנילמטרופוליניירושלים:

https://www.jerusalem5800.comhttps://www.jerusalem5800.com/ar/%D8%B9%D9%86--

• קמחי ,ישראל: מאה שנות תכנון עירוני בירושלים1918 2018- ,מכון ירושלים למחקרי מדיניות ,ירושלים 2021.

مراجع باللغة الإنكليزية

• Fahmy,Tarek; the Israel future plan2050 in the occupied Palestinian territories,national security and strategy, The third issue – the second year – January – 2023,p17.

• Israel,Palestine: Statement by the Spokesperson on settlement expansion and the situation in East Jerusale https: / /www.eeas.europa.eu /eeas /israelpalestine–statement–

spokesperson-settlement-expansion-and-situation-east-jerusalem_en (152024 /5 /).

• Jerusalem Post, 7 Dec. 1967

• Jerusalem Post, 11Mar. 1976.

• 1980.P.15.U.N. General Assembly, Op.Cit., A /35425 /, 6Oct.

• Claims to Property Rights in the Future Israeli-Palestinian Settlement Published online by Cambridge University Press: 27 February 2017

مواقع على شبكة المعلومات «الإنترنت»

• الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية.

http: / /www.passia.org /maps /view /99

•-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%AF-%D9%88%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%B0%D9%84-%D8%B9 /3-

• https: / /www.independentarabia.com /node /426231 /%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9 /%D8%AA%D8%AD%D9%84%DB%8C%D9%84 /%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D9%84-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8-%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%AA%D9%86%D9%81%D9%8A%D8%B0-%D8%AE%D8%B7%D8%A92050--%D9%81%D9%8A-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D8%9F

• كيف ستعمل إسرائيل على تنفيذ «خطة 2050» في فلسطين؟

https: / /www.independentarabia.com /node /426231 /%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9 /%D8%AA%D8%AD%D9%84%DB%8C%D9%84 /%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D9%84-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%AA%D9%86%D9%81%D9%8A%D8%B0-%D8%AE%D8%B7%D8%A92050--%D9%81%D9%8A-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D8%9F

• مركز الحضارة للدراسات والبحوث

https: / /hadaracenter.com /%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9-

%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%AF-%D9%88%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%B0%D9%84-%D8%B9 /3-

- https: / /www.ajnet.me /politics /202210 /1 / /%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%AE%D8%B7%D8%B7-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9-%8A%D8%B7%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF

- https: / /www.cambridge.org /core /journals /american-journal-of-international-law /article /abs /private-claims-toproperty-rights-in-the-future-israelipalestinian-settlement /0F09190EC6C8543A6AE49B9914DE2703

- مركز الأبحاث الفلسطيني

https: / /www.prc.ps /%D8%AE%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B7-%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D9%8A%D8%A9 /

القدس ليلا للفنان طالب الدويك

(8) باحثٌ ومؤرخ ومؤلّف وأثريّ ومرمِّم مقدسيّ... د. نظمي الجعبة

أ. عزيز العصا

سكرتير تحرير مجلة المقدسية - عضو معهد القدس للدراسات والأبحاث/ جامعة القدس

المقدمة

سيبقى التاريخ يذكر، بحروف من نور، تلك المبادرة الإبداعية والشجاعة للمرحوم الحاج أمين الحسيني، عندما ناشد عائلات الخليل تغذية القدس بالكوادر البشرية؛ من أجل حماية المدينة المقدسة من المخططات التآمريّة البريطانية- الصهيونية، التي كانت تستهدف عروبة المدينة وإسلاميتها، فهبّ أبناء الخليل، وقطنوا المدينة، إلى جانب إخوانهم المسلمين والمسيحيين من سكانها الأصليين، الذين تعود جذورهم التاريخية، في المدينة، إلى مئات السنين، لاسيما منذ تحريرها من الصليبيين، على يد القائد صلاح الدين الأيوبيّ. فأعيد تشكيل المدينة، ديمغرافيًّا، ما جعلها عصيّة على محاولات الإخلال بها لصالح اليهود.

سنستضيف في هذا العدد (25) من مجلة المقدسيّة ضيفًا مقدسيًّا حضرت عائلته من الخليل، وقد ولد في حارة الشرف، وسط البلدة القديمة من القدس المسوّرة، فاكتحلت عيناه، منذ خطوته الأولى، بما يحلم أي فرد في العالم برؤيته؛ إنه المسجد الأقصى المبارك

بتفاصيلــه الأخاذة، وبما يحيط به من عمران وحضارة، وكنيســة القيامة، وما يرتبط بها من دلالات دينية وحضارية وتاريخية أيضًا.

إنه الباحث والمؤرخ والآثاريّ د. نظمــي الجعبة، المقدسي الذي لم يبتعد عن القدس إلا لغرض التأهيل الأكاديمي والعلمي، فكتب عن القدس ما أثرى به المكتبة العربية، والمكتبات الأجنبية، من مختلف اللغات، بالمؤلفات والبحوث، التي تشكل ذخرًا مهمًّا للأجيال القادمة من الباحثين.

تقــوم منهجيتنا، في هــذه الزاوية الثابتة، على التعريف بالضيــف/ ة قيد البحث، وتتبّع إنجازاته/ ا الفكريّة، بأشكالها كافة؛ من إصدارات، وأبحاث، ومقالات... الخ، ذات صلة بالقدس؛ تدافع عن عروبتها وإســلاميتها، وتحميها من الاعتداءات بمختلف الأشــكال، كفضح المشــاريع التي تقود إلى محاولات التهويد والأسرلة، واعتداءات المســتوطنين التي أصبحت تطول كل شيء في هذه المدينة المقدســة. وتنتهي الدراسة بمقابلة مع الضيف/ ة، تناقش فلســفته الخاصة وأهدافه التي حققها بجهده وعمله المتواصل، وما يرنو إلى إنجازه مستقبلًا.

ضيف العدد

د. نظمي الجعبة

القدس بيته وخزان ذكرياته ومرتع طفولته.. تعلّم في مدارسها، ونهل من تراثها..

ارتقــى في تخصــص التاريخ والآثار حتــى أعلى المراتــب العلميَّة؛ فأرّخ للقدس، وتتبع آثارها، وكتب عنها، ولا يزال على هذا الدرب...

أولًا- المَوْلدُ والنّشأةُ وألعاب الطفولة

ولــد الباحث والمؤرخ والآثــاري «نظمي أمــين الجعبة» عــام 1955م، في مبنى يعود إلى القــرن العثمانيّ الأول، بحارة الــشرف؛ وهي واحدة من أهم حــارات القدس العتيقة

المسـوّرة، بجوارها حوش النمري وحارة الميدان، في وقت لم تكن الحارة تضاء بالكهرباء، وإنما باللامبات الكيروسينية، واللوكس الكبير الذي كان يُحتفل بإشعاله عند قدوم الزوار، وذلك حتى عام 1964، الذي شهد على وصول التيار الكهربائي إلى بيته.

يسـتذكر ضيفنا «الخرابة»، وهي أرض واسعة جدًّا عبارة عن ركام لأبنية تاريخية، شكّل -الركام- مرتفعًا، فأصبح بمثابة تلة تشرف على المسـجد الأقـصى المبارك، وتشرف أيضًا بإطلالة واسـعة على جبل الزيتون، وتشرف بالنسـبة للطفل -نظمي- على عالم واسع بلا أسـوار وبلا بوابات، حيث إنه بسبب موقعها المرتفع تبدو منه الأسـوار الجنوبية للمدينة منخفضة جدًّا.

كانت هذه «الخرابة» مرتعًا أساسًـا من مراتع طفولته، هـو وأترابه؛ من فوقها يطلقون الطائرات الورقية إلى عنان السماء، والتي كانت ترفرف فوق قبة الصخرة، وإن كان صاحب الطائـرة مبدعًا ولديه احتياطي كافٍ من الخيطان، كانـت طائرته تصل إلى جبل الزيتون أو رأس العامود. ولا توجد لعبة مما عرفوه إلا ولعبوها على هذه «الخرابة».

لقـد كانت جلّ ألعابهم من إبداع أيدي الأطفال، أو تعتمد على الاسـتعمالات المختلفة للجسـد، ابتداء بالكرة المُشـكَّلة من الأقمشة المهترئة، والسـيارات المصنعة من الأسلاك المعدنية، والطائرات الورقية، و«الحابة»، و«السبع جلود»، و«الديب والدبدبون»، والبنانير (جلول)، والفريرة، والغميضة... وجميعها ألعاب جماعية؛ يشترك فيها مجموعة من الأطفال والشـباب، وأحيانًا العشرات منهم دفعة واحدة، كما ويقتضي لعب بعضها الانتشـار على مسـاحات واسـعة تخرج في كثير من الأحيان خارج حدود الحارة، لتصل إلى مختلف أنحاء البلدة القديمة بما فيها أسطح المنازل المتصلة.

في عام 1966، تركت عائلته البلدة القديمة، للسـكن في بيت العائلة الجديد، المكون من (3) غـرف، الذي بناه الوالد على قطعـة أرض في وادي حلوة، لا تبعد أكثر من (200) متر عن السور الجنوبي للبلدة القديمة، وهو تاريخيًّا جزء من قرية سلوان.

ثانيًا- التعليم

2 - 1 التعليم المدرسي

كانت المدرسة الأولى لـ«الجعبة» هي المدرسة العمرية، التي تقع على الجدار الشمالي للحرم الشريف، وكان صفّه يقع في الجزء المملوكي من المبنى الضخم، وهو المدرسة المعروفة باسم المدرسة الجاولية. وغرفة صفه كانت قاعة ضخمة، تبلغ مساحتها أكثر من 100 متر مربع، حشر فيها عدد كبير من التلاميذ تجاوز الستين، وقد وصل أحيانًا إلى سبعين طالبًا، انحشر كل ثلاثة من التلاميذ في مقعد خشبي واحد (كان يسمى درجًا أو بنكًا). مكث ضيفنا في هذه المدرسة حتى نهاية الصف السادس الابتدائي. وقد استغل قوته، بوجود أشقائه، الذين يكبرونه سنًّا، ومعرفتهم بالأساتذة، بالاستحواذ على مقعد بجانب الشباك المطل على المسجد الأقصى المبارك، الأمر الذي أسهم في تعزيز علاقة ضيفنا بالمسجد الأقصى المبارك، وخاصة قبة الصخرة المشرفة.

في البيت الجديد، منذ عام 1966م، أصبح نظمي- الطفل يصل إلى المدرسة العمرية عبر باب المغاربة (باب المدينة)؛ إذ يتطلب ذلك اجتياز جزء من حارة المغاربة، خاصة المرور أمام بيوت آل أبو السعود، ودخول الحرم الشريف من باب المغاربة (باب الحرم)، كما أن العودة من المدرسة إلى البيت كانت تتطلب الذهاب إلى دكان والده أولًا، لإثبات الوجود قبل كل شيء، ولمعرفة إن كان هناك حملٌ من المواد الغذائية ينتظره، ومن ثم العودة عن طريق باب السلسلة إلى عقبة أبو مدين الغوث، واختراق حارة المغاربة من الشمال إلى الجنوب ثم الهبوط عبر وادي حلوة إلى البيت.

بعد استكمال احتلال إسرائيل للقدس عام 1967، انتفض المعلمون في القدس، ومن خلفهم أولياء أمور الطلبة، في وجه محاولات الاحتلال فرض المنهاج الإسرائيلي. إذ لم تعد العمرية عمرية، تمامًا مثل القدس، فظهرت مدرسة يهودية لتعليم الطلبة اللغة العبرية، واضطر بعض المعلمين للاستمرار في التعليم، حرصًا على الطلبة، ففرضت سلطات

الاحتلال كتابًا يحمل اسم «مدنيات إسرائيل»، قال عنه مربي الصف: «اعتبروا أنفسكم أنكم لم تستلموه، ولا داعي لإحضاره إلى المدرسة». ولم يمرّ كثير من الوقت حتى تمت استعادة المنهاج الأردني للتدريس في مدارس القدس، واستقر الأمر بضيفنا على هذا المنهاج حتى انتقل إلى مدرسة عبد الله بن الحسين لإنهاء الصفين السابع والثامن (الأول الإعدادي والثاني الإعدادي).

في عام 1970م، انتقل إلى المعهد العربي في بلدة «أبو ديس»، فأكمل الصفين التاسع (الثالث الإعدادي) -كان ينتهي بالمترك- والعاشر (الأول الثانوي)، وبعدها استقر به الحال في المدرسة الهاشمية في مدينة البيرة -شمال غرب القدس- لإكمال الصفين الثاني الثانوي والثالث الثانوي، إلا أنه لم يمضِ سوى ستة أشهر على التحاقه بالمدرسة الهاشمية، اعتقل لمدة (20) شهرًا، وبعد أن خرج من السجن أكمل المرحلة الثانوية بنجاح في امتحان الثانوية العامة، الذي تنتهي به مرحلة التمدرس، لينتقل إلى الجامعة.

2-2 التعليم الجامعي

في 31/ 03/ 1973م، اعتقل ضيفنا، ومكث في السجن حتى تشرين الثاني/ نوفمبر 1974، كما اعتقل من جديد عام 1978 ليقضي ثمانية أشهر في السجن، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الاعتقالات القصيرة. وفي عام 1975، التحق بجامعة بير زيت، ليتخصص في تاريخ الشرق الأوسط والآثار، لينال درجة البكالوريوس في هذا التخصص عام 1980م. وفي عام 1985م التحق بجامعة «توبنغن» بألمانيا، فنال منها درجة الماجستير عام 1988م، ودرجة الدكتوراه عام 1991م.

3-2 الماجستير

درس في برنامج الماجستير للدراسات الشرقية قي جامعة توبنغن/ ألمانيا، وتخصص فرعيًّا في الدراسات الإيرانية والآثار التوراتية، مما تتطلب دراسة اللغة العبرية القديمة (التوراتية)، واللغة الفارسية، وكذلك الفارسية الوسيطة (الفهلوية)، علاوة على الإلمام

باللغتين التركية والعثمانية. أما موضوع الرسالة (بالألمانية)، فقد كان: «**الأرض والإقطاع الإسلامي المبكر في فلسطين**».

4-2 الدكتوراه

ركز موضوع رسالة الدكتوراه (بالألمانية) في نفس الجامعة على الانتقال الحضاري لمدن بلاد الشام من الفترة البيزنطية إلى الفترة العربية الإسلامية.

ثالثًا- نظمي الجعبة مؤلفًا

لقد أمضى ضيفنا «الجعبة» طفولته وصباه بين جنبات القدس العتيقة، التي غرست فيه رغبة جامحة للبحث والتوثيق. وعليه، فإن «الجعبة» جعل الغالبية العظمى من إنتاجه الفكري تتركز على القدس وشؤونها وشجونها، وإن كان، في بعض الأحيان ينحو باتجاه بعض المدن -الفلسطينية- الأخرى، كالخليل، ورام الله، وبيت لحم.

سنتتبع، فيما يأتي، مؤلفات «الجعبة»، للتعريف بها والتعرف عليها، لنخرج منها بحصيلة معرفية ترسم الملامح الفكرية لضيفنا، الذي ترك على رفوف المكتبة الفلسطينية بشكل خاص، والمكتبة العربية والأجنبية على وجه العموم، ما يجب التوقف عنده بالقراءة والتحليل.

عمل نظمي الجعبة بعد تخرجه من جامعة بيرزيت مساعدًا أكاديميًّا في معهد الآثار الفلسطينية، وليعين عام 1981 مديرًا للمتحف الإسلامي في الحرم الشريف، ويستمر في ذلك حتى نهاية عام 1984، حيث غادر لاستكمال تعليمه.

فور الانتهاء من الدكتوراه عام 1991، عُيّن أستاذًا في دائرة التاريخ والآثار في جامعة بيرزيت، وساهم -مباشرة- في تأسيس رواق- مركز المعمار الشعبي، حيث أصبح مديرًا مشاركًا لمدة عقد ونصف، أشرف فيها على تسجيل التراث الثقافي المعماري في فلسطين وتوثيقه ونشره، كما أشرف على عدد كبير من مشاريع ترميم المباني التاريخية. وخلال عمله في جامعة بيرزيت شغل منصب عميد شؤون الطلبة، ورئيس دائرة التاريخ والآثار لعدة

دورات، كما شغل منصب مدير متحف جامعة بيرزيت.

لوحة (1): صورة شخصية للضيف «د. نظمي الجعبة»

1-3 نظمي الجعبة: مؤلفًا ومحررًا منفردًا: بعض من المؤلفات

هنـــاك إنجاز مهم حققـــه ضيفنا الجعبة، عندما اســـتجاب لطلب مـــن المؤرخ المقدسي المعروف «وليد الخالدي»، عام 1998، وهو تصنيف مخطوطات المكتبة الخالدية ونشر فهرسًا لها، فقام بتلك المهمة متأخرًا لبضع ســـنوات من تاريخ الطلب، بسبب انشغاله -الجعبة- في أكثر من وظيفة، وأكثر من مهمة علميّـــة. فاقتحم كل مخطوطة من مخطوطاتها، التي تحتوي حقًّا عـــلى مجموعة «مخطوطات قيمـــة»، وتمكّن عام 2005 من إعـــداد «**فهرس مخطوطات المكتبـــة الخالدية**»، بحجم (478) صفحة من القطع الكبير، الـــذي تم نشره عام 2006 من قبل مؤسســـة الفرقان للتراث الإســـلامي في لندن، وعلى نفقتها، ضمن سلسلة منشورات الفرقان/ فهارس المخطوطات الإسلامية (الجعبة، 2006)، شملت موضوعات الفهرس: العلـــوم الإســـلامية كالمصاحف الشريفة، والتفســـير، والتصوف، والمدائح، والحســـاب، والطب، والموســـيقى والسياسة وغيرها. ودونت المخطوطات باللغة العربية، التي أضحت مرجعًا مهمًّا للباحثين، في فلسطين وعلى مستوى العالم.

لوحة (2): غلاف فهرس المكتبة الخالدية بالقدس.

لوحة (3): شعار المكتبة الخالدية بالقدس على مدخلها

وفي عام 2008 صدر لضيفنا عن لجنة إعمار الخليل كتاب بعنوان «**الخليل القديمة: سحر مدينة وعمارة تاريخية**»، وقع في (256) صفحة من القطع الكبير، وهو من تأليف وتحرير «نظمي الجعبة» (الجعبة، 2008 أ)، صدر بأربع لغات: العربية، والفرنسية، والإنكليزية والإسبانية.

وفي نفس العام –2008– صدر لضيفنا دارسة– كتيب «**القدس العربية: أربعون سنة من الاحتلال الإسرائيلي**»، بحجم (89) صفحة من القطع المتوسط (الجعبة، 2008 ب)، تبين منها أن القدس ستلعب دورًا محوريًّا في تحديد مستقبل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وستكون من المعضلات الصعبة التي ستشكل محورًا أساسًا ينجح المفاوضات أو يفشلها؛ إذ إنها ارتبطت بذاكرة الأجيال المتعاقبة باعتبارها «مدينة الله»، وينظر إلى علاقتها بالسماء كطريق إلى فهم المدينة وتاريخها (الجعبة، 2008 ب، ص: 7).

في عام 2009 صدر كتاب «**دليل القدس: حضارة وتاريخ**»، كتب «الجعبة» نصوصه، يقع في (148) صفحة من القطع الكبير، وقد صدر بمناسبة القدس عاصمة للثقافة العربية

في ذلك العام، يضم صورًا ملونة، وخريطة مطوية؛ 20 سم (الجعبة، 2009 أ).

وفي عام 2009 أيضًا صدر لضيفنا «نظمي الجعبة» دراسة- كتيبًا بعنوان «**الإسكان في القدس بين مطرقة الاستيطان والإمكانات المتاحة**»، عن معهد السياسات العامة برام الله، بحجم (76) صفحة من القطع الكبير (الجعبة، 2009ب). تبين من هذه الدراسة أن القدس الشرقية تخضع للقوانين الإسرائيلية، مجتمعة، من خلال الأمر الواقع؛ إذ يواجه الفلسطينيون المقدسيون سلسلة من القوانين العنصرية، التي سنّت في كثير من الأحيان لتجعل حياتهم مستحيلة (الجعبة، 2009 ب، ص: 9).

بعد عام 2009م، هناك انقطاع من قبل ضيفنا عن التأليف -المنفرد وبالمشاركة- حتى عام 2019، الذي شهد على إصدار كتابيْن، كمؤلف منفرد، هما:

1) كتاب «**حارة اليهود وحارة المغاربة في القدس القديمة: التاريخ والمصير بين التدمير والتهويد**». الصادر عن مؤسستي الدراسات الفلسطينية والتعاون (الجعبة، 2019 أ). وقعت الدراسة في (460) صفحة من القطعِ الكبير، توزّعت عليها ثلاثة أقسام: تطرق في **القسم الأوَّلِ** إلى حارةِ اليهود، من حيث: تاريخ الحارة، خلال الفترةِ العثمانيّة (القرون 16-19)، وفترة الاحتلال البريطانيّ وصولًا إلى النَّكبة، وما تلاها خلال الحكم الأردني، ويُحلل الأملاك في هذه الحارة، ثمَّ ينتقل إلى المعالم الأثَريَّة والمباني التّاريخيّة الأساسيَّة في الحارة التي تنقسم إلى معالمِ «يهوديّة»، ومعالمِ غير يهوديّة. (الجعبة، 2019 أ، ص: 109-110).

تناول «الجعبة» في **القسم الثاني** حارة المغاربة، من حيث: تاريخها وتطوُّرها، والمباني العامّة، والمواقع الأثريَّة فيها، وصولًا إلى هدمِها وما بعد الهدم من ممارسات احتلاليَّة. وأمّا **القسم الثالث**، فقد خَصَّصهُ الباحث لتوثيق الأملاك والعَقارات في الحارات الجنوبيّة من البلدة القديمة من القدس، منها: حارة المغاربة، وحارة الشَّرف، وحارة النّبي داود، وحارة الميْدان، وحارة السِّريانِ، وغيرها.

2) كتاب «**القدس في الكتابات التاريخية الإسرائيلية**» (الجعبة، 2019 ب). يقع هذا السفر

المهم، الصادر عن «وكالة بيت مال القدس الشريف»، في (216) صفحة من القطع الكبير، توزع عليها تقديم الناشر، ومقدمة الكاتب، ومدخل نظري وتاريخي للمؤلف، ثم ناقش أربعة مواضيع: تاريخ البحث العلمي في العلوم التاريخية في فلسطين بشكل عام والقدس بشكل خاص، ومفهوم تاريخ القدس في الرواية الإسرائيلية، وأعمدة تاريخ القدس الخمسة (هيكل أول، وهيكل ثان، والهجرة الأولى عام 1882، وعام 1948، وعام 1967)، والمسجد الأقصى (القلعة الأخيرة). وينتهي الكتاب بملاحظات ختامية تتألف من (4) صفحات.

هدف «الجعبة» من هذه الدراسة إلى فهم «كتابة التاريخ من وجهة نظر إسرائيلية»، بفهم سياق التطور التاريخي، الذي تبلور في المنطقة، منذ حوالي عام 1831م –سنة بدء السيطرة المصرية على فلسطين التي انتهت سنة 1839م– حتى وقتنا الحاضر، ويسعى كتّاب هذا التاريخ إلى خلق هوية مشتركة لـ«أمّة تعاني من أزمة في هويتها»، أو تهدف إلى صهر مجموعات مختلفة عرقيًّا وثقافيًّا لتشكيل «أمّة جديدة» (الجعبة، 2019 ب، ص: 27–28، 145).

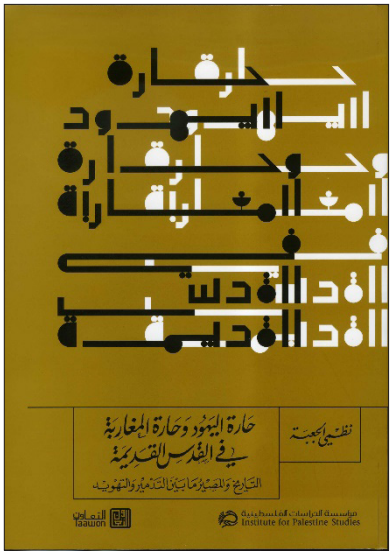

لوحة (4): غلاف كتاب «حارة اليهود وحارة المغاربة»

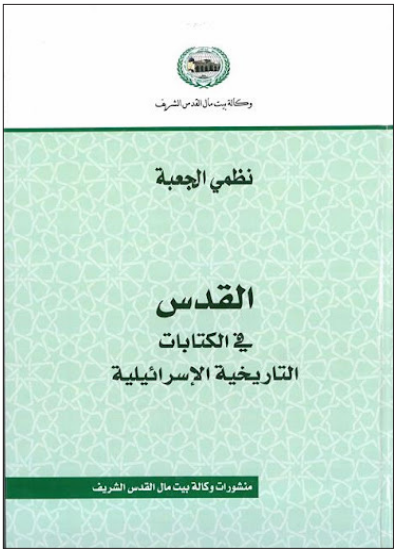

لوحة (5): غلاف كتاب «القدس في الخطابات التاريخية الإسرائيلية»

في عام 2020م؛ وهو عام كارثة كورونا العالمية، صدر لضيفنا سفرٌ مهم، عبارة عن سجل ضخم بعنوان: «**لِفتا: سجل شعب: التاريخ والتراث الثقافي والنضال**»، قام به فريق بحثي برئاسة د.نظمي الجعبة، وبمساهمة من: د.رنا بركات، والمهندس خلدون بشارة، والباحث يعقوب عودة، أصدرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية (الجعبة، 2020). وقع السجل في (360) صفحة من القطع الكبير، توزع على أربعة أقسام: جاء **القسم الأول** كدراسة د. نظمي الجعبة في التاريخ الحضاري لـ«بلدة لفتا- الزمان والمكان» (الجعبة، 2020، ص: 1-206).

وجاء **القسم الثاني** من هذا السجل بعنوان «ذاكرة الشعب أيام زمان»، تتبعته ووثقت له الباحثة د. رنا بركات (الجعبة، 2020، ص: 209-226). وشكّل **القسم الثالث** «نظرة تحليلية إلى ما تبقى من عمارة قرية لفتا المهجرة» تجلّى فيها المهندس خلدون بشارة تحت عنوان «علاليّ على وادي الشامي» (الجعبة، 2020، ص: 229-272). وفي **القسم الرابع** والأخير أبحر الباحث اللفتاوي يعقوب عودة تحت عنوان «لفتا: قصة وطن»[1] (الجعبة، 2020، ص: 279-302).

أما عام 2021م، فقد شهد على تزاحم الأنشطة والفعاليات الفكرية لضيفنا «الجعبة»، على المستويات التأليفية والبحثية، وحتى النقابية والمجتمعية. في مجال التأليف، حظينا بمؤلف مهم، وهو: دراسة- كتاب «**المغاربة في بيت المقدس**»، الصادر في الرباط عن بيت مال القدس الشريف، وهو من تأليف ضيفنا «الجعبة»، وساعده فريق الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية (باسيا) (الجعبة، 2021 أ).

وقع الكتاب في طبعته الثانية في (330) صفحة من القطع الكبير، توزع عليها تقديم الدكتور محمد سالم الشرقاوي «المدير المكلف بتسيير وكالة بيت مال القدس الشريف»، وخمسة فصول. جاء تقديم د.الشرقاوي في (7) صفحات، أكّد فيها أن الوجود المغاربي في

(1) أطلق الكتاب في مجموعة من المدن الفلسطينية. وعقد الديوان الثقافي الساحوري، في بيت ساحور، ندوة حول هذا السجل، بتاريخ: 01/ 06/ 2022، حاضر فيها كل من: نظمي الجعبة ويعقوب عودة، وأدارها كاتب هذه السطور.

القــدس هو تضامن مبدئي وثابت، ممتد في الزمــان والمكان، قوامه الانتصار للحق، في ظل الحكمة والتدبّر والواقعية» (الجعبة، 2021 أ، ص: 5).

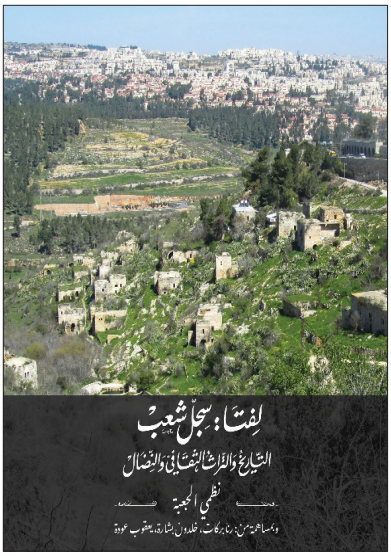

لوحة (6): غلاف كتاب «لِفتا: سجل شعب: التاريخ والتراث الثقافي والنضال»

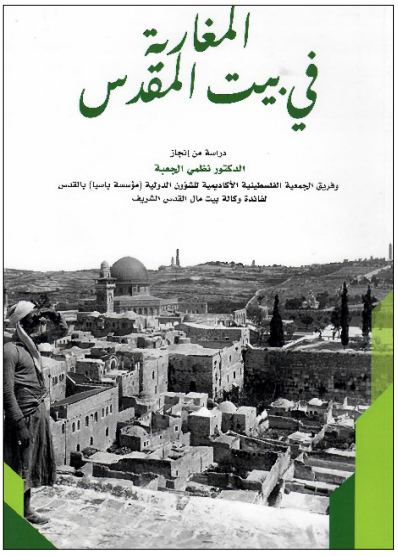

لوحة (7): غلاف كتاب «المغاربة في بيت المقدس»

أتبع الباحث «الجعبة» بخمســة فصول، تناول في **الفصل الأول** المغاربة في بيت المقدس، مــن حيث علاقتهم العلميــة ورحلاتهم، وأوقافهــم المتعددة والواســعة (داخل القدس وخارجهــا). وتنــاول في **الفصل الثاني** تراثهم المادي، لاســيما حارتهم الشــهيرة بـ«حارة المغاربة»، التي شــكلت الحاضنة لهوية المغاربة المقدســيين وثقافتهــم وتراثهم. وخصص **الفصل الثالث** للتعريف بنحو ثلاثين عائلــة مغاربية، يفاجأ القارئ بالجذور المغاربية لعدد منها، كعائلة الشهابي، وأبو غربية، وعون الله، والشريف، وغيرها.

وأردف «الجعبة» في **الفصل الرابع** باســتعراض سِــيَر (13) مغاربيًّا من أبطال المقاومة الفلســطينية، ويعزز بقائمــة من (27) من شــهداء معارك النكبة الفلســطينية من أصول مغاربيــة. ويخصص **الفصل الخامس** للحديث عن «المغاربة في القدس بعد تدمير حارتهم»، من حيث: الخصائص الديمغرافية والاجتماعيــة، والاقتصادية، وينتهي هذا الفصل بنتائج

الدراسة وتوصياتها.

كان ضيفنا قد نشر في **المجلة العربية للثقافة (الألسكو)**، في عام 2019، مقالًا بعنوان «**«كنيسة المهد في بيت لحم الترميم والتأهيل: أول موقع فلسطيني يزال عن قائمة التراث العالمي المهدد»**، عرض فيه «الجعبة» مختصرًا لمشروع طويل ومعقد لترميم كنيسة المهد. (الجعبة، 2019 هـ). وفي عام 2022 صدر لضيفنا «الجعبة» عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بتمويل من رجل الأعمال «ميشيل الصّايغ»، مجلدٌ ضخم، بعنوان «**كنيسة المهد في بيت لحم أقدم كنائس فلسطين: دراسة في العمارة والفنون والتاريخ والتراث**» (الجعبة، 2022).

يقع الكتاب في (393) صفحة من القطع الكبير (28,5 سم x 24 سم)، يتوزع عليها عشرة فصول، وملحق للترميم. يعدّ هذا الكتاب الأول باللغة العربية الذي يتناول مجمل تاريخ الكنيسة الروحي والمعماري والفني، ويتتبع مختلف المراحل التي مرت بها. فقبل مقدمة الكتاب، تجد جدولًا بأهم التواريخ والأحداث المرتبطة بكنيسة المهد.

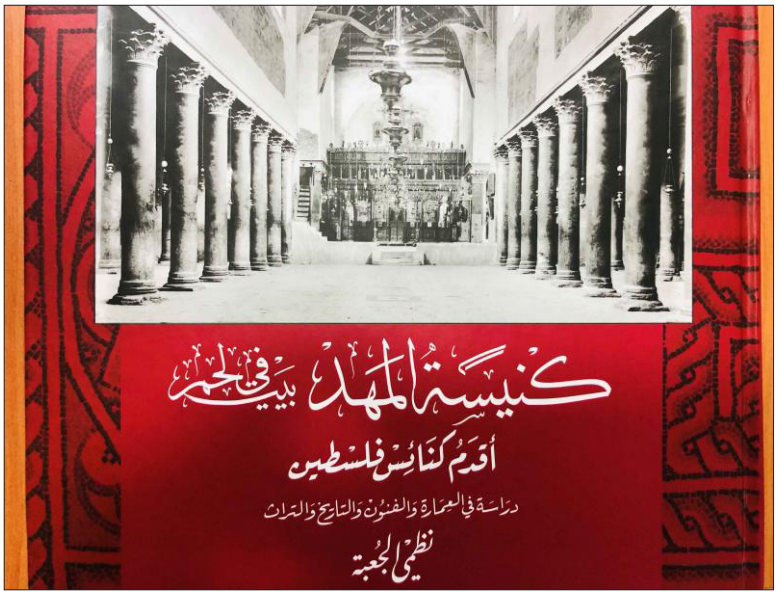

لوحة (8): غلاف كتاب «كنيسة المهد في بيت لحم أقدم كنائس فلسطين

خصص ضيفنا «الجعبة» **الفصل الأول** من كتابه هذا، للحديث عن تاريخ مدينة بيت لحم، وقصة الميلاد والنقاش التاريخي حول المغارة، التي «يعتقد» أن المسيح قد ولد فيها، في حين أن «الأناجيل لا تذكر كلمة مغارة، ولا تذكر أن مولد المسيح تم في مغارة (ينظر: الجعبة، 2022، ص: 22-23، 28). وجاء **الفصل الثاني**، لاستعراض «تاريخ البحث والتوثيق العلمي حول كنيسة المهد» (ينظر: الجعبة، 2022، ص: 34، 40). ثم يشرع في **الفصل الثالث** بالحديث عن كنيسة المهد الأولى، التي وضعت حجرها الأساس القديسة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين الكبير (339م-529م). وينتقل في **الفصل الرابع** إلى «كنيسة المهد الثانية (كنيسة جستنيان) 529م-635م»، التي تثير في النفس كثيرًا من الإعجاب والبهجة بعد دخولها، ولعلّ أهم ما يناقشه في هذا الفصل «مغارة الميلاد»؛ مستطيلة الشكل؛ طولها نحو 12 مترًا، وعرضها (3) أمتار (ينظر: الجعبة، 2022، ص: 110).

يأتي **الفصل الخامس** للحديث عن «كنيسة المهد في الفترة العربية الإسلامية المبكرة حتى سقوطها بيد الفرنجة (635م-1099م)». ثم ينتقل في **الفصل السادس** للحديث عن «كنيسة المهد في فترة الفرنجة (1099م-1187م)»، وما شهدته هذه الفترة من تدخلات مكثفة وقلب لهوية الكنيسة، ورسومات الأعمدة، وفسيفساء جدارية، تشكّل فرادة في التصاوير والرسائل. أما **الفصول السابع- التاسع** فتوزعت عليها كنيسة المهد في الفترات: الأيوبية، والمملوكية، والعثمانية، وفترة الانتداب البريطاني؛ أي الفترة الواقعة بين 1187م إلى 1947م. وفي **خاتمة الكتاب**، يكثّف ضيفنا «الجعبة» وصف كنيسة المهد، مؤكدًا أن بيت لحم، وليس غيرها، مكان ولادة المسيح عليه السلام، وأن هذه الكنيسة من أقدم كنائس العالم أجمع (الجعبة، 2022، ص: 324-326).

وينتهي الكتاب بملحق جاء بعنوان «الترميم: استرداد وهج الكنيسة»، يشكل مراجعة وعرضًا لعملية الترميم التي مرت الكنيسة بها خلال سبع سنوات؛ وهي الفترة 2013-2020 (الجعبة، 2022، ص: 4، 8، 332-333).

في عـــام 2024م، صدر عن مؤسســـة التعاون- برنامج القدس لإعـــمار البلدة القديمة لضيفنا «الجعبة» كتاب «**القدس في العصر المملوكي: تاريخ وعمارة**»، عبارة عن ثلاثة أجزاء، بحجم إجمالي (1033) صفحة من القطع الكبير (الجعبة، 2024).

قســـمت هذه الدراســـة على ســـتة عشر فصلًا، عالج **الفصل الأول** مصادر الدراســـة، وعددها (13) مصدرًا. وشـــخّص **الفصل الثاني** علاقة المماليك بالقدس ودوافعهم المختلفة من وراء الاهتمام بها، وأثر ذلك على نهضة المدينة وهويتها الحضارية. واســـتعرض **الفصل الثالث** الإدارة المملوكية بالقدس، للمســـلمين والمسيحيين. ويعالج **الفصل الرابع** التركيبة السكانية والطائفية للقدس المملوكية. وفي **الفصل الخامس** أعاد الباحث تخيل شكل القدس المملوكية، وتحديد التغيرات التي طرأت عليها وتشـــخيص مســـميات الحارات والطرقات المختلفة، ومقارنة ذلك بالواقع القائم اليوم. وفي **الفصول الســـادس- التاســـع** يتتبع ضيفنا «الجعبة»، النشاطات المملوكية المعمارية في مختلف أرجاء القدس.

أمـــا **الفصل العاشر**، الذي يطلق عليه «الجعبة» **درّة الكتاب**، فهو أطول فصول الكتاب؛ إذ يشـــكل (28%) من حجم الكتـــاب بمجلداته الثلاثة، فقد اســـتعرض مدارس القدس المملوكية، وتضمن هذا الفصل عرض 29 مدرســـة ما زالت قائمة، علاوة على استعراض عدد معتبر من المدارس والكتاتيب المندثرة. وفي **الفصول الحادي عشر- الرابع عشر**، وعلى نفس المنهج المتبع في الفصل العاشر، اســـتعرض الأربطة (الربط/ الرباطات) التي ظهرت منذ مطلع الفترة المملوكية، والترب والأضرحة لأعلام من فترة المماليك، علاوة على المقابر الضخمـــة التي لفّت القدس والتـــي دفن فيها آلاف من أعلام العصر، والمآذن والمســـاجد المملوكية التي بنيت خارج المسجد الأقصى.

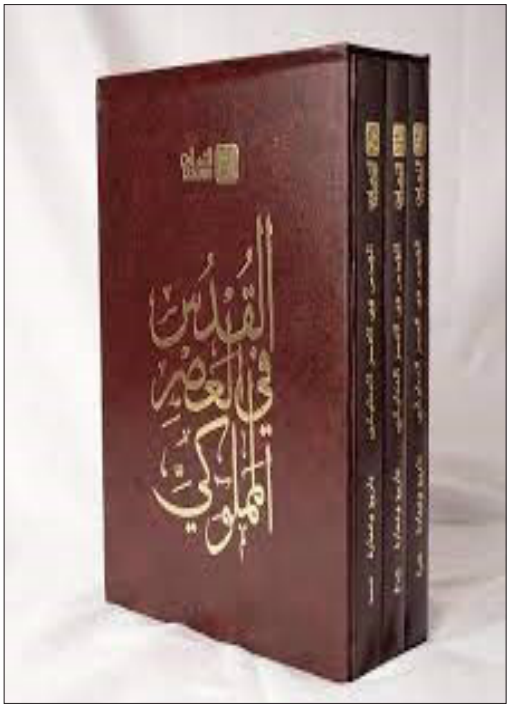

لوحة (9): صندوق يحتوي مجلدات كتاب «القدس في العصر المملوكي»

ويتخصص **الفصل الخامس عشر** بالقصر المملوكي الوحيد الذي وصلنا، وهو قصر الست طنشق المظفرية، الذي يعد المبنى السكني المملوكي الوحيد، الذي يمكن تأريخه على وجه التقريب (الجعبة، 2024، ص: 895). وبحث **الفصل السادس عشر**، وهو الأخير، في هوية العمارة المملوكية في القدس، وذلك كاستنتاج لما تم عرضه في الفصول السابقة، من مبانٍ وتدخلات معمارية مملوكية، تجاوز عددها 100 مبنى (الجعبة، 2024، ص: 912).

وينتهي الكتاب بملحقيْن، لا يمكن لأي باحث في الشأن الحضاري والمعماري للقدس الاستغناء عنهما، وهما: ملحق (1)، عبارة عن قائمة بالمباني المملوكية في القدس، تضم (122) مبنى (الجعبة، 2024، ص: 928–943). وملحق (2)، يستعرض بالتفصيل المحطات التاريخية الرئيسة في التاريخ الحضاري للقدس القديمة، وصولًا إلى الفترة الواقعة بين النكبة –1948– وطوفان الأقصى (2023)، وما تضمنته ضغطًا غير عادي لإعادة تغيير

وجــه المدينة (الجعبــة، 2024، ص: 944–1007). ومن الطبيعــي أن يتبع ذلك كله قائمة بمصادر هذا الكتاب ومراجعه، التي تجاوزت الخمســمائة (نصفها باللغة العربية والنصف الآخر بالإنكليزية).

2-3 نظمي الجعبة: مؤلفًا ومحررًا مشاركًا: بعض المؤلفات

لقد كثرت الأنشطة التأليفية والتحريرية لضيفنا، وتعددت، بمشاركة آخرين، ففي عام 1999، أصدر ضيفنا «الجعبة»، بالشراكة مع الباحث المقدسي «يوسف النتشة» كتاب «كنوز القدس المعمارية»، الــذي يقع في (...) صفحة، وقد صدر عــن وزارة التخطيط والتعاون الدولي الفلسطينية، باللغتين العربية والإنكليزية (الجعبة والنتشة، 1999).

في عام 2002 تزاحمت أنشــطة المشــاركة في التأليف و/ أو التحريــر لضيفنا «الجعبة»، وعددها خمســة مؤلفات، هي: 1) قام على تحرير كتاب «المشهد الحضاري في أرطاس– برك سليمان وتزويد القدس بالمياه من الفترة الرومانية حتى الوقت الحاضر»، وهو رقم (3) ضمن سلسلة «رواق في تاريخ العمارة في فلسطين»، قام عليها «مركز المعمار الشعبي– رواق»، وقد وقع الكتــاب في (112) صفحة من القطع الكبير، وهو من تأليف الباحث «جمال برغوث» (برغوث، 2002). 2) وأما رقم (4) من نفس السلسلة، فقد قام ضيفنا بتأليف كتاب: «رام الله: عمارة وتاريخ» بالشراكة مع الباحث «خلدون بشــارة» (الجعبة وبشــارة، 2002). 3) وضمن نفس السياق التراثي والمعماري، أتبع ضيفنا،

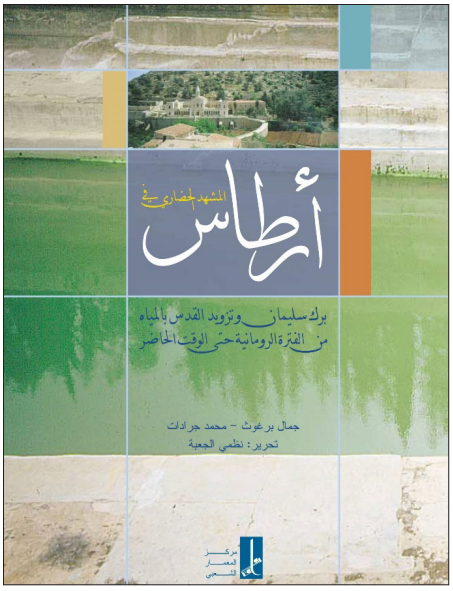

لوحة (10): غلاف كتاب المشهد الحضاري في أرطاس

في نفس العام –2002– بكتابين بعنوان «**التراث الثقافي في فلسطين**»[1]؛ الأول في العمارة، والثاني في **الآثار**[2]. 4) كما صدر في عام 2002 عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي المركز الثقافي في أبو ظبي كتاب بعنوان «**القدس في صور**: 186–1960»، كتب نصوصه ضيفنا «نظمي الجعبة»، وهو من إعداد وإخراج فني ناتاشا المعاني، والتصوير المركزي (وفا) جمعية الدراسات العربية، وقد وقع الكتاب في (118) صفحة من القطع الكبير. وقد اجتذبت غالبية الصور قبة الصخرة المشرفة ومباني الحرم القدسي وكنيسة القيامة (الجعبة، 2002 أ).

في حين أن عام 2003 لم يشهد على أي مؤلفات لضيفنا، منفردة أو بالمشاركة، فإنه كان في عام 2004 مؤلفًا مشاركًا في كتاب باللغة الإنكليزية عنوانه «Pilgrimage, Science and Sufism. Islamic Art in the West Bank and Gaza»، عن «متحف بلا حدود في فيينا» (Natsheh, et al; Jubeh, 2007b)، وصدر في عام (2005) بالعربية، عن مؤسسة الدراسات

(1) يُنظر أيضًا: Jubeh, 2009c.

(2) ينظر: Jubeh, 2006b.

الفلسطينية بالقدس، بعنوان «**مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي: دراسات في تاريخ القدس الاجتماعي والثقافي**»، يقع في (221) صفحة من القطع الكبير، تساءل فيه الباحث يوسف النتشة: هل صمم المعماري سنان باب العمود؟ وكتب فيه «الجعبة» بفصل بعنوان «**بين باب العامود وباب الخليل صراع الأبواب على الحداثة المقدسية**» (الجعبة، 2005).

وفي عام 2006، كان ضيفنا محررًا ومؤلفًا مشاركًا في «**سجل رواق للعمارة التاريخية في فلسطين**»؛ وهو مشروع بإدارة نظمي الجعبة وسعاد العامري، عبارة عن سجل وطني للمواقع التاريخية في فلسطين، شارك في عدد كبير من الباحثين (مجموعة مؤلفين، 2007).

في عام 2008، شارك ضيفنا «الجعبة» في مؤتمر المصادر الأرشيفية والتاريخ الاجتماعي في فلسطين بفصل بعنوان «**سجل رواق للمباني التاريخية، واستعمالاته لرصد تاريخ القرى المدمرة، العمارة وثيقة تاريخية**»، قامت مؤسسة الدراسات الفلسطينية بنشره في طبعتين (2009 و2011)، تحت عنوان «**أوراق عائلية: دراسات في التاريخ الاجتماعي المعاصر لفلسطين**» (الجعبة، 2009 ج).

في عام 2010م، أصدرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية كتابًا- مجلدًا عبارة عن وقائع مؤتمر «**القدس تاريخ المستقبل: دراسات في حاضر وماضي مدينة القدس**»، بدعم من مؤسسة التعاون، وقع في (532) صفحة من القطع الكبير، شارك فيه ضيفنا «الجعبة» بفصل بعنوان «القدس بين الاستيطان والحفريات» (الجعبة، 2010).

توصل «الجعبة» في هذا الفصل إلى أن هناك هجمة استيطانية تتركز في البلدة القديمة والمنطقة المحيطة بها، وذلك في محاولة لحسم الوضع على الأرض -من طرف واحد- من خلال: الحفريات، والاستيطان، وهدم المنازل في المناطق المستهدفة استيطانيًّا (الجعبة، 2010، ص: 35؛ الجعبة، 2009-2010، ص: 17-18).

في عام 2018م، شارك ضيفنا «الجعبة» في كتاب صدر باللغة الإنكليزية ببرلين[1]، بفصل

(1) عنوان الكتاب:

Reclaiming the Past for the Future: Oral History, Craft, and Archaeology: Adel Yahya in memoriam

ترجمة عنوانه «**التراث الثقافي في فلسطين: التحديات والفرص**» (Jubeh, 2018)[1]، وفي عام 2019م شارك في كتاب باللغة الإنكليزية ترجمة عنوانه «القدس: الأبعاد الدينية والوطنية والدولية»، بفصل، بحجم (50) صفحة، ترجمة عنوانه «**الأماكن المقدسة في القدس**» (Jubeh, 2019c).

في عام 2021م، أصدرت وكالة بيت مال القدس «أوراق ندوات علمية متخصصة» في كتاب، بعنوان «القدس القديمة: جواهر معمارية عالمية»، بحجم (241) صفحة من القطع الكبير، شارك فيه ضيفنا بفصل بعنوان «**أصول العمارة والبنيان في بيت المقدس بين صورة الماضي وحاجيات الحاضر والمستقبل**»، شكّل نصف حجم مجموع المشاركات في هذا الكتاب (الجعبة، 2021 ج). اتضح من هذا الفصل أنه بسبب مركزية القدس لدى الديانات السماوية، تركت كل ديانة وحضارة مرت على المدينة عمائر تظاهرت عبرها بأفضل ما لديها، لذلك اختزنت القدس القديمة بين أسوارها التاريخية سلسلة كبيرة من العمائر التاريخية المميزة (الجعبة، 2021 ج، ص: 118).

رابعًا- نظمي الجعبة كاتبًا وباحثًا

بمتابعة الأبحاث والدراسات التي أجراها ضيفنا «الجعبة»، وجدنا أن أول مقال له كان باللغة الإنكليزية بالشراكة مع (Marsia Escribano)، كان في عام 1981، ترجمة عنوانه «**الهجرة والتغير في قرى الضفة الغربية: حالة قرية دير دبوان**» (Jubeh, 1981).. وبعد هذا المقال بمدة طويلة «نسبيًّا»، وهي المدة التي تخللها السفر إلى ألمانيا، لنيل الماجستير والدكتوراه، نجد أنه عاد وانطلق في النشر في مجلات مختلفة، وجدنا أن ثلثيها في مجلات «مؤسسة الدراسات الفلسطينية».

وسنتتبع في هذا الجانب الإنتاج البحثي لضيفنا، باللغات: العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية، باستثناء المقالات المنشورة في الصحف.

(1) يُنظر أيضًا: Jubeh, 2010؛ Jubeh, 2006a؛ Jubeh, 2008.

1-4 نظمي الجعبة: يتتبع الحفريات والمشروع الاستعماري الاستيطاني

يعيد ضيفنا «الجعبة» جذور المأساة التي تمر بها المدينة وسكانها إلى «وعد بلفور»، من خلال مقاله بعنوان «مئة عام على إعلان بلفور: القدس في المخطط الحضري البريطاني، 1919»، إذ توصل إلى أن مخططات تغيير معالم القدس لم تولد مع الاحتلال الإسرائيلي للجزء الغربي منها في سنة 1948، ولا بعد هزيمة 5 حزيران/ يونيو 1967 واستيلاء إسرائيل على كل فلسطين التاريخية، وإنما تعود أساسًا إلى زمن الاحتلال البريطاني، ومنها مشروع المخطِّط الحضري باتريك غدز (Patrick Geddes) إلى جانب مخططات حضرية بريطانية أخرى، وضعت لتدعيم الدولة اليهودية وفقًا لما تضمنه إعلان بلفور، ولإزالة الطابع الفلسطيني التاريخي للقدس (الجعبة، 2019 و؛ Jubeh, 2019d).

وهناك عدد من الأبحاث لضيفنا «الجعبة»، ناقش فيها المشروع الاستيطاني الاستعماري من مختلف الجوانب: ففي عاميّ 2001 و2002 كتب باللغتين العربية والإنكليزية عن «**تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس**» مبينًا ثلاث مراحل لتطور الاستيطان اليهودي فيها، منذ احتلالها سنة 1967، واستعرض المجموعات والحركات الاستيطانية العاملة في المدينة، وكذلك أسلوب السيطرة على عقاراتها (الجعبة، 2002ب؛ Jubeh, 2001a). وأعيد نشر نفس المقال في مجلة «حوليات القدس» بالعربية في عام 2003 (الجعبة، 2003 أ).

كما نشر «الجعبة» في عام 2003 مقالًا بعنوان «**الاستيطان الإسرائيلي في منطقة القدس**»، تناول فيه المشروع الاستيطاني الإسرائيلي في القدس ومحيطها، الذي استهدف عزل القدس عن الضفة الغربية بأطواق من المستعمرات وطريق دائرية وجدار «أمني»، وبالتالي القضاء على إمكان إيجاد حل لمعضلة القدس (الجعبة، 2003 ب).

وبعد نحو سبع سنوات، استطرد ضيفنا «الجعبة» للكتابة في هذا الموضوع، فنشر في حوليات القدس في عددها الصادر (ربيع 2009–2010) مقالًا بعنوان «**القدس بين الاستيطان والحفريات**»، تمت مناقشته أعلاه في وقائع مؤتمر «القدس تاريخ المستقبل»

(الجعبة، 2009–2010).

وفي عـــام 2012، نشر «الجعبة» مقالًا بعنوان «**الاســـتيطان الكولونيالي في الضفة الغربية والقدس: قراءة في أبعاد وأشـــكال الســـيطرة عـــلى الأرض**»، خلص فيـــه إلى أن المجتمع الإسرائيلي ذهب في اتجاه اليمين، وأن الاستيطان يبقى الهم الأساسي للفلسطينيين، وسيؤدي دورًا أساســـيًّا في تحديد شكل الحل السياسي، هذا إذا لم تطرأ تغيرات سياسية تؤدي إلى قلب المعادلات المطروحة كافة (الجعبة، 2012 أ).

وفي عام 2015؛ وهو العام الذي شـــهد على هبّة القدس، نشر مقالًا بعنوان «اســـتيطان القدس: تنفيذ خطط قديمة» بيّن فيه أن المشـــاريع ليست مستحدثة، فالاحتلال يعمل على تهويد المدينة بشـــكل شمولي، وضمن مخطط مســـبق وضعته الأجهزة الإسرائيلية المتعددة، ومن ضمنها بلدية الاحتلال (الجعبة، 2015 أ).

وغير بعيد عن هذا السياق، أردف «الجعبة» في عام 2015 أيضًا بدراسة بعنوان «**القدس في الإســـتراتيجية الإسرائيلية**» تتبع فيها العناصر الأساســـية التي شـــكلت الإســـتراتيجية الإسرائيلية تجاه القدس، أهمها: «إعادة بناء الدولـــة اليهودية وعاصمتها القدس»، وانتزاع اعتراف دول العالم بضمانة دولية مؤسســـة على القانون الدولي، ومواثيق مؤسسات الشرعية الدولية القائمة آنذاك (الجعبة، 2015 ب).

وفي عام 2016، خصص ضيفنا «الجعبة» دراســـة حول المسجد الأقصى المبارك، بعنوان «**المســـجد الأقصى: تجليات الصراع والســـيطرة**»، وقد جاءت في بـــاب «وقائع القدس» في العدد (105) من مجلة الدراســـات الفلســـطينية. وتم نشر نفس الدراسة باللغة الإنكليزية أيضًا (Jubeh, 2016a). لقد وضعتنا هذه الدراسة أمام إستراتيجية مهمة مفادها أن مخطط السيطرة على المســـجد الأقصى بدأ فعلًا، بعد احتلال القدس في سنة 1967، وأن الخطوات الإسرائيليـــة (التالية) ما هي إلا (حلقات) في سلســـلة طويلة من الإجـــراءات الهادفة إلى الســـيطرة على المســـجد. وخلص الباحث إلى أن مركزية المسجد الأقصى غير كافية لفهم ما آلت (وتؤول) إليه الأمور؛ فالقدس المشـــتعلة، بكل معالمها، تكشف عن نظام عنصري بنى

أدواته منذ استكمال احتلال المدينة عام 1967 (بتصرف: الجعبة، 2016)[1].

وفي عـــام 2019 ربط ضيفنا بين الحفريات الإسرائيليـــة في القدس منذ عام 1967 وكل من: الرواية التوراتية والاستيطان، من خلال مقالة في مجلة قضايا إسرائيلية، باللغتين العربية والإنكليزية، بعنوان «**الحفريـــات الإسرائيلية في القدس منذ العام 1967: من مصنع الرواية التوراتية إلى مصنع الاســـتيطان**». ومما جاء في خاتمة هذه المقالة: مرت أكثر من خمســـة عقود على احتلالها وما زال مظهرها (هويتها) الأســـاس عربية، مما سرع المشروعات الإسرائيلية المختلفة لتغيير مشهد المدينة، وإكسابه هوية مغايرة، إن لم تكن يهودية إسرائيلية، فعربية أقل (الجعبة، 2019 ج؛ Jubeh, 2019a).

وفي عام 2021، تتبع «الجعبة» تدشـــين إسرائيل، بحضور أمريكي، لنفق سمّوه تضليلًا «درب الحجـــاج»، ونشر مقالًا بعنوان «**تحويل مجاري القدس الرومانية إلى «درب الحجاج»: مســـعى يميني صهيوني وإفنجيلي جديد لتزوير التاريخ**» (الجعبة، 2021 د)، بيّن فيه أن حفر هذا النفق يشكل جزءًا من إستراتيجيا سلطة الآثار، لتعزيز الرواية التوراتية لتاريخ القدس من منظور إسرائيلي، وبغلاف علميّ» (الجعبة، 2021 د، ص: 58-59).

4-2 نظمي الجعبة: يسلط الضوء على صمود المقدسيين وبقائهم -نماذج مختارة-

نـــشر «الجعبة» في عـــام 1996م مقالًا بالألمانيـــة ترجمة عنوانه «القدس: بيت الشـــعب الفلسطيني» (Jubeh, 1996a)، ومقال آخر بعنوان «Jerusalem Aelter als 3000 Jahre» (Jubeh, 1996b). ونشر في عام 2000 مقالًا باللغة الإنكليزية، ترجمة عنوانه «**أهمية القدس: وجهة نظر إسلامية**» (Jubeh, 2000a)، ومقال آخر بالألمانية، ترجمة عنوانه «**تاريخ القدس الإســـلامية**» (Jubeh, 2000b). وبنظرة فاحصة ومتمعنة لما يجري في القدس ومحيطها، وإلى جانب متابعته لما يقوم بـــه الاحتلال الإسرائيلي من إجراءات تهويدية، رصد ضيفنا «الجعبة -بعين صقر- تلك المشـــاهد والصور البطولية التي سطرها المقدسيون في مواجهة الهجمات الاحتلالية المختلفة على الهوية العربية والإسلامية لمدينتهم.

(1) يُنظر أيضًا: Jubeh, 2010.

ففي عام 2012 بحث ضيفنا «الجعبة» أوضاع القدس، وما يحدث فيها من تطورات يومية، عندما استعرض بعض المشاهد من حياة المدينة، وهي أربعة عشر مشهدًا، ويختم «الجعبة بـ«المشهد الشامل»، الذي يعني أن القدس بقدر ما هي جوهر قضية فلسطين، هي لبّ الصراع العربي الإسرائيلي، وهي بالتأكيد قضية دولية بامتياز، وإن كل هذه المعادلات ستأخذ دورها في تشكيل مستقبل المدينة» (الجعبة، 2012 ب، ص: 24-25).

وفي عام 2014، نشر «الجعبة» مقالًا بعنوان «**القدس: خمسة عقود من القهر والتهميش: الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للحراك المقدسي**»، ونشر تحت نفس العنوان باللغة الإنكليزية في كتاب ««The Other Jerusalem: Rethinking the History of the Sacred City» (Jubeh, 2015)، ناقش فيه وضع القدس -منذ عام 1967- تحت عدد من العناوين، منها: الإلحاق والتهميش الاقتصادي، والاستيطان والسيطرة على الأرض... الخ. (الجعبة، 2014).

لقد توصل الباحث -الجعبة- في هذا المقال إلى أنه، بالرغم من كل أدوات الطرد التي مارسها الاحتلال في القدس للتخلص من أكبر عدد من الفلسطينيين، فإن نسبتهم فيما يسمى «القدس الموحدة» تقترب من 40% بعد أن كانوا لا يشكلون 20% سنة 1967م. إن هذه المسألة ستكون من العوامل المهمة في تقرير مستقبل المدينة (الجعبة، 2014).

في عام 2017، وبمناسبة مرور نصف قرن على استكمال احتلال القدس، نشر «الجعبة» مقالًا بعنوان «**القدس: خمسون عامًا من الاحتلال**» (الجعبة، 2017 أ)، ومقال آخر بالإنكليزية -بنفس العنوان- (Jubeh, 2017)، خلص فيه الكاتب إلى أن الشطر الشرقي من القدس يواجه في ذكرى مرور نصف قرن على احتلالها تحديات جسامًا، لكن سكان المدينة استطاعوا الصمود أمامها، وحافظوا بشكل معقول وضمن الإمكانات المتاحة على وجودهم (الجعبة، 2017 أ، ص: 155).

عندما أعلن الرئيس الأمريكي في أواخر عام 2017، أن القدس عاصمة لإسرائيل، كتب «الجعبة مقالًا بعنوان «**القدس في عين العاصفة: بين انتفاضة الأقصى وقرار ترامب**» (الجعبة، 2018 أ)، استذكر فيه «الجعبة» تجربة تموز/ يوليو 2017 عندما قاوم المقدسيون

مخرز الاحتلال وأجبروه على تفكيك البوابـات الإلكترونية والكاميرات التي وضعها على بوابات المسـجد الأقصى، مؤكدًا على دورهم في تقرير مستقبل المدينة أيضًا (الجعبة، 2018 أ، ص: 46).

في عام 2021، وفي خضم الأحداث التي شهدها **حي الشيخ جراح المقدسي**، كان لضيفنا مساهمة في ملف «فلسطين تنتفض»، الذي أعدته مجلة الدراسات الفلسطينية، بعنوان «**حي الشيخ جراح ومعركة البقاء**»، ونفس المقال باللغة الإنكليزية في «Jerusalem Quarterly»، سـلّط فيهما الضوء على هذا الحيّ القادم من عمق التاريـخ والحضارة، وصولًا إلى القضية التي أثارت الرأي العام الفلسـطيني والعربي والعالمي، في عـام 2021، والمتعلقة بمحاولة المجموعات الاستيطانية الاستيلاء على (28) وحدة سكنية كانت عائلات مقدسية قد قطنتها وفق اتفاق بين الحكومة الأردنية والأونروا والسـكان في عام 1956، وتوصل «الجعبة» إلى نتيجة مهمـة مفادها «أصبح العالم أكثر انفتاحًا على نقاش مسـألة عدم ائتمان إسرائيل على إدارة أكثر مدن العالم قدسية» (الجعبة، 2021 ب؛ Jubeh, 2021a).

وفي عام 2023، أصدر «الجعبة» دراسة محكمة بعنوان «**سلوان: إرادة صمود في مواجهة سياسـة السلب**»، اسـتعرض فيها مكونات (أحياء) سـلوان، وما تتعرض له من هجمات اسـتيطانية، ويتعمق في وصف كل حي على حدة، معتمدًا على ذكرياته الغنية عن سـلوان. وخلص «الجعبة» إلى أن حركة الاسـتيطان في سـلوان، المدعومة بقـدرات مالية ضخمة، يقابلها التحدي الفلسطيني دفاعًا عن العقارات، وحركة جماهيرية مشبعة بالوعي بالألاعيب «القانونية» الإسرائيلية كافة (الجعبة، 2023؛ Jubeh, 2023).

3-4 القدس في فكر «نظمي الجعبة»

لا نكاد نقرأ عنوانًا لكتاب من الكتب التي ألفها أو حررها ضيفنا –منفردًا أو بالشراكة–، أو لمقال له، أو لفصل شـارك به في كتاب، إلا ونجد القدس حاضرة فيه، مباشرة أو برمزية ما. ففي عام 2009 نشر ضيفنا «الجعبة» مقالًا في حوليات القدس، بعنوان «القدس عاصمة للثقافة العربية بين الخطاب السياسي وخطاب الحضارة» (الجعبة، 2009 د)، مما جاء فيه:

تربعت القدس على عرش الثقافة الفلسـطينية لعقود طويلة (...) وقد انتصرت في هذا

الســياق، لتملكها عناصر ثقافية تؤهلها ليس فقط لأن تكون عاصمة ثقافية فلســطينية، بل حتى عربية وعالمية. فالقدس مرتبطة وجدانيًّا بأكثر من نصف سكان الكرة الأرضية، وبهذا لا يمكــن لأي مدينة أن تنازعهــا، وإن نجحت فذلك إلى حين تفرق الغيوم فوق ســمائها (الجعبة، 2009 د، ص: 9).

وفي عام 2011، ناقش «الجعبة» المشهد الثقافي المقدسي في دراسة بعنوان «**القدس القديمة ومحيطها: الانقلاب على المشهد الثقافي وتهويده**» (الجعبة، 2011). حذّر «الجعبة في هذه المقالة من النتائج المتراكمة الناجمة عن فرض إسرائيل «حقائق» يومية على الأرض الفلسطينية، من أجل حســم الصراع بشأن المشهد البصري للمدينة، وكذلك مشهدها الثقافي، وتغيير الهوية العربية التي بقيت عربية حتى الآن (palestine-studies.org /ar /node /37833).

وفي عام 2017م؛ وهو عام اســتكمال نصف قرن على احتلال الشطر الشرقي من المدينة، وفي ملف «حزيران بلا قتال»، الذي قامت على إعداده مجلة الدراســات الفلسطينية، شارك ضيفنا «الجعبة» بمقال بعنوان «**مقتطفات من يوميات فتى مقدسي**»؛ يستذكر فيه اللحظات الأولى لاحتــلال المدينة في أوائل حزيران 1967م، وما تركتــه في ذات أطفال تلك اللحظة -الجعبــة أحدهم بعمر 12 عامًــا- وتركت ندبًا مؤلمة وموجعة في نفوســهم الغضّة الطرية (الجعبة، 2017ب).

ومن طريف ما كتبه ضيفنا «الجعبة» قصة «**الشيخ حسن اللبدي**»؛ وهو الرجل الذي واجه الشرطة البريطانية، في بدايــة 1939م، حينما منع الشرطة والجيش البريطاني من الدخول إلى المسجد الأقصى، فاستلّ -اللبدي- خنجره وطعن الضابط في مقتل، فحكم عليه بالإعدام، فتحوّل الحكم إلى المؤبد، وأودع في ســجن عكا. وفي عام 1982م تمكنت عائلته من التعرف عليه في مستشــفى الأمراض العقلية بدير ياســين، فأخرجه أقاربه من المستشفى، وتم نقله إلى عمان، عند ابنه «غازي». وبعد ثلاثة أشــهر فارق الشــيخ اللبدي الحياة، فرحل حاملًا معه روايات ثمينة عن مأساتنا (الجعبة، 2008؛ الجعبة 2007). وبالتزامن، نشر نفس المقال باللغة الإنكليزية (Jubeh, 2007a).

وفي عام 2020، نــشر ضيفنا «الجعبة» مقالًا باللغة الإنكليزية، بمثابة تأبين لابن القدس

«ألبرت أغازاريان»؛ المؤرخ والخبير في العلاقات العامة، الذي كان مصدرًا مهمًّا للمعلومات عن فلسطين والقدس (Jubeh, 2020a).

4-4 معالم القدس في كتابات «نظمي الجعبة»

لقد جاءت الإنجازات الفكرية لضيفنا «الجعبة» حول القدس وتفاصيل شؤونها وشجونها، في شتى المجالات، ومنها معالم المدينة التي عاشها وعايشها منذ نعومة أظفاره.

ففي عام 2003م نشر ضيفنا «الجعبة» مقالًا باللغة الإنكليزية ترجمة عنوانه «باب المغاربة: مسمار جحا في الحرم الشريف» (Jubeh, 2003a).

في عام 2012، أسهم بفصل بعنوان «**أسوار القدس بين الأصالة العثمانية والتشويه الإسرائيلي**» (الجعبة، 2012 ج). وفي عام 2015، نشر في مجلة اللقاء، بحثًا بعنوان «**متاحف القدس: التاريخ العربي بين الإهمال وتحدي الرواية**»، استعرض فيه تسعة متاحف في القدس (الجعبة، 2015 ج).

في عام 2009م، نشر ضيفنا «الجعبة» مقالًا باللغة الإنكليزية ترجمة عنوانه «**العمارة كمصدر للتوثيق التاريخي**» (Jubeh, 2009a). وفي عام 2018 شارك ضيفنا في مؤتمر «الوقف الإسلامي في القدس»، بورقة بعنوان «**دور الوثائق الوقفية في استجلاء التركيبة الحضرية والمعمارية لمدينة القدس: المدرسة التنكزية كحالة**»، أفاد فيها أن الوثائق تساهم في تتبع العقارات ليس فقط من باب انتقال الملكيات، بل أيضًا ما طرأ عليها من أعمال ترميم وصيانة وإضافات واستخدام. كما يمكن عبر الوثائق الوقفية تحديد مراكز تجمع الطوائف والمجموعات الأثنية المختلفة في المدينة، وبالتالي أيضًا مكانتها وطبيعة الحياة التي كانت تعيشها (الجعبة، 2018 ب).

في عام 2019، نشر «الجعبة» مقالًا بعنوان «**مقبرة باب الرحمة**»، وآخر بالإنكليزية ترجمته «**مقبرة باب الرحمة.. الاعتداءات الإسرائيلية مستمرة بلا هوادة**»- استعرض فيهما مقبرتَي ماميلا، وباب الساهرة، ثم توقّف بالشرح والتحليل عند مقبرة باب الرحمة التي يُطلق على جزئها الشمالي «المقبرة اليوسفية»، والجزء الجنوبي يحمل اسم «**مقبرة باب الرحمة**». وتتبع «الجعبة» الاعتداءات المتكررة من قبل الاحتلال على هذه المقبرة، بهدف

السيطرة وتحجيم الوجود الفلسطيني في المدينة، وزيادة الرموز الإسرائيلية واليهودية، لعـــل ذلك يقنع الإسرائيليين ثم يقنع العالم بأن القـــدس هي مدينة إسرائيلية (الجعبة، 2019 د Jubeh, 2019b).

في عام 2020م، صـــدر لضيفنا «الجعبة» مقال باللغة الإنكليزية، ســـلّط فيه الضوء على دور منظمـــة الأمم المتحـــدة للتربية والعلـــم والثقافة (اليونســـكو) في الحفاظ على التراث الثقـــافي والطبيعي في مدينة القدس (Jubeh, 2020b). وفي عام 2021 صدر له مقال باللغة الإنكليزية ترجمته «**طريق باب السلسلة: صورة لسوق المدينة القديمة**» (Jubeh, 2021b).

أضـــف إلى ذلك مقالته المنشـــورة باللغة الألمانية، ترجمة عنوانهـــا «**متحف الذاكرة بعين سينيا: مثال على الحفاظ على الآثار في فلسطين**» (Jubeh, 2003b).

خامسًا: التعليم الجامعي: تجربة جعلته حيًّا في نفوس الأجيال القادمة

لقـــد قيل الكثير عـــن المعلم والتعليم، وكل مـــا قيل ينطبق على ضيفنـــا «الجعبة» الذي عمـــل في التعليم الجامعي لنحو أربعين عامًا، درّس فيها مســـاقات: تاريخ فلســـطين، آثار فلسطين الإســـلامية، التاريخ الأموي، تاريخ القدس، التراث الثقافي، مصر وبلاد الشام في صدر الإســـلام، التاريخ الحضاري لفلسطين، تاريخ العمارة في فلسطين، الفرق الإسلامية، الحضارة العربية الإسلامية.

وتـــوج التعليم الجامعي بـــالإشراف على عديد من رســـائل الماجســـتير، التي تنوعت موضوعاتها منها، مثل:

1) ناجح بكيرات. **مســـاجد يافا: جامع حســـن بيك وجامع يافا الكبير: دراســـة أثرية ومعمارية**. القدس: جامعة القدس، 2000.

2) بكر زعرور. **الحجاب في التاريخ الإسلامي المبكر وعلاقته بالصورة النمطية المعاصرة للمرأة المسلمة**. (بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2017).

3) جاد أبو سعد. **أثر حضارة بلاد الشام على أديان العرب قبل الإسلام**. بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2013.

سادسًا: العمل السياسي: تجربة المفاوضات

نظرًا لما امتلكه «الجعبة» من دراية ومعرفة عميقة بالقدس وشؤونها وشجونها وقضاياها، وما يتعلق بتفاصيل الصراع القائم مع الاحتلال حول عناصر هويتها ذات الأبعاد التاريخية والحضارية والعمرانية والسكانية كافة، فإنه من الطبيعي أن يتكئ عليه المرحوم فيصل الحسيني، ومن ثم المرحوم ياسر عرفات، ليكون عضوًا فاعلًا ومستشارًا لشؤون القدس في المفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية، التي كان ملف القدس أكثرها تعقيدًا.

وعليه، نجد أن اسم ضيفنا «الجعبة» قد تكرر في عدد من الجولات التفاوضية في مفاوضات واشنطن عقب مؤتمر مدريد. لكن، بتوقيع تفاهمات أوسلو التي عارضها، ابتعد عن ملف المفاوضات.

سابعًا: أنشطة أخرى، وأخرى لم تكتمل

لم يقتصر الجهد البحثي لضيفنا «الجعبة» على القدس وآثارها، وتراثها، ومعالمها، وإنما كان له صولات -بحثية- في قضايا تراثية ومعمارية مختلفة -تم ذكرها أعلاه- وقضايا سياسية ووطنية. في عام 1993م شارك بفصل باللغتين الألمانية والإنكليزية، ترجمة عنوانه «**أنماط استيطان جنوب بلاد الشام- الشام في القرن العشرين**» (Jubeh, 1993). وفي عام 1997م نشر مقالًا باللغة الإنكليزية، ترجمة عنوانه «**تأثير السياسة على علم الآثار**»، عبارة عن فصل في كتاب «Jerusalem What Makes for Peace» (Jubeh, 2002a).

وفي عام 2002م، نشر مقالًا باللغة الإنكليزية، ترجمة عنوانه «**مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومفاوضات الوضع النهائي**: مراجعة للمواقف» (Jubeh, 2002a). ومقال آخر، ليس ببعيد عن القدس، نشر في نفس العام -2002- باللغة الإنكليزية بعنوان ترجمته «**عزل القدس العربية**» (Jubeh, 2002b). وفي عام 2001م، كان لضيفنا فصل في كتاب باللغة الألمانية، ترجمة عنوانه «**بناء المجتمع المدني الفلسطيني- بيان المشكلة**» (Jubeh, 2001b).

من جانب آخر، كان لمدينة الخليل نصيب في الجهد البحثي لضيفنا «الجعبة»، مثل: في عام 1998م، نشر مقالًا باللغة الألمانية، ترجمة عنوانه «**الحياة في الخليل والعيش في مدينة**

مقســـمة» (Jubeh, 1998). وفي عام 1999م، نشر مقالًا بالألمانية، ترجمة عنوانه «**الخليل في ملف الآثار**» (Jubeh, 1999).

رغم هذا الإنتاج البحثي والفكري المكثّف، والمتعدد الأبعاد والأشــكال، والأنواع، إلا أن ضيفنا «د.نظمي الجعبة» يخطط لإصدار كتابيْن باللغة العربية، هما:

1. عمارة العالم: التطور المعماري والحضاري للقدس القديمة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
2. قصر هشام: التاريخ الحضاري لفلسطين الأموية (العمارة المدنية)، 2024–2025.

ثامنًا: حوار مباشــر مع ضيفنــا الباحث والمــؤرخ والمؤلّف والاثريّ والمرمّم المقدسيّ «د.نظمي الجعبة»

كل مــن يعــرف ضيفنا العزيــز «د. نظمي الجعبة» عــن قرب يجده طموحًــا، معطاءً، يمازحــك بلباقة، وتواضع جمّ، وفي المحاضرات يبحر في الشرح والتحليل، وسرد البيانات والمعلومات، بسلاســة وتتابع، يجعلك تسلط النظر والسمع تجاهه؛ لتغرف منه ما استطعت من المعرفة، والمعلومات الدقيقة.

بناء على المتابعات أعلاه، نجد أننا أمام شــخص مقــدسي متعدد الأبعاد، صاحب فكر ثاقــب، مؤمن بعروبة المدينة وإســلاميتها، مدرك لما يجري حولــه في القدس من محاولات تهويد من جانب، ومن مشاهد صمود وبطولة مقدسية من الجانب الآخر. لذلك، لا يمكننا مغادرة هذا المقال قبل التوجه بعدد من الأسئلة، التي نأمل أن ننجح في أن تكون «مجسّات» دقيقة قادرة على سبر غور ضيفنا، الذي يتمتع بالصفات أعلاه.

الســؤال الأول: يتضح من ســيرتكم أعلاه أنك اختلطت بالآخر وأتقنــت لغته، ماذا عن الأكاديميين والباحثين، هــل يتمتعون بالصدق والموضوعية عندمــا يتعلق الأمر بالتأريخ للقدس والحديث عن آثارها ومعالمها؟

الإجابة

اختلاطــي بالآخر كان محدودًا جدًّا، فرضته بعــض الظروف في أوقات محددة. وما عدا حــالات قليلة، لم يكن هذا الاختلاط مريحًا. أما إتقاني للغة العبرية فله ضرورته الأكاديمية

والسياسية، فلا يعقل كمثقفين ألا ندرك ما يدور حولنا منتظرين أن يترجم لنا. لقد كنت فعلًا من أوائل الذين أقبلوا على تعلم اللغة العبرية، وفي دراستي الجامعية (الماجستير) تعلمت حتى العبرية التوراتية القديمة، كجزء من تخصص فرعي في الآثار التوراتية.

الموضوعية غير موجودة لا عند الآخر ولا عند غيره. الآخر لديه أجندة متكاملة مبنية على سردية محكمة، حضرها له الغرب قبل أن يتبناها هو ويقطع بها المزيد من الأشواط. بالعادة يمكن القول إن الرواية الصهيونية لتاريخ القدس، وفلسطين بشكل عام، قد مرت بمرحلتين أساسيتين حين يدور الحديث عن الرواية الأكاديمية. مرحلة الاصطفاف الكامل خلف الرواية الرسمية الصهيونية والتي استمرت منذ تأسيس المؤسسات الأكاديمية الصهيونية على أرض فلسطين، بما في ذلك الجامعة العبرية، وذلك حتى اتفاقية السلام مع مصر عام 1978. أما المرحلة الثانية، فقد أصبحت الرواية أكثر تنوعًا وامتدت هذه المرحلة حتى اليوم. بالتأكيد هناك رواية رسمية إسرائيلية يمكن تتبعها بشكل جلي، لكن يصبح الأمر أكثر تعقيدًا حين يدور الحديث عن الأكاديمية الإسرائيلية الآن، فقد تعددت مدارسها وتياراتها الفكرية، بعضهم قد بنى منهجًا نقديًّا رفض فيه الرواية التوراتية كليًّا، وبعضهم الآخر ما زال متمسكًا بسرديته التوراتية بشكل مطلق. إن كل المناهج النقدية لدراسة تاريخ القدس والتي أصبحت منتشرة جدًّا، لم تؤثر على الرواية الرسمية الإسرائيلية التي ربطت وجودها أصلًا بهذه الرواية.

أصبح الحديث عن آثار القدس وتاريخها، على الأقل بالنسبة للفلسطيني، أقل صعوبة مما مضى، فقد ظهرت دراسات كثيرة بمختلف لغات العالم التي تفكك المبنى الأسطوري للرواية التوراتية، فتحت الباب على مصراعيه أمام الفلسطيني لتقديم سرديته، وأصبحت هذه السردية صعبة جدًّا على الأكاديمي الإسرائيلي.

السؤال الثاني: تبيّن من هذه الدراسة أن أنشطتك البحثية والفكرية والأكاديمية قد تركزت على القدس، وما يجري بشأنها من محاولات تهويدية، وصمود المقدسيين. هل هناك خطة لجمع هذا التراث البحثي في عدد من المجلدات، أم ترى أن الكتب الصادرة من تأليفكم -حتى تاريخه- استوعبت ما ورد في هذه الأبحاث؟

الإجابة

البحث حول القدس ليس قدرًا، بل خيارًا. أنا أعتبر نفسي محظوظًا جدًّا، حين وفقت في تركيز أبحاثي حول القدس، وأعتبر ذلك نعمة ومن أفضل القرارات التي اتخذتها في حياتي. وهناك الكثير مما ينتظرنا بحثه في تراث القدس، وهي أكثر مدن العالم بحثًا، وهناك جوانب كثيرة بتاريخ القدس لم يتطرق لها الفلسطيني بأبحاثه بشكل جدي، حتى إننا ومعنا كل العرب والمسلمين، لم نصل إلى مستوى (كمًّا وكيفًا) ما كتبه الآخر حولها، وبغض النظر عن الموضوعية أو عدمها.

نحن أصحاب قضية، والقدس قلب قضيتنا، نحن على قائمة الشعوب بهذه الأهمية بسبب قبتين، قبة القيامة وقبة الصخرة، من دونهما نحن لا شيء. علينا ألا نغلق جفننا: توثيق، تصوير، بحث، كتابة، نشر... كل شيء حول القدس. أرى نفسي أكتب عن قضية معينة في القدس القديمة مثلًا، لكن عيني على القدس الحالية، بل عيني على قدس المستقبل. هناك خيار وحيد لنا في القدس، هو أن نكون مشتبكين وبكل المجالات وطول الوقت.

لا توجد لدي خطة لجمع مقالاتي بمجلدات، أعتقد أن الوصول إلى المقالات اليوم أصبح متاحًا على الشبكة العنكبوتية، ومن يريد أن يصل إلى مقال ما يستطيع ذلك بسهولة ويسر. الجمع بحاجة إلى جهد ووقت ومال، من الأفضل استخدام هذه الموارد في أبحاث جديدة.

السؤال الثالث: يلاحظ من قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة أن عام 2019 حظي بغزارة ملفتة لإنتاجك البحثي: كتابان وعشرة بحوث (6 بالعربية و4 بالإنكليزية). الأمر الذي لم نلاحظه في الأعوام الأخرى. فما السر في ذلك؟

الإجابة

هذا من باب الصدفة فقط، فكما تعلم أن من هو مثلنا، يقوم بجمع مادة عدة كتب أو عدة أبحاث في الآن نفسه، ويتطور كل بحث بشكل منفصل، بعضهم يحقق نهايات سريعة وبعضهم الآخر قد يتعطل لسبب أو لآخر. كما أن الناشر له أجندته، فقد يستمر الناشر بالعمل على تحرير كتاب ما وإخراجه سنتين أو أكثر. وقد تسلم مقالة لمجلة، تقوم بنشرها

بعد شهر أو بعد سنتين.

السؤال الرابع: لوحظ أن 65% من البحوث والدراسات التي قمت بنشرها باللغة العربية ونحو 40% المنشور بالإنكليزية، تمت في مجلات مؤسسة الدراسات الفلسطينية. كيف تجد هذه المؤسسة، وما هي توصياتكم لتطويرها؟

الإجابة

تعدّ مؤسسة الدراسات الفلسطينية أقدم مؤسسات البحث عن فلسطين وأعرقها، وتمتلك إمكانات واسعة، تصدر العديد من المجلات باللغتين العربية والإنكليزية، ونشرت مئات الكتب حول فلسطين في مختلف المجالات، علاوة على ذلك تنظيم مجموعة من المؤتمرات وورشات العمل، كل عام، حول فلسطين وقضيتها، كما تنظم محاضرات دورية. بلا شك، تعتبر مؤسسة الدراسات الفلسطينية المؤسسة البحثية الأهم على صعيد العالم حول القضية، وهي عنوان لعدد كبير من الباحثين العرب والأجانب.

نشرت لي مؤسسة الدراسات الفلسطينية ثلاثة كتب، ونشرت على صفحات مجلاتها المختلفة عددًا كبيرًا من المقالات باللغتين العربية والإنكليزية، بعض المقالات نشرت باللغتين. كان اختياري لمجلات مؤسسة الدراسات هو سهولة وصول القارئ، خاصة الفلسطيني لهذه المجلات، وأنا أكتب أولًا وقبل كل شيء لأبناء شعبنا، حيث إنني أعتقد أن التحصن بالرواية، مكون أساس من مكونات الهوية الوطنية.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، هيئة مستقلة، ومن أعضاء مجلس الأمناء ما يشار لهم بالبنان في حقول السياسة، والفكر، والبحث، والنشر، والأدب. وعلى حد علمي، تقوم المؤسسة بمراجعات نقدية دورية لعملها، وتبحث عن طرق جديدة. وبالرغم من كل الظروف التي مرت على منطقتنا وقضيتنا، إلا أن مؤسسة الدراسات الفلسطينية قد حافظت على نفسها وعلى وتيرة إنتاج عالية.

السؤال الخامس: هناك باحثون من المقدسيين من كتبوا في مجالات متقاربة -لاسيما في التراث والعمارة- كالباحث يوسف سعيد النتشة وغيره، فهل تخططون لأعمال مشتركة تحفظ هوية المدينة وتحافظ عليها؟

الإجابة

لا أخفيك القول إن هناك مجموعة كبيرة من الزملاء الذين يتشاركون الاهتمام نفسه، ولكن لا توجد حتى أفكار لأي عمل مشترك. أنا شخصيًّا لا أتكيف جيدًا في العمل البحثي مع الآخرين، وأعتبر العمل البحثي، في عمري على أقل تقدير، هو عمل فردي، لأنني أميل إلى الحرية الفكرية، ولا أقبل الضوابط التي توضع للأبحاث المشتركة. وبالرغم من ذلك، إن كانت هناك فكرة مثيرة لأعمال مشتركة، فلن أكون إلا داعمًا.

السؤال السادس: ما هو المشروع البحثي القادم للدكتور نظمي الجعبة، وما نصيب القدس منه؟

الإجابة

الموضوع القادم، وقد انتهيت منه تمامًا، وسأقوم خلال الأيام القادمة بدفعه للناشر يدور حول قصر هشام في أريحا، لكنه يعالج السياق الحضاري في فلسطين الأموية. يطرح الكتاب فكرة أن فلسطين في نهاية الفترة البيزنطية كانت تعيش أوضاعًا صعبة، حيث انتشر الدمار في مناطق واسعة منها. وأن الفترة الأموية هي فترة إعادة ترميم لفلسطين، بل إن فلسطين الأموية بلغت مرحلة متقدمة جدًّا في التمدن.

بالطبع، يعتبر قصر هشام أهم قصر من القصور الأموية في كل بلاد الشام، ويعتبر أيضًا مرحلة متقدمة فنيًّا ومعماريًّا في الرقي الحضاري الأموي، وبالتالي يعالج الكتاب المصادر الحضارية لهذه الفنون ويركز على المصدر العربي، سواء من داخل الجزيرة العربية أو خارجها رافضًا الفراغ الحضاري الذي كان يعيشه العرب قبل الإسلام.

أما المشروع القادم، وهو في المراحل الأولية فقط، فسيعالج المشهد الحضاري في فلسطين خلال فترتين مركزيتين: الصليبية والمملوكية. نفّذ الصليبيون انقلابًا حضاريًّا في فلسطين بحيث باتت كل مدن فلسطين أوروبية المظهر والتكوين الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، وبقي الريف فقط عربيًّا، ولكن ليس بشكل كامل. نجح المماليك في قلب الهوية الحضارية لفلسطين، مدنًا وريفًا. سيحاول الكتاب تتبع هذه التغيرات، وتأثير العمارة على الاستحواذ على المشهد.

الاستنتاجات والخاتمة

ها نحن نتوقف في المحطة الأخيرة من رحلتنا مع المقدسيّ د.نظمي الجعبة، بما يحمل من مسمّيات علميّة وبحثيّة، لكي نودّع القارئ الكريم بعصارة ما نهلنا من سيرة ضيفنا ومسيرته، التي تمتاز بالأهمّيّة والإثارة في جميع محطاتها؛ إذ لو توقفنا عند الطفولة والنشأة الأولى، لوجدنا أنها تختزن بين طيّات أحداثها كثيرًا من التوثيق لأوضاع القدس، خاصة البلدة القديمة المسوّرة، خلال الفترة الواقعة بين النكبة والنكسة (أي بين 1948–1967)، وما بعدها، لاسيما فيما يتعلق بالجوانب الديمغرافية، والعادات الاجتماعية، والأوضاع الاقتصادية، إضافة إلى المعلومات القيّمة عن حارة الشرف، التي وصلتها الكهرباء متأخرة –نسبيًّا– عن بقية أنحاء المدينة وحاراتها. كما أن الألعاب –التراثية– التي وصفها ضيفنا تشكل مادة مهمّة للباحثين في مجال التراث المقدسي المعاصر.

أما بشأن التعليم، فقد تبيّن من هذه الدراسة أن مدى القلق والارتباك الذي كان ينتاب ضيفنا وجيله من الطلبة الذين كثيرًا ما كانت سلطات الاحتلال «تخطفهم» بقوة السلاح من مقاعدهم الدراسية، وتلقي بهم في السجون لأشهر أو سنوات، وينطبق ذلك على مرحلتي المدرسة والجامعة. وكما جرى مع ضيفنا، كان المعتقلون من الطلبة يعودون إلى حيث انتهوا لحظة الاعتقال، ويكملون تعليمهم حتى المستوى الذي تسمح به ظروف أسرهم. أما ضيفنا، فلم يفتّ عضده تلك الاعتقالات المتعددة، وبعد تخرجه من الجامعة بدرجة البكالوريوس حظي بفرصة السفر إلى ألمانيا، لإكمال دراسته العليا، بمستوى الدكتوراه، كما ورد أعلاه. تلك الدرجة العلميّة التي أهّلته لتحقيق أفكار خلّاقة وإبداعية في مختلف المجالات المعمارية، والأثرية، والتراثية على المستوى الوطني الفلسطيني بشكل عام، وما حظيت به القدس على وجه الخصوص.

وأما في المجالات التأليفية، والبحثية، والمحاضرات، والندوات... الخ، فإن ضيفنا أسهم بمئات العناوين والمواضيع التي شارك فيها. إلا أن دراستنا هذه سلّطت الضوء على المؤلفات الورقية –منفردًا وبالشراكة– والبحوث المنشورة في الكتب والمجلات. ونلاحظ أن الإنتاج التأليفي والبحثي لضيفنا «الجعبة، بحجم (90) عنوانًا، تنقسم مناصفة بين اللغتيْن

العربية والإنكليزية، علمًا أن المؤلفات -الكتب المطبوعة- جاءت باللغة العربية فقط.

بنظـــرة متأنيـــة للمواضيع والبحوث التـــي ألّف فيها، أو نشرهـــا في المجلات والكتب المختلفـــة، نجد أن الغالبيـــة العظمى تتعلق بالقـــدس، وحضاراتها، وتاريخهـــا، ومعالمها، وأحيائها، وحاراتها، وقضاياها في مختلف المجالات، بما يوفر المعلومات الدقيقة، والبيانات التي يحتاجها كل من يسعى للمحافظة على عروبة المدينة، في مواجهة عمليّات التهويد، بقوة الدولة الحاكمة وما تمتلكه من أجهزة مختلفة، وبقوة التزوير الصارخة والواضعة، التي كشف «الجعبة» بعض صورها ومشاهدها، بالأرقام والوثائق، وما رصده من كتابات الإسرائيليين حول القـــدس، التي تعزز تلك التزويرات وتدافع عنها وتســـعى لتحويلها إلى وثائق تخدم محاولات التهويد، التي تجري على قدم وســـاق. وإلى جانب هذا كله، التفت ضيفنا «الجعبة» إلى المقدســـيين، ووثق لصمودهم، وتفانيهم في الدفـــاع عن مدينتهم، وتضحياتهم من أجل المحافظة على الهوية العربية والإسلامية للمدينة.

عندما خرج ضيفنا، في كتاباته، من القدس فإنه لم يبتعد عنها؛ إذ انتقل إلى جوارها، عندما كتب عن قرية لفتا، وقرية عين سينيا، ومدينة رام الله، وعن كنيسة المهد ببيت لحم. وتبيّن لنا من كتابه المتميّز عن كنيسة المهد مدى الأهمية القصوى التي تمتع بها الكتاب، من حيث ندرة ما يشبهه، أو يتطابق معه، من الملفات.

وقبـــل أن نغادر هذه المحطة، لا بد من المرور على الحـــوار الهادئ الذي جرى مع ضيفنا «الجعبة»، وما تميّز به من الصراحة، والموضوعية، والوضوح. ويسعدنا أن نعلن أن «الجعبة» سيكمل رحلته البحثية في القدس ومحيطها، وصولًا إلى «أريحا» التي تحتضن واحدًا من أشهر المعالم الأموية؛ قصر هشـــام، الذي أخبرنا ضيفنا أنه ســـيكون عمله القادم، الذي سيعالج السياق الحضاري لفلسطين الأموية.

هكذا، نتمنى لضيفنا العزيـــز التوفيق في تحقيق مخططاته «البحثية والتأليفية» التي ذكرها أعلاه، والتي ستوفّر لنا نافذة واسعة نطلّ منها على المشهد الحضاري الفلسطيني، وما انتابه من تقلبات من الفترة الأموية حتـــى الصليبية، لتكتمل الحلقة مع كتاب «القدس في العصر المملوكي» الصادر عام 2024، بمجلداته الثلاثة.

المصادر والمراجع

1) برغوث، جمال، جرادات، محمد. (2002). **المشـــهد الحضاري في أرطاس- برك سليمان وتزويد القدس بالمياه من الفترة الرومانية حتى الوقت الحاضر**. تحرير: نظمي الجعبة. البيرة: مركز المعمار الشعبي.

2) الجعبة، نظمـــي. (2024). **القدس في العصر المملوكي: تاريخ وعمارة**. ثلاثة أجزاء. القدس: مؤسســـة التعاون- برنامج القدس لإعمار البلدة القديمة.

3) الجعبة، نظمي. (2023). «سلوان: إرادة صمود في مواجهة سياسة السلب». **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد (134). ص: 121-144.

4) الجعبة، نظمي. (2022). «**كنيســـة المهد في بيت لحم أقدم كنائس فلســـطين: دراســـة في العمارة والفنون والتاريخ والتراث**». مدقق ومحرر لغوي: سمير الديك. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

5) الجعبـــة، نظمي. (2021 أ). **المغاربة في بيـــت المقدس**. الرباط: بيت مال القـــدس الشريف. والقدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية- القدس (باسيا).

6) الجعبة، نظمي. (2021 ب). «حي الشـــيخ جراح ومعركة البقاء». **مجلة الدراســـات الفلسطينية**. العدد (127). ص: 34-66.

7) الجعبة، نظمي. (2021 ج). «القدس القديمـــة: جواهر معمارية عالمية»، فصل في كتاب «**أصول العمارة والبنيـــان في بيت المقـــدس بين صورة الماضي وحاجيات الحاضر والمســـتقبل**». الربـــاط: بيت مال القدس الشريف. ص: 11-125».

8) الجعبة، نظمي. (2021 د). «تحويل مجاري القدس الرومانية إلى «درب الحجاج»: مسعى يميني صهيوني وإفنجيلي جديد لتزوير التاريخ». **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد (126). ص: 57-72.

9) الجعبة، نظمي. (2020). **لِفتا: سجل شعب: التاريخ والتراث الثقافي والنضال**. مساهمون: رنا بركات، وخلدون بشارة، ويعقوب عودة. بيروت ورام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

10) الجعبة، نظمي. (2019 أ). **حارة اليهود وحارة المغاربة في القدس القديمة: التاريخ والمصير بين التدمير والتهويد**. بيروت ورام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، والقدس: مؤسسة التعاون.

11) الجعبـــة، نظمي. (2019 ب). **القـــدس في الكتابات التاريخية الإسرائيلية**. الربـــاط: بيت مال القدس الشريف.

12) الجعبة، نظمـــي. (2019 ج). «الحفريات الإسرائيلية في القدس منذ العـــام 1967: من مصنع الرواية التوراتية إلى مصنع الاستيطان». **مجلة قضايا إسرائيلية**. العدد (73). ص: 52-73.

13) الجعبة، نظمي. (2019 د). «مقبرة باب الرحمة». **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد (117). ص: 94-113.

14) الجعبة، نظمي. (2019 هـ). «كنيسة المهد في بيت لحم الترميم والتأهيل: أول موقع فلسطيني يُزال عن قائمة التراث العالمي المهدد». **المجلة العربية للثقافة (الألسكو)**. العدد (65). ص: 45-96.

15) الجعبة، نظمي. (2019 و). «مئة عام على إعلان بلفور: القدس في المخطط الحضري البريطاني، 1919». **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد (120). ص: 48-65.

16) الجعبة، نظمي. (2018 أ). «القدس في عين العاصفة: بين انتفاضة الأقصى وقرار ترامب». **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد (114). ص: 37-48.

17) الجعبة، نظمي. (2018 ب). «دور الوثائق الوقفية في استجلاء التركيبة الحضرية والمعمارية لمدينة القدس: المدرسة التنكزية كحالة». في كتاب **الوقف الإسلامي في القدس**، تحرير: عزيز العصا وآخرون. القدس: الهيئة الإسلامية العليا. ص: 392-430».

18) الجعبة، نظمي. (2017 أ). «القدس: خمسون عامًا من الاحتلال». **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد (111). ص: 140-159.

19) الجعبة، نظمي. (2017 ب). «مقتطفات من يوميات فتى مقدسي». **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد (112). ص: 38-47.

20) الجعبة، نظمي. (2016). «المسجد الأقصى: تجليات الصراع والسيطرة». **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد (105). ص: 164-177.

21) الجعبة، نظمي. (2015 أ). «استيطان القدس: تنفيذ خطط قديمة». **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد (101). ص: 14-28.

22) الجعبة، نظمي. (2015 ب). «القدس في الإستراتيجية الإسرائيلية». **مجلة سياسات**، العدد (33). ص: 9-29. يُنظر: https: / /fada.birzeit.edu /handle /20 ,500 ,11889 /2735

23) الجعبة، نظمي. (2015 ج). «متاحف القدس: التاريخ العربي بين الإهمال وتحدي الرواية». **مجلة اللقاء**. المجلد 30. العدد (2/ 3). ص: 128-143.

24) الجعبة، نظمي. (2014). «القدس: خمسة عقود من القهر والتهميش: الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للحراك المقدسي». **حوليات القدس**. العدد (18). ص: 7- 21.

25) الجعبة، نظمي. (2012 أ). «الاستيطان الكولونيالي في الضفة الغربية والقدس: قراءة في أبعاد وأشكال السيطرة على الأرض». **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد (91). ص 59-83.

26) الجعبة، نظمي. (2012 ب). «القدس من جديد: مشاهد وتحديات». **حوليات القدس**، العدد (13). ص: 15-25.

27) الجعبة، نظمي. (2012 ج). «أسوار القدس بين الأصالة العثمانية والتشويه الإسرائيلي». في كتاب «**المعالم الإسلامية المنوي إلحاقها بالتراث اليهودي**، تحرير: عبد الرحمن عباد. القدس: هيئة العلماء والدعاة في فلسطين. ص: 21-65».

28) الجعبة، نظمي. (2011). «القدس القديمة ومحيطها: الانقلاب على المشهد الثقافي وتهويده». **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد (85). ص: 23-40.

29) الجعبة، نظمي. (2010). القدس بين الاستيطان والحفريات». في كتاب «**القدس تاريخ المستقبل: دراسات في حاضر وماضي مدينة القدس**. تحرير: عصام نصار. رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ص: 19-42».

30) الجعبة، نظمي. (2009-2010). «القدس بين الاستيطان والحفريات». **حوليات القدس**، العدد (8). ص: 5-20.

31) الجعبة، نظمي (كتابة النصوص). (2009 أ). **دليل القدس: حضارة وتاريخ**. المحرر: بسام الكعبي. فريق المتابعة: فارسين أغبيكيان [وآخرون]. القدس: القدس عاصمة الثقافة العربية.

32) الجعبة، نظمي. (2009 ب). **الإسكان في القدس: بين مطرقة الاستيطان والإمكانات المتاحة**. رام الله: معهد السياسات العامة.

33) الجعبة، نظمي. (2009 ج). «سجل رواق للمباني التاريخية واستعمالاته لرصد تاريخ القرى المدمرة: العمارة وثيقة تاريخية». في كتاب «**أوراق عائلية: دراسات في التاريخ الاجتماعي المعاصر لفلسطين**». تحرير: زكريا محمد، خالد فراج، سليم تماري وعصام نصار. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية. ص: 39-53».

34) الجعبة، نظمي. (2009 د). «القدس عاصمة للثقافة العربية بين الخطاب السياسي وخطاب الحضارة». **حوليات القدس**، العدد (7). ص: 5-9.

35) الجعبة، نظمي. (2008 أ). **الخليل القديمة: سحر مدينة وعمارة تاريخية**. الخليل: لجنة إعمار الخليل.

36) الجعبة، نظمي. (2008 ب). « **القدس العربية: أربعون سنة من الاحتلال الإسرائيلي**. القدس: تحالف السلام الفلسطيني.

37) الجعبة، نظمي. (2008 ج). «الشيخ حسن اللبدي: مشاهد من ذاكرة مفقودة». **حوليات القدس**. العدد (6). ص: 47-60.

38) الجعبة، نظمي. (2007). «الشيخ حسن اللبدي: مشاهد من ذاكرة مفقودة». **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد (72). ص: 70-80.

39) الجعبة، نظمي. (2006). **فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية**. تقديم: وليد الخالدي. تحرير: خضر سلامة. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

40) الجعبة، نظمي. (2005). «بين باب العمود وباب الخليل: صراع الأبواب على الحداثة المقدسية». في كتاب «**مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي: دراسات في تاريخ القدس الاجتماعي**، تحرير: سليم تماري

وعصام نصار. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية. ص: 80-94».

41) الجعبة، نظمي. (2003 أ). «تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس». **مجلة حوليات مقدسية**. العدد (1). ص: 5-17.

42) الجعبة، نظمي. (2003 ب). «الاستيطان الإسرائيلي في منطقة القدس». **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد (55). ص 111-121.

43) الجعبة، نظمي (كتابة النصوص). (2002 أ). **القدس في صور**: 186-1960. رام الله: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي. وأبو ظبي: المركز الثقافي.

44) الجعبة، نظمي. (2002 ب). «تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس». **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد (50) ص: 100-116.

45) الجعبة، نظمي، بشارة، خلدون. (2002). **رام الله: عمارة وتاريخ**. تحرير: سعاد العامري. رام الله: مركز المعمار الشعبي- رواق. سلسلة رواق في تاريخ العمارة في فلسطين.

46) الجعبة، نظمي، والنتشة، يوسف. (2002). **كنوز القدس المعمارية**. رام الله: وزارة التخطيط والتعاون الدولي الفلسطينية.

(2007). سجل رواق للعمارة التاريخية في فلسطين. ثلاثة مجلدات. إدارة المشروع:.) مجموعة مؤلفين47
.نظمي الجعبة وسعاد العامري. رام الله: مركز المعمار الشعبي- رواق

48) Jubeh, Nazmi. (2023). «Silwan, the Bleeding Wound,» Jerusalem Quarterly, vol. 93. pp: 100122-.

49) Jubeh, Nazmi. (2021a). «Shaykh Jarrah: A Struggle for Survival,» Jerusalem Quarterly, vol. 86. pp: 129148-.

50) Jubeh, Nazmi. (2021b). «Tariq Bab al-Silsila: A Portrait of an Old City Suq,» Jerusalem Quarterly, vol. 87. pp: 105125-.

51) Jubeh, Nazmi. (2020a). «In memory of Albert Aghazarian: The Allays of Jerusalem Will Miss You,» Jerusalem Quarterly, vol. 82. pp: 174178-.

52) Jubeh, Nazmi. (2020b). «Jerusalem and the UNESCO: Between Decisions and Effective Impact,» The Journal of Jerusalem Studies, vol. 1. pp: 1130-.

53) Jubeh, Nazmi. (2019a). Archaeological Excavations in Jerusalem since 1967: From the Making of the Narrative to Settlement Activities,» Journal of Israeli Affairs (Madar), vol. 73. pp: 115-.

https: / /www.madarcenter.org /en /journal-israeli-affairs /israeli-affairs-issue-no-73

54) Jubeh, Nazmi. (2019b). «The Bab al-Rahmah Cemetery: Israeli Encroachment

Continues Unabated,» Journal of Palestine Studies, vol. 48 , 1. pp: 88103–.

55) Jubeh, Nazmi. (2019c). «Holy Places in Jerusalem». in Mitri Raheb (ed.), Jerusalem Religious, National and International Dimensions (Bethlehem: Diyar Publisher). pp: 95–145.

56) Jubeh, Nazmi. (2019d). «Patrick Geddes: Luminary or Prophet of Demonic Planning,» Jerusalem Quarterly, vol. 80. pp: 2340–.

57) Jubeh, Nazmi. (2018). «Cultural Heritage in Palestine: Challenges and Opportunities,» in (eds.) Reinhard Bernbeck, Arwa Badran, and Susan Pollock, Reclaiming the Past for the Future: Oral History, Craft, and Archaeology: Adel Yahya in memoriam(Berlin: ex oriente). pp: 6793–.

58) Jubeh, Nazmi. (2017). «Jerusalem: Fifty Years of Occupation,» Jerusalem Quarterly, vol. 72. pp: 725–.

59) Jubeh, Nazmi. (2016a). «Jerusalem's Haram al–Sharif: Crucible of Conflict and Control,» Journal of Palestine Studies, vol. 178 (2016), pp. 2337–.

60) Jubeh, Nazmi. (2016b). «Conrad Schick: Pioneering Architect, Archaeologist and Historian of Nineteenth Century Jerusalem,» Jerusalem Quarterly, vol. 67. pp: 718–.

61) Jubeh, Nazmi. (2015). «Jerusalem: Five Decades of Subjection and Marginalization,» Jerusalem Quarterly, vol. 62, (2015), pp. 728–. (Republished in eds. Rashid Khalidi and Salim Tamari, The Other Jerusalem: Rethinking the History of the Sacred City. Beirut and Jerusalem: Institute for Palestine Studies and the Khalidi Library. pp: 287314–).

62) Jubeh, Nazmi. (2014a). «Jérusalem à la fin la période de la Ottoman et sous le mandate britannique,» in Jérusalem et la Palestine, sous la direction d'Elias Sanbar (Paris: Hazan, 2014). pp: 90121–.

63) Jubeh, Nazmi. (2014b). «The Palestinian Identity: Historical Perspective,» in (ed.) Mitri Raheb, Palestinian Identity in Relation to Time and Space (Bethlehem: Diyar Publisher, 2014). pp: 927–.

64) Jubeh, Nazmi. (2013). «The Jews in Jerusalem and Hebron during the Ottoman Era,» in (ed. Abdelwahab Meddeb and Benjamin Stora) A History of Jewish–Muslim Relations from the Origin to the Present Day (Princeton and Oxford, 2013). pp: 211217–. Also published in French.

65) Jubeh, Nazmi. (2011). „Aufstieg und Niedergang Jerusalem – Das historische Zentrum

des palestinensischen Volkes,« in (ed. Christian Sterzing), Palastina und die Palestineneser 60 Jahre nach der Nakba (Berlin: Heinrich-Böll-Stiftung und Christian Sterzing, 2011). pp: 189207-.

66» (Jubeh, Nazmi. (2010). What Matters? Considering the Future of Cultural Heritage in Palestine,«Present and Past, vol. 2 , 1. pp: 5257-.

67) Jubeh, Nazmi. (2009a). «Architecture as a Source for Historical Documentation,» Jerusalem Quarterly, vol. 36. pp: 4865-.

68) Jubeh, Nazmi. (2009b). «1917 to the Present: Basic Changes, but not Dramatic: Al-Haram Al-Sharif in the aftermath of 1967,» in (Eds. Oleg Grabar and Benjamin Kedar) Where Heaven and Earth Meet: Jerusalem's Sacred Esplanade» (Austin: Texas University Press). pp: 274289-.

69) Jubeh, Nazmi. (2009c). «Cultural heritage in Palestine: RIWAQ New Experience and Approaches». at: http: / /www.jerusalemsverein.de /downloads /Texte /Cultural_ Heritage_in_Palestine.pdf

70) Jubeh, Nazmi. (2008). «PalestinianIdentity and Cultural Heritage,» in (dir.) Roger Heacock, Temps et espaces en Palestine (Beyrouth: Institut français du Proche-Orient « Études contemporaines », nº 25). pp: 205231-.

71) Jubeh, Nazmi. (2007a). «Sheikh Hassan al-Labadi& Seven Acts of Lost Memory,» Jerusalem Quarterly, vol. 30). pp: 1030-.

72) Jubeh, Nazmi. (2007b). «Pilgrimage (Hajj),» in Discover Islamic Art in the Mediterranean, MWNF (Vienna: MWNF). pp: 196202- (published also in Arabic).

73) Jubeh, Nazmi. (2006a). «Cultural heritage in Palestine contested and neglected heritage» 2006 http: / /www.cccb.org /rcs_gene /nazmi_al-jubeh.pdf

74) Jubeh, Nazmi. (2006b). «Archaeology in Palestine: Past and Current Perspectives,» KunstChronik, vol. 59 , 4. pp: 180193-.

75) Jubeh, Nazmi. (2003a). «Bab al-Magharibah: Joha's Nail in the Haram al-Sharif,» Jerusalem Quarterly File, vol. 18. pp: 1725-.

76) Jubeh, Nazmi. (2003b). «Das Museum of Memory in Ain Sinya. Beispiel fuer die Denkmalpflege in Palaestina,« (et. al.) Landesdenkmalamt Baden-Württemberg, Nachrichtenblatt, vol. 4. pp: 345353-.

77) Jubeh, Nazmi. (2002a). «The Palestinian Refugee Problem and Final Status Negotiations: A Review of Positions,» Palestine-Israel Journal, vol. 9 , 2, 2002.

78) Jubeh, Nazmi. (2002b). «The Ghettoization of Arab Jerusalem,» Jerusalem Quarterly File, vol. 16. pp: 511-.

79) Jubeh, Nazmi. (2001a). «The History of Jewish Settlement in the Old City,» Jerusalem Quarterly File, vol. 13. pp: 5664-.

80) Jubeh, Nazmi. (2001b). «Der Aufbau einer palästinensischen Zivilgesellschaft — Eine Problemanzeige,« in (ed. Alfred Wittstock), Israel in Nahost — Deutschland in Europa: Nahtstellen (Wiesbaden: VS Verlag für Sozialwissenschaften). pp: 195205-.

81) Jubeh, Nazmi. (2000a). «The Significance of Jerusalem. A Muslim Perspective,» in (Hg. Andreas Sohn /Hermann Weber), Hauptstaedte und Global Cities an der Schwelle zum 21. Jahrhundert, (Bochum: Herausforderungen). pp: 401408-.

82) Jubeh, Nazmi. (2000b). „Die Islamische Geschichte Jerusalems,« in Jerusalem Stadt des Friedens (Hamburg: Missionshilfe Verlag). pp: 6571-.

83) Jubeh, Nazmi. (1999). «Hebron,» in Dossiers d'Archeologie, No. 240, Jan /Fev., UNESCO. pp: 6871-.

84) Jubeh, Nazmi. (1998). «Hebron-Leben und Ueberlaben in einer geteilten Stadt,« Praxis Geschichte, vol. (Mai 3). pp: 5052-.

85) Jubeh, Nazmi. (1997). «The Effect of Politics on Archaeology,» in (Eds. NaimAteek, Cedar Duaybis and Marla Scharder), Jerusalem What Makes for Peace (London: Melisende). pp: 176181-.

86) Jubeh, Nazmi. (1996a). «Jerusalem betydning for detPalestinnske Folk,» in (Ed. Helge Aarfolt)Fred for Jerusalem (Oslo: Luther Forlag). pp:.

87) Jubeh, Nazmi. (1996b). „Jerusalem Aelter als 3000 Jahre«, in (Hg. Uri Avneri und Azmi Bishara)Die Jerusalem Frage (Heidelberg: Palmyra Verlag). pp:.

88) Jubeh, Nazmi. (1993). «The Settlement Patterns of South Bilad ash - Sham in the Twentieth Century,» (Two Maps) TAVO, Tubingen (in German and English).

89) Jubeh, Nazmi. (1981). «Migration and Change in a West Bank Village: The Case of DeirDibwan,» (with MarsiaEscribano) Journal of Palestine Studies, vol. 11 , 1. pp:.150-160.

90) Natsheh, Yusuf, Jubeh, Nazmi, Hawari, Mahmoud, Abu Khalaf, Marwan, Arafat, Naseer and Sadeq, Moain. (2004). Pilgrimage, Science and Sufism. Islamic Art in the West Bank and Gaza. Vienna: Museum With No Frontiers. (Published also in Arabic, English, German, Italian and Spanish).

أخبار جامعة القدس
(أيلول، وتشرين الأول، وتشرين الثاني 2024)

إعداد: أ. ياسمين الخطيب

دائرة الإعلام والاتصال في جامعة القدس

أيلول 2024

جامعة القدس تكرم باحثيها المتميزين للعام الأكاديمي 2022 - 2023 [1]

كرّمت جامعة القدس نخبة مــن باحثيها من الكليات الطبية والإنســانية والاجتماعية والتطبيقية للعام الأكاديمي 2022–2023، تقديرًا لجهودهم في إثراء البحث العلمي ونشر أبحاثهم في مجــلات علمية محكمة، وذلك خلال حدث نظمته عمادة البحث العلمي برعاية رئيس الجامعة أ.د.عماد أبو كشــك، وحضور عميد البحث العلمي د.إلهام الخطيب وعدد من الباحثين والطلبة.

وأكد أ.د. عماد أبو كشــك أن إستراتيجية وثقافة جامعة القدس مبنية على تطوير البحث العلمي للنهوض به وإيجاد الحلول الفعالة للمجتمع على جميع المستويات باعتبارها مسؤولية تقع على عاتــق الجامعة ويجب تحقيقها بكفاءة، مبينًا أن الجامعة تنافس اليوم على المســتوى

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/48028/

العالمي وليس المحلي فقط، وأهمية العمل بشكل جمعي لتحقيق قفزات نوعية تميزها عن الآخرين والحفاظ على هذه المكانة الرائدة والمضي قُدمًا.

طالبة الهندسة المعمارية في جامعة القدس زينب جاموس تفوز في المسابقة العالمية لإحياء القرى المهجرة عن مشروع قرية المزار[1]

فازت الطالبة في دائرة الهندسة المعمارية في جامعة القدس زينب عز الدين جاموس بالمرتبة الثانية في المسابقة المعمارية العالمية لإحياء القرى الفلسطينية المهجرة، التي تطرحها هيئة أرض فلسطين سنويًا، بإشراف الدكتورة مها السمان، وقيّمت المشاريع في العاصمة البريطانية لندن بمشاركة 53 طالبًا فلسطينيًّا وعربيًّا من 12 جامعة من بلدان مختلفة، بعد أن تأهلت على مستوى فلسطين لتنافس مشاريع من جامعات دول عربية أخرى.

وقالت د. السمان حول المسابقة «إن وعي جيل الشباب بأهمية المشاركة بهذه المسابقة يساهم في نشر المعرفة عن قرانا المهجرة وفي طرح أفكار إبداعية لإحيائها».

جامعة القدس تدخل تصنيف QS العالمي لبرامج ماجستير إدارة الأعمال Global MBA للعام 2025[2]

دخلت جامعة القدس تصنيف QS العالمي لبرامج ماجستير إدارة الأعمال Global MBA للعام 2025، حيث صنف برنامج ماجستير إدارة الأعمال في جامعة القدس ضمن أفضل 250 برنامجًا في العالم، وهي الجامعة الأولى والوحيدة في فلسطين التي تحقق هذا الإنجاز.

ويُعد هذا التصنيف اعترافًا بمستوى التميز الأكاديمي والبحثي لجامعة القدس، ويأتي تتويجًا للجهود الكبيرة التي بذلتها كلية الإدارة والأعمال في تطوير برامجها التعليمية وتوفير

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/student-activities-ar/48715

(2) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/49292

بيئة علمية متميزة للطلاب، كما يبرز تصنيف الجامعة كواحدة من أفضل المؤسسات التعليمية في العالم في مجال إدارة الأعمال على الصعيد الدولي.

هذا وشملت تصنيفات هذا العام 1,157 برنامجًا في 58 دولة ومنطقة حول العالم، فيما يأتي هـذا التقدم للجامعة وبرامجهـا ضمن الإنجازات المتلاحقـة والفريدة في تصنيف QS العالمي على مسـتوى فلسطين والمنطقة، حيث كانت قد حصدت المرتبة الأولى فلسـطينيًا وفقًا لهذا التصنيف، ودخلت فئة أفضـل 851–900 جامعة حول العالم للعام 2025.

جامعة القـدس الأولى بيـن الجامعات الفلسـطينية حسـب تصنيف RUR العالمي المرموق[1]

حصـدت جامعة القدس المرتبة الأولى فلسـطينيًا والمرتبة 840 عالميًا حسـب تصنيف Round University Ranking (RUR) العالمـي، والـذي يقدّم نظرة شـاملة على الأداء الأكاديمـي والبحثي للجامعات حول العالم، ويسـتند إلى 20 مؤشرًا مختلفًا يغطي جوانب متعددة مثل جودة التعليم، البحث العلمي، التنوع الدولي، والاستدامة المالية.

وجاءت الجامعة في المرتبة 574 عالميًا في مجال العلوم الطبية، مما يعزز من مكانتها كواحدة من المؤسسات الأكاديمية الرائدة في هذا التخصص الحيوي.

وأكد رئيس جامعة القدس أ.د. عماد أبو كشـك أن دخـول الجامعة هذا التصنيف يأتي إثر جهودها المسـتمرة في تطوير البيئة التعليمية وتعزيز الإنتاج البحثي لدى طلبتها وأكاديمييها بما يتماشى مع المعايير والمقاييس العالمية، إذ يعكس تقدم الجامعة التصنيفات العالمية سـعيها الدؤوب لتحقيق التميز الأكاديمي، وتعزيز مكانتها على المستوى الدولي والعالمي.

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/49298

تشرين الأول 2024

جامعة القدس الأولى فلسطينيًّا وفي المرتبة 52 عربيًّا وفق تصنيف QS العالمي للمنطقة العربية[1]

حققت جامعة القدس إنجازًا أكاديميًّا مرموقًا بحصولها على المرتبة الأولى محليًّا على مستوى فلسطين ضمن تصنيف QS World University Rankings 2025: Arab Region، متفوقة على 11 جامعة فلسطينية ضمن هذا التصنيف الدولي، وجاءت في المرتبة 52 على مستوى الوطن العربي من بين 246 جامعة عربية شملها التصنيف، مما يؤكد تفوقها وعملها الدؤوب لتطوير أدائها الأكاديمي والبحثي على المستويين المحلي والإقليمي.

من جانبه، أكد رئيس جامعة القدس أ.د. عماد أبو كشك أهمية هذا الإنجاز باعتباره علامة فارقة في مسيرة الجامعة التي تواصل السعي نحو تعزيز مكانتها بين الجامعات المرموقة في العالم العربي من خلال إستراتيجيات تطوير شاملة، مهنئًا أسرة الجامعة وطاقمها عامة على هذا التفوق ضمن سلسلة نجاحات عالمية وإقليمية متتالية استحقتها الجامعة.

جامعة القدس وجامعة العلوم الطبية في إسطنبول توقّعان تجديد بروتوكول التعاون العلمي والبحثي والطبي[2]

وقّع رئيس جامعة القدس أ.د. عماد أبو كشك مع رئيس جامعة العلوم الطبية أ.د. كمال الدين آيدن، تجديد بروتوكول التعاون في المجال العلمي والبحثي والطبي، وتباحثا تنفيذ خطط تعزيز التعاون بين الجامعتين، وذلك في حرم جامعة العلوم الطبية في إسطنبول.

وأشاد أ.د. عماد أبو كشك بدور مؤسسات التعليم العالي التركية وخاصة جامعة العلوم الطبية وعلاقتها الوثيقة بطلاب جامعة القدس، فيما أشاد رئيس جامعة العلوم الطبية أ.د. كمال الدين آيدن بطلبة جامعة القدس والمستوى العلمي المتقدم بين جامعات العالم.

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/49744

(2) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/50012

وأطلق أ.د. آيدن مبادرة لتعزيــز التعاون بين الجامعتين وفتح آفاق الاختصاص الطبي العالي لطلبة كلية الطب من جامعة القدس داخل مشــافي جامعة العلوم الطبية، والتي تبلغ 86 مستشفًى بحثيًا وطبيًا في تركيا.

طلبــة جامعــة القــدس يحصلــون علــى مراتــب متقدمــة فــي مســابقة IEEEXtreme العالمية[1]

حصلت فرق جامعة القدس على مراتب متقدمة في مســابقة IEEEXtreme العالمية – النســخة 18,0 للعام 2024، التي شــارك فيها 16 فريقًا من الجامعة من عدة تخصصات في هندسة الحاســوب وتكنولوجيا المعلومات– دراسات ثنائية والرياضيات ضمن 158 فريقًا محليًا، و8785 فريقًا مشاركًا من جميع دول العالم، بتنظيم من الفرع الطلابي لجمعية مهندسي الكهرباء والإلكترونيات العالمية في كلية نجاد زعني للهندسة.

وأوضح رئيس الفرع في كلية الهندسة الدكتور أسل سرحان أن هذه المسابقة عالمية تنظم ســنويًا بمشــاركة طلبة الجامعة من مختلف التخصصات، وضمت الطلبة الذين يتمتعون بمهارات برمجية، وطرق حل المسائل.

تشرين الثاني 2024

نــدوة دولية في جامعــة القدس حــول «مناهضة وعــد بلفور المشؤوم والفكر الصهيوني»[2]

اســتضافت جامعة القدس ندوة دولية بعنوان «مناهضة وعد بلفور المشــؤوم والفكر الصهيوني» في حرمها الرئيس بالشراكة مع منتدى فلسطين ودائرة حقوق الإنسان في منظمة التحرير الفلسطينية، وبحضور شخصيات أكاديمية وحقوقية وسياسية.

وتحــدث رئيس جامعــة القدس أ.د. عماد أبو كشــك حول وعد بلفور باعتباره ســببًا

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/student-activities-ar/50076/

(2) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/50361

رئيسيًّا في النكبة وآثارها، وضرورة التفكير حول الحلول الممكنة بهذا الشأن، مشيرًا إلى مساهمة السيد منيب المصري في عمل انعطافة تاريخية من المسار السياسي إلى القانوني، وهو ما يستدعي خلق هذا التوجه وأن يكون هناك وعيٌ للسبب الحقيقي للنكبة وانعكاساتها وصولًا لما نحن عليه اليوم.

هذا وأوصى المشاركون بضرورة تشكيل لجنة متابعة لاستكمال المواضيع المطروحة وطرق متابعتها، وتوحيد الجهود في إطار ملاحقة الاحتلال وجرائمه وتشكيل لجنة لخوض الدبلوماسية العابرة للدول، وتشكيل فريق قانوني وطني من الجامعات وطلبتها، وكذلك عمل أبحاث ودراسات قانونية في موضوع وعد بلفور.

كلية الحقوق بجامعة القدس تطلق أولى فعاليات مخيمها العلمي القانوني في الأردن[1]

أطلقت كلية الحقوق في جامعة القدس مخيمها العلمي القانوني الأول لطلبتها في رحاب المملكة الأردنية الهاشمية، بدعم من وقفية القدس ومؤسسة قدسنا، بهدف تعزيز المعرفة القانونية المقارنة لدى طلبتها، وتزويدهم بخبرات عملية من خلال زيارات لمؤسسات قضائية أردنية. حيث يسعى المخيم إلى بناء كوادر قانونية مؤهلة وقادرة على المساهمة في تطوير قطاع العدالة في المنطقة، لاسيما مع المملكة الأردنية الهاشمية التي تضطلع بدور أساسي وفاعل في دعم القضية الفلسطينية وقطاعات التعليم فيها.

ترأس الوفد عميد كلية الحقوق في جامعة القدس، الدكتور عيسى مناصرة، وضمّ الدكتورة نجاح دقماق والأستاذة سهاد أبو هلال، بالإضافة إلى مجموعة من الطلبة المتميزين.

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/50609/

رئيس جامعة القدس يستقبل القنصل العام الإيطالي تعزيزًا لسبل التعاون المشترك[1]

استقبل رئيس جامعة القدس أ.د. عماد أبو كشك القنصل العام الإيطالي في القدس Domenico Bellato، في مكتبه في حرم الجامعة الرئيس، في زيارة هي الأولى له للجامعة منذ تعيينه مؤخرًا، وذلك بهدف التعرف إلى الجامعة وبرامجها المختلفة ومبادراتها البحثية والمجتمعية، وبناء شراكات علمية وأكاديمية مشتركة بين الطرفين.

وعبّر أ.د. أبو كشك عن آماله بتعاون مثمر وبناء مع الجانب الإيطالي بجامعاته ومراكزه البحثية والعلمية، من أجل تمكين الشباب الفلسطيني والمقدسي، والنهوض بالواقع المجتمعي.

من جانبه، أشاد القنصل الإيطالي بإنجازات الجامعة العالمية وخططها المدروسة لتطوير المؤسسة الأكاديمية العريقة، معبّرًا عن سعادته بالتعرف على جامعة القدس والاطلاع عن كثب على برامجها المتنوعة الشاملة والتي تتناسب واحتياجات المجتمع.

اللجنة الدولية للصليب الأحمر تجتمع برئيس جامعة القدس وجولة في مركز القياس والتحليل[2]

التقى وفدٌ من اللجنة الدولية للصليب الأحمر ورئيس جامعة القدس أ.د. عماد أبو كشك في مكتبه في حرم الجامعة الرئيس، وذلك بهدف توقيع بروتوكول التبرع لمركز القدس للقياس والتحليل والاطلاع عليه عن كثب.

وشكر أ.د. أبو كشك الوفد على هذا التبرع وما يقومون به في خدمة المجتمع الفلسطيني في غزة والقدس خاصة، مشيرًا إلى جهود الجامعة الحثيثة لمساعدة الأهالي الغزيين ودعم المجتمع المقدسي، وضرورة التشبيك ما بين اللجنة ومراكز الجامعة

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/50671/

(2) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/50746

المجتمعية والحقوقية في القدس للخروج بتعاون مشترك بما يحفظ حقوق المقدسيين ويدعم وجودهم على مختلف الأصعدة، بالإضافة إلى إمكانية إنشاء مشاريع مشتركة في البيئة والإنتاج الزراعي.

وأكدت السيدة سيريا راثن أهمية تعزيز سبل التعاون ما بين اللجنة والجامعة في الاهتمامات المشتركة التي تشمل المجال الحقوقي والإنساني والبيئي والزراعي والتنموي، وتحدثت حول دور الصليب الفاعل في غزة والصعوبات التي يواجهها، وإنجازاته في إثراء قطاع الزراعة والبيئة الفلسطينية.

أ. د. أبو كشك يشارك في المؤتمر العالمي للغة الصينية في بكين ويوقّع اتفاقية تعاون مع جامعة جيان شي[1]

شارك رئيس جامعة القدس أ.د. عماد أبو كشك والمستشار معتصم تيم وسفير دولة فلسطين في جمهورية الصين الشعبية د.شادي أبو زرقة في المؤتمر العالمي للغة الصينية 2024 في بكين، بحضور ممثلين عن 70 دولة والعديد من رؤساء الجامعات التي تضم معاهد كونفوشيوس في العالم.

والتقى أ.د. عماد أبو كشك والسفير د.أبو زرقة بوزير التربية والتعليم الصيني، وبحث الطرفان إثراء سبل التعاون بينهما واستئناف عمل الأساتذة الصينيين في معهد كونفوشيوس في جامعة القدس.

على صعيد متصل، وقّع أ.د. أبو كشك اتفاقية تعاون مع رئيس جامعة جيان شي السيد تشان فان، وهي الجامعة الشريكة في إنشاء معهد كونفوشيوس، وتنص على تقديم ١٠ منح دراسية جديدة لطلبة جامعة القدس سنويًا، ومنحة لطلاب بكالوريوس اللغة الصينية في جامعة القدس بحيث يدرس الطالب سنتين في جامعة القدس وسنتين في جامعة جيان شي بتغطية شاملة.

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/50956

مجلة المقدسية الصادرة عن جامعة القدس تنشر عددها الأخير بالإنكليزية[1]

أصدرت جامعة القدس العدد الأول من مجلة المقدسية المحكّمة الفصلية باللغة الإنكليزية، في خطوة فريدة لإعلاء صوت المدينة المقدسة وقضاياها ومعاناة أهاليها أمام تهديدات الهوية والتاريخ والوجود الفلسطيني في المدينة.

كلية الدعوة وأصول الدين تطلق السرد القرآني الأول «صفوة القدس»[2]

أطلق ملتقى القرآن الكريم في كليتي القرآن والدراسات الإسلامية والدعوة وأصول الدين السرد القرآني الأول «صفوة القدس»، لتسميع القرآن الكريم للطلبة المشاركين من مختلف تخصصات الجامعة، والبالغ عددهم 150 طالبًا وطالبة.

(1) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/staff-news-ar/50979

(2) https://www.alquds.edu/ar/news-ar/student-activities-ar/51033

للنشر في مجلة المقدسية

تُغطي المجلة الموضوعات والقضايا الخاصة بمدينة القدس في كافة المجالات الروحية والفكرية والحضارية والعمرانية والسياسية والثقافية إلى جانب المخططات والسياسات الإسرائيلية التي تستهدف القدس استيطاناً وتهويداً.

وتُرحب المجلة بمساهمات المفكرين والمثقفين والباحثين في مختلف أبوابها وضمن الحدود المتعارف عليها، سواء أكان اهتمامها بقضايا القدس والانتهاكات الإسرائيلية ومخططات التهويد فيها أو مقالات وتقارير عن الندوات والمؤتمرات أو عروض لكتب خاصة بمدينة القدس، كما وترحب بالمساهمات الأدبية التي تُعزز جسور التواصل بين الإنسان العربي والمدينة المقدسة.

كما تُرحب المجلة بتلقي أيّ مادة لإعادة النشر حسب تقييم هيئة التحرير وتقدير أهمية إعادة النشر إلا إذا كانت دراسات وبحوث يُراد تحكيمها حيث تتحمل المجلة كلفة التحكيم ونشر الأبحاث في قسم الدراسات والبحوث المخصص للدراسات العلمية المحكمة وفق المعايير المعتمدة عامة بما في ذلك في مجلة العلوم القانونية والسياسية الصادرة عن كلية الحقوق بجامعة القدس، وخاصة أن يكون موثقاً ويشمل الإشارات المرجعية: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان وسنة النشر، رقم الصفحة.

كذلك أن يكون كلٌ من الدراسة أوالبحث مطبوعًا، ومرفقًا بالسّيرة الذاَتيّة للكاتب، والإرسال إلى المجلة عبر بريدها الإلكتروني.

تلتزم المجلة بتقييم المشاركة، وإعلام الباحث بنتيجة التقييم خلال شهرين من تاريخ استلامها، والمشاركات التي تعتذر المجلة عن نشرها لا تُرد إلى الكاتب.

لإرسال الأبحاث والدراسات عبر الإيميل: almaqdisieh@alquds.edu

عين سلوان، وهي نبع ماء في بلدة سلوان الحاضنة الجنوبية للمسجد الاقصى

لوحة جمل المحامل للفنان سليمان منصور